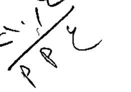
أخبار النساء

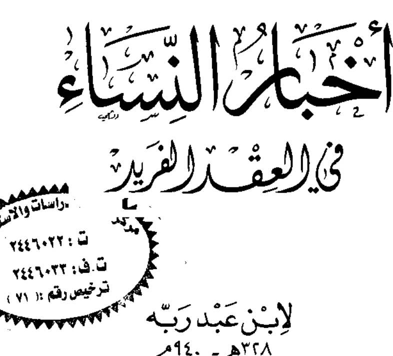
في العقد الفريد

لابن عبد ربه
٣٢٨هـ - ٩٤٠م

جمع وشرح
عبد مهنا و سمير جابر







أخبار النساء

في العقد الفريد

لابن عبد ربه

٣٢٨هـ - ٩٤٠م

جمع وشرح

عبد مهنا و سمير جابر

منشورات
محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



دار الكتب العلمية

الطبعة الثالثة

٢٠٠٥ م ـ ١٤٢٦ هـ

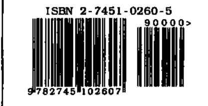
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0260-5



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com





مقدمة الكتاب

إن أخبار النساء في كتب التراث كثيرة ومتنوعة ، وهي تشتمل على أغراض شتَّى ، طريفة وشيِّقة ومسلِّية يجمل بالمتأدِّبين معرفتها والإطِّلاع عليها . وقد عقدنا العزم على أن نلقي الضوء عليها بما يُتيح للقارىء المتعة والأنس والسعادة في رحلته مع كبار المؤلفين والمصنِّفين .

وقد أوردنا أن تكون هذه الأخبار في سلسلة من الكتب بدأنا فيها بـ« أخبار النساء في كتاب الأغاني » . وقد صدر الكتاب عن مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت في العام ١٩٨٨ . وها نحن نخطو الخطوة التالية لنضع بين أيدي القرّاء الكتاب الثاني من هذه السلسلة وهو « أخبار النساء في العقد الفريد » .

ومن البديهي أن نبدأ هذه المقدّمة بترجمة صاحب « العقد الفريد » الذي كانت إحدى مواده موضوعاً لكتابنا هذا .

فصاحب « العقد » ـ وهو الاسم الأصلي للكتاب ، لأن « الفريد » هي صفة مستحدثة زيدت في اسم الكتاب ما بين سنتيْ ٦٥٢ ـ ٨٥٠هـ كما قال المستشرق الألماني بروكلمان وغيره من الباحثين العرب ـ هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حُدير بن سالم القرطبي الأندلسي .

وُلد في قرطبة في العاشر من شهر رمضان سنة ٢٤٦ هـ . ولم تُعرف عنه رحلة إلى غير بلاد الأندلس . كان في شبابه لاهياً ولوعاً بالغناء ، ولكن ذلك لم يمنعه من التحصيل والدرس ، حتّى عُدّ من فقهاء الأندلس . ويمكننا أن نستنبط من دراسة أدبه أنه كان غيوراً ، ولوعاً بالمنافسة ، معتدّاً بنفسه ، ميّالاً إلى المزاح والفكاهة ، جريئاً على البذاء ، يبدو ذلك من شعره ومن تعقيبه على كثير ممّا يُروى من أخبار العلماء ، وفي العقد كثير من ذلك .

مؤلفات ابن عبد ربه

لا يُعرف لابن عبد ربه كتاب غير « العقد » وديوان شعر طُبع منه خمس قصائد فقط وبقي الباقي مفقوداً . وذكر صاحب كشف الظنون أن له كتاباً آخر سمّاه « اللّباب في معرفة العلم والآداب » لكنه بقي مجهولاً بالنسبة لقرّاء المكتبة العربية ، وقد فرغ ابن عبد ربه من كتابه « العقد » سنة ٣٢٢ هـ . أي قبل وفاته بستّ سنوات حيث أُصيب في آخر سنيّه بالفالج وتوفي سنة ٣٢٨ هـ ـ ٩٤٠ م ودُفن في مقبرة بني العباس بقرطبة .

مصادر الكتاب

يقول ابن عبد ربه في مقدمة « العقد » : « وقد ألّفتُ هذا الكتاب ، وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الأدب ومحصول البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللّباب ، وإنّ ما لي فيه هو تأليف الإختيار ، وحسن الإختصار ، وفرش لدرر كل كتاب ، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ... » .

كلام المؤلف هذا يدعونا إلى التساؤل عمّا إذا انتفع بما اطلع عليه من مؤلفات الجاحظ والمبرّد[1] وابن قتيبة[2] ، وهم الثلاثة الذين سبقوه الى التأليف في باب الأخبار والنوادر ، على أن الجاحظ والمبرّد كان لهما منهج في التأليف يخالف منهج صاحب العقد الفريد ، فكان انتفاع ابن عبد ربه بمؤلفاتهما في المادة لا في الطريقة .

---

١ ـ المبرّد (٢١٠ هـ ـ ٢٨٦ هـ) : هو محمد بن يزيد، أبو العباس، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. توفي ببغداد. (الأعلام[7] ١٤٤).

٢ ـ ابن قتيبة (٢١٣ هـ ـ ٢٧٦ هـ) : هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، توفي ببغداد (الأعلام[4] ١٣٧).

وأمّا ابن قتيبة ، فبينه وبين ابن عبد ربه وجوه شبهٍ كثيرة في النهج وفي التبويب . ولا يعني هذا أن ابن عبد ربه لم يأخذ عن غير هؤلاء الثلاثة ، فقد كانت مكتبة قرطبة حافلة بطائفة من الكتب لم يجتمع مثلها في زمانٍ وفي مكان ، وقد استعان المؤلف منها بالكثير .

الذين روى عنهم ابن عبد ربه

أمّا الذين روى عنهم ابن عبد ربه ، فمنهم الشيباني ، والمدائني[1] ، والأصمعي[2] ، وأبو عبيدة ، والعتبي[3] ، والشعبي[4] ، والسجستاني ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرّد ، والرياشي ، والزيادي ، وابن سلاّم ، وابن الكلبي ، وغيرهم من علماء المشارقة ؛ ومنهم الخشني ، وابن وضّاح ، وبقّي بن مخلد ، من علماء الأندلس .

موضوعات الكتاب

ولقد وفّق ابن عبد ربه فيما جمع لكتابه من فنون الأخبار ، فهو كتاب يرجع إليه الأديب والمؤرخ واللغوي والنحوي والعروضي ، وصاحب الأخبار والقصص ، فيجد كلٌ طلبته وغرضه ، ولا يستغني عنه غير هؤلاء من طلاّب النوادر والطّرف في باب الحرب والسياسة والاجتماع ومجالس الأمراء ومحاورات الرؤساء والطعام والشراب والغناء والنساء .

لماذا اخترنا موضوع النساء ؟

وهذا الباب الأخير « النساء » هو الذي اخترناه موضوعاً لكتابنا لأن للمرأة في « العقد » صفحات وصفحات منثورة في كل أبوابه ، وسطوراً مبثوثة في كل

---

١ ـ المدائني (١٣٥ هـ ـ ٢٢٥ هـ) : هو علي بن محمد بن عبدالله ، أبو الحسن المدائني ، راوية مؤرخ ، كثير التصانيف ، من أهل البصرة . توفي ببغداد . (الأعلام٤ ٣٢٣) .

٢ ـ الأصمعي (١٢٢ هـ ـ ٢١٦ هـ) : هو عبد الملك بن قُريْب ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . توفي بالبصرة (الأعلام٤ ١٦٣) .

٣ ـ العتبي (. . . ـ ٢٢٨ هـ) : هو محمد بن عبيدالله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، أديب ، كثير الأخبار ، حسن الشعر . توفي في البصرة . (الأعلام٦ ٢٥٨) .

٤ ـ الشعبي (١٩ هـ ـ ١٠٣ هـ) : هو عامر بن شراحيل ، أبو عمرو ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه . توفي بالكوفة (الأعلام٣ ٢٥١) .

صفحاته ، فللمرأة في الكتاب دور في الحرب ، وكلمة في السياسة ، ورأي في المجتمع ومكان في مجالس الملوك والخلفاء والأمراء ، وذوق في الطعام والشراب ، وأذن في الغناء. ففيه تجد أخباراً عن نساء النبي ﷺ وعن نساء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وعن نساء السلاطين والولاة والقادة .

● فهذه أشارت على زوجها بمشورة ، وتلك قادت معركة ، وهذه لعبت دوراً في وصول ابنها إلى الخلافة ... وفيه تجد أيضاً أخباراً عن نساء تيَّمهنَّ الحبّ فوقعنَ ضحيّة له ، فمنهنَّ من نالت مأربها في الزواج من حبيبها ، ومنهنَّ من قضت لأن الأهل والعشيرة فرّقوا بينها وبين من تحبّ .

وفيه تجد أخباراً عمّن « ملكتْ أيمانكم » فقد قال تعالى في سورة النساء ﴿ **فإن خفتم ألّا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ فعقد الزواج في الإسلام لا يحلّ للرجل أن يتزوج أكثر من أربع في وقت واحد ، ولكن يحلّ له أن يطلّق منهنّ ويتزوج غيرهنّ ولكن بعد انقضاء عدّتهنّ وهي مدة ثلاثة أشهر بعد الطلاق .

أمّا ملك اليمين فهو حقّ للرجل أن يمتلك من النساء ما يشاء دون تحديد العدد طالما هو قادر على ذلك ، حتى وصل الأمر عند بعض الخلفاء إلى امتلاك ألفيْ أمَة ، وعند البعض الآخر أربعة آلاف أمة . وتوزّعت الإماء بين جارية لفراش اللذّة ، وبين سريّة[1] تلد لمولاها وتقيم معه ولا يحقّ له بيعها ، وتصبح حرّة بعد موته ، وبين قينةٍ تحيي الليالي الملاح بصوتها العذب الصّداح .

وقد حفلت قصور الخلفاء والأمراء والقادة والأغنياء بالجواري من كل لون وجنس ، فمنهن الحبشية ، ومنهنّ الروميّة ، ومنهنّ التركية ومنهنّ الهندية ، وقد تفشى الفساد واللهو في الدور التي غصّت بمثل هؤلاء الجواري ، ولم تسلم من ذلك قصور الخلفاء الذين بالغوا في اقتنائهنّ وفي المبالغ التي دُفعت لشرائهنّ حتى أن بعض هؤلاء الخلفاء دفع أربعين ألف دينار ثمناً لجارية واحدة ، وهذا المبلغ يكفي لإعالة عائلة لمدة سنة كاملة ، وبعضهم جمع في قصره أكثر من ثلاثة آلاف جارية يُنفق عليهنّ ما يكفي للانفاق على خمسين ألف مسلم ، وبعضهم انشغل عن أمور

١ ـ السرية: الأمَة أو الجارية التي تلد من سيدها وتقيم في منزله .

الخلافة بجارية أخذت بعقله وسيطرت على تفكيره حتى مات حزناً بعد موتها فدُفن بقربها .

إن هذا الكتاب هو جمع لهذه الأخبار عن هؤلاء النساء جميعاً : الجليلة ، والشريفة ، والعاهرة ، والفاجرة .

عملنا في هذا الكتاب

- اعتمدنا في جمع أخبار النساء على كتاب العقد الفريد طبع دار الفكر ـ بيروت .
- لجأنا في بعض الحالات الى كتب التراجم للتعريف ببعض النساء .
- كان دورنا جمع الخبر . وفي كثير من الحالات كان الخبر الواحد مقسماً ومروياً في أكثر من جزء من كتاب « العقد الفريد » وكان علينا جمعه وترتيبه وتنظيمه . ولا يتوهمن أحد أن عملية جمع هذه الأخبار كانت سهلة فقد وجدنا في كثير من الأحيان صعوبة في جمعها وتنظيمها ووضعها في سياقها الصحيح .
- قسّمنا الكتاب الى ثلاثة فصول:

ـ **الفصل الأول :** ويضم أخباراً عن نساء شهيرات لعبن دوراً مميّزاً في المجتمع الاسلامي في كل ميادينه الثقافية والسياسية والخلقية .

ـ **الفصل الثاني** : وقد جمعنا فيه كل أخبار الجواري .

ـ **الفصل الثالث** :وقد احتوى على أقوال وآراء في المرأة .

- وضعنا عناوين لهذه الأخبار ، وضبطنا أبيات الشعر ، وشرحنا ما غمض من الألفاظ والعبارات وعلّقنا عليها كلما لزم الأمر .
- تحاشينا الألفاظ البذيئة والعبارات التي تجرح المشاعر ، وكان علينا أن نهمل بعض الكلمات ونترك مكانها مليئاً بنقط تدلّ عليها (....) وأشرنا إلى ذلك في موضعه كما تقضي بذلك الأمانة العلمية ، ومن حسن الحظّ أنها جاءت قليلة في مقطوعات لا تكاد تتجاوز أصابع اليدين .

إن « العقد الفريد » كُتُبٌ في كتاب واحد ، ومراجع في مرجع واحد ، وإذا كنّا اليوم تناولنا موضوع المرأة فيه ، فذلك لدورها وأهميتها في المجتمع ، وللإعلان بأن المجتمع العربي الإسلامي ليس مجتمع الرجل وحده ، بل للمرأة فيه شأن مهم ودور

حضاري ساعد على ارتقائه وعسى أن نكون قد وُفّقنا في عملنا هذا لأن ذلك سيشجّعنا على المضي قدماً للانتهاء من إكمال هذه السلسلة التي أشرنا إليها في بداية هذه المقدمة ، والله الموفّق .

عبد الأمير علي مهنا ـ سمير يوسف جابر
بيروت في / ٥ / ٣ / ١٩٩٠

الفصل الأول

باب
أخبار النساء

آمنة بنت عتيبة ترثي أباها

شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ، كان شعرها قليلاً إلّا أنه ذو بلاغة . قالت ترثي أباها يوم قتله ذؤاب بن ربيعة الأسدي في يوم خوّ :

على مثلِ ابنِ قيةَ فانعياهُ ... بِشقّ نواعم البَشرِ الجُيُوبا
وكان أبي عتيبةُ شمرياً ... فلا تلقاهُ يدّخرُ النصِيبا
ضروباً للكميّ إذا اشمعلّتْ ... عوانُ الحرب لا وَرِعاً هَيُوباً[1]

آمنة بنت وهب أفضل امرأة في قريش

أمُّ محمد رسولُ الله ﷺ . كانت أفضل امرأة في قريش نسباً وموطناً . وكانت السيدة آمنة وفيّةً لزوجها عبد الله والد الرسول ﷺ بعد وفاته . فكانت تخرج في كل عام إلى المدينة تزورُ قبره . فلما أتى على رسول الله ﷺ ستُ سنين خرجت زائرةً لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنةُ رسول الله ﷺ ، فلما صارت بالأبواء[2] منصرفةً إلى مكة ماتت بها .

وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله

قال العباس بن بكار : إن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ؛ فلمّا رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمة ، فكيف كنتِ بعدنا ؟ .

فقالت : يا بنَ أخي ، لقد كفرتَ يدَ النعمة ، وأسأتَ لابن عمّكَ الصحبة ، وتسمّيت بغيرِ اسمك ، وأخذتَ غير حقك ، من غيرِ دين كان منك

---

١ ـ الكمي : البطل الشجاع الذي يصمد في القتال .
والهيوب الجبان .
٢ ـ الأبواء : قرية جامعة قريبة من المدينة (معجم ما استعجم ١ : ١٠٢) .

ولا من آبائك ، ولا سابقةٍ في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ ، فأتعسَ الله منكم الجدود ، وأضرعَ منكم الخدود ، وردَّ الحقَّ الى أهله ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا ﷺ هو المنصور ، فوُلِّيتُم علينا من بعده ، تحتجون بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقربُ إليه منكم وأولى بهذا الأمر ؛ فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان عليّ بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنةُ وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفَى أيتُها العجوزُ الضالة ، وأقْصري عن قولك مع ذهابِ عقلك ؛ إذ لا تجوز شهادتك وحدك .

فقالت له : وأنت يا بنَ النابغة تتكلم ! وأُمُّكَ كانت أشهر امرأةٍ تُغنّي بمكة ، وآخذَهن لأجرة ! اربَعْ على طلعِك ، واعنَ بشأنِ نفسك ؛ فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ؛ ولقد ادّعاك خمسةُ نفر من قريش ، [كلهم يزعم أنه أبوك] فسئلت أُمُّك عنهم ، فقالت : كلهم أتاني ، فانظروا أشبَههم فالحقوه به ، فغلب عليك شبَهُ العاص بن وائل فلحقتَ به .

فقال مروان : كفَى أيتها العجوز ، وأقصدي لما جئتِ له . فقالت : وأنت أيضاً يا بن الْزرقاء تتكلم ! .

ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما جرّأ عليّ هؤلاء غيرُك ، وإنّ أمك القائلةُ في قتل حمزة:

نحن جـزيناكم بيـوم بدرِ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعرِ
ما كان لي عن عتبةٍ من صبرِ فشكرُ وحشيّ عليّ دهري
حتى تـرمَّ أعـظمي في قبـري

فأجابتها بنتُ عمي وهي تقول :

خزيتِ في بدرٍ وبعدَ بدرِ يابنةَ جبّـارٍ عظيمِ الكفـرِ

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا عمة ! هاتِ حاجتَك قالت : ما لي إليك حاجة ، وخرجت عنه .

أروى بنت منصور تشرط على زوجها «أبي جعفر المنصور»

تَزوّج أبو جعفر المنصور أروى بنت منصور الحميرية ، وولدت له : محمداً وهو المهدي ، وجعفراً وكانت شرطت عليه ألا يتزوج ولا يتسرّى[1] إلا عن أمرها ، وكان ابتاع جاريته أم علي وجعلها قيّماً في داره على أم موسى وأولادها ، فحظيت عند أم موسى وسألته التسري بها لِمَا رأتْ من فضلها ، فواقعها فأولدها علياً ، وتوفي قبل استكمال سنة .

أسماء بنت أبي بكر ترثي زوجها (الزبير بن العوام)

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها ترثي زوجها الزبير ابن العوام ، وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل :

غَدَرَ ابن جرموزٍ بفارس بُهمةٍ يوم الهياج وكان غيرَ معرِّدِ[2]
يا عمرو لو نبّهتَه لوجدتَه لا طائشاً رَعِشَ الجنان ولا اليدِ
ثَكِلَتْكَ أمُّك إن قتلت لمُسلِماً حلَّتْ عليك عقوبةُ المتعمِّدِ

ومن حديث ابن أبي شيبة قال : أقبل رجل بسيف الزبير الى الحسن بن علي فقال : لا حاجة لي به ، أدْخلْه إلى أمير المؤمنين . فدخل به إلى عليّ فناوله إياه وقال : هذا سيف الزبير . فأخذه عليّ ، فنظر إليه ملياً ، ثم قال : رحم الله الزبير ! لطالما فرّجَ الله به الكرْبَ عن وجه رسول الله ﷺ . وقالت امرأته ترثيه (الأبيات) .

ويُروى أن ابنها عبد الله بن الزبير دخل عليها وهي عمياء وقد بلغت مائة سنة ، فقال : يا أماه ، ما ترين ؟ قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي ! فقالت : لا يلعبنَّ بك صبيان بني أمية : عش كريماً ومت كريماً . ولمّا قُتل ابن الزبير ، خرجت أسماء الى الحجّاج فقالت له : أتأذن لي أن أدفنه ، فقد قضيت أرَبَك منه ؟ قال : لا ! ثم قال لها : ما ظنُّكِ برجلٍ قتل عبد الله بن الزبير ؟ قالت :

١ ـ يتسرّى: يتخذ سرية وهي الأمة تقام في البيت .
٢ ـ عرّد: مال وانحرف . .

حسبيه الله ! فلمّا منعها أن تدفنه قالت : أما إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : يخرج من ثقيف رجلان : الكذاب والمبير ! فأما الكذاب فالمختار ، وأما المبير فأنت . فقال الحجاج : أللهم مبير لا كذاب .

« من لقّبها بذات النطاقين ؟ »

يقولون : دخل ابن الزبير على أمه أسماء ، فقال لها : سمعتِ رحمك الله ما يقول القوم ، وما يدعونني إليه من الأمان ؟ قالت : سَمعتُهُم لعنهم الله ، فما أجهلهم واعجبْ منهم إذ يعيّرونك بذات النطاقين! ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال : وما ذاك يا أُماه ؟ .

قالت : خرج رسولُ الله ﷺ في بعض أسفاره مع أبي بكر فهيأتُ لهما سفرة ، فطلبا شيئاً يربطانها بها فما وجداه ، فقطعتُ من مئزري لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسول الله ﷺ أما إن لك به نطاقين في الجنة ! .

فقال عبد الله : الحمدُ لله حمداً كثيراً ، فما تأمرينني به ، فإنهم قد أعطوني الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريماً ولا تتبع فاسقاً لئيماً وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله .

فقبّل رأسها وودعها ، وضمته إلى نفسها ، ثم خرج من عندها ، وجعل يقاتل وحده حتى أُثخِن بالجراحات ولم يستطع النهوض ، فدخل عليه الحجاج فدعا بالنطع(1) فحزّ رأسه هو بنفسه في داخل مسجد الكعبة ، لا رحم الله الحجاج ! ثم بعث برأسه إلى عبد الملك بن مروان ، ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزيها ، فأذنت له ، فقالت له : يا حجاج ، قتلت عبد الله ؟ قال : يا بنة أبي بكر ، إني قاتلُ المُلحدين ، قالت :بل قاتلُ المؤمنين الموحدين . قال لها : كيف رأيتِ ما صنعتُ بابنك ؟ قالت : رأيتُك أفسدتَ عليه دنياه وأفسدَ عليك آخرَتك ، ولا ضيرَ إن أكرمه الله على يديك ، فقد أُهدي رأسُ يحيى بن زكريا إلى بغيٍّ من بغايا بني اسرائيل ! .

ويروى أن عبدالله قبل موته، دخل على أمه وقد كفَّ بصرهافسلّم،

---

١ ـ النطع : بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس .

فقالت : من هذا ؟ فقال : عبد الله ! فتشمّمته ثم قالت : يا بنيّ ، مُتْ كريماً ! فقال لها : إن هذا قد أمّنني . يعني الحجاج . قالت : يا بنيّ لا ترضَ الدّنيّة، فإن الموت لا بدَّ منه ! قال : إني أخاف أن يُمثّلَ بي . قالت : إن الكبش إذا ذُبح لم يألَمْ من السلخ ! وقال أيوب عن أبي قلابة: شهدتُ ابنة أبي بكر غسَّلتْ ابنها ابن الزبير بعد شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذُهبَ برأسه ، وكفّنته ، وصلّتْ عليه .

« أسماء بنت عُمَيس » تستمشي ..

أسلمت أسماء قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بمكة وبايعتْ وهاجرتْ إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب . وقالت : يا رسول الله إن رجالاً يفخرون علينا ويزعمون أن لسنا من المهاجرين الأولين . فقال رسول الله ﷺ : بل لكم هجرتان هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرهنون بمكة ثم هاجرتم بعد ذلك ، ورُوي أنّ النبي ﷺ قال لأسماء بنت عُميس : بِمَ كنتِ تستمشين[1] في الجاهلية ؟ قالت : بالشبرم[2] . قال : حار حار . ثم قالت : استشميت بالسنا . قال : لو أن شيئاً يرد القدر لردّه السنا .

رواية أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ

وأسماء هي محدثةٌ فاضلة ومجاهدة جليلة . كانت من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقّبوها بخطيبة النساء .

روتْ عن النبي ﷺ أنه قال : اسمُ الله الأعظم فيما بين الآيتين : ﴿ وإلَهُكُم إلَهٌ واحدٌ لا إلَهَ إلاّ هو الرَّحمنُ الرَّحيمُ ﴾ ، وفاتحةِ آل عمران : ﴿ الٓمٓ . الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القيُّومُ ﴾ .

أمامة بنت الحارث (خبر زواج ابنتها أم أياس)

كان عمرو بن حُجْر ملكُ كندة ـ وهو جدُ امرىء القيس ـ أراد أن يتزوجَ ابنة عوف بن محلّم الشيباني ، الذي يقال فيه : « لا حرَّ بوادي عوف » لإفراط

١ ـ استمشى الرجل: شرب المشو وهو الدواء المسهل للبطن .
٢ ـ الشبرم: ضرب من العشب يُستعمل كدواء مسهل .

عزه ، وهي أم أياس ، وكانت ذات جمالٍ وكمال ؛ فوجّه إليها امرأة يقال لها عصام ، لتنظر إليها وتمتحنَ ما بلغه عنها : فدخلت على أمها أمامة ابنةِ الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها [فقالت] : أي بنية ، هذه خالتُك أتتْ إليكِ لتنظر إلى بعض شأنك ؛ فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجهٍ وخلقٍ ، وناطقيها فيما استنطقتكِ فيه . فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم تَرَ عينها مثلَه قطّ ، بهجةً وحسناً وجمالاً ، وإذا هي أكملُ الناس عقلاً ، وأفصحُهم لساناً ؛ فخرجت من عندها وهي تقول : « تركَ الخداعَ من كشفَ القناعَ » . فذهبت مثلاً ، ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : « ما وراءكِ يا عصامُ » ؟ فأرسلها مثلاً . قالتْ : « صرَّح المخضُ عن الزبد » ، فذهبت مثلاً . قال : أخبريني . قالت : أخبرك صدقاً وحقاً : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ، إنْ أرسلتْه خلتَه السلاسل ، وإنْ مشّطَتْه قلت عناقيدُ كرْم جلاها الوابل[1] ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطّا بقلم ، أو سُوِّدا بحُمم ، قد تقوّسا على مثل عين العَبْهرة[2] التي لم يَرُعْها قانص ولم يذعرْها قسورة[3] ، بينهما أنفٌ كحدّ السيف المصقول ، لم يخنسْ به قصر ، ولم يُمعنْ به طول ، حفّتْ به وجنتان كالأرجُوان ، في بياضٍ محض كالجمان ، شقّ فيه فمٌ كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غُرّ ، ذواتُ أشر ، وأسنانٌ تبدو كالدر ، وريقٌ كالخمر ، له نشرُ الروض بالسحر ، يتقلبُ فيه لسانٌ ذو فصاحةٍ وبيان ، يقلّبه به عقلٌ وافر ، وجوابٌ حاضر ، تلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد ، يجلبان ريقاً كالشهد ، تحت ذاك عنقٌ كإبريقِ الفضة ، رُكّب في صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحماً ، مكتنزان شحماً ، وذراعان ليس فيهما عظمٌ يُحَس ، ولا عرقٌ يُجَس ، ركبتْ فيهما كفان دقيقٌ قصبُهما ، ليّنٌ عصبُهما ، تعْقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركّب الفصوص في حُفر المفاصل ، وقد تربّعَ في صدرها حُقّان[1] كأنهما رمانتان ، يخرقان عليها

---

١ ـ الوابل : المطر الشديد .

٢ ـ العبهرة : ضرب من المها .

٣ ـ القسورة : الأسد .

١ ـ الحُق : وعاء الطيب .

ثيابَها ، من تحته بطن طُويَ كطيّ القباطيّ[٢] المدمجة ، كُسي عُكناً[٣] كالقراطيس المدْرجة ، تحيط تلك العكن بسرّة كمدهن العاج المجلوّ ، خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهي إلى خصرٍ لولا رحمةُ الله لانخـزل ، تحته كفلٌ[٤] يُقعدها إذا نهضت ، ويُنهضها إذا قعدتْ ، كأنه دِعصٌ[٥] رمل ، لبّده سقوط الطل ، يحمله فخذان لفّاوان ، كأنهما نضيدُ الجمان ، تحملهما ساقان خدَلَّجتان كالبَردى وُشِّيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزرد ، ويحمل ذلك قدمان كحذْو اللسان ، تبارك الله ، مع صغرهما كيف تطيقان حملَ ما فوقهما ، فأما ما سوى ذلك فتركتُ أن أصفه غيرَ أنه أحسنُ ما وصفَه واصفٌ بنظمٍ أو نثر .

قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها . . .

خبر عن امرأة عقيل بن أبي طالب

يقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل : يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً ؛ أين أبي ؟ أين أخي ؟ أين عمي ؟ كأن أعناقهم أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلتِ جهنم فخذي على شمالك .

أم أوفى تدين عائشة بعد وقعة الجمل

قال أبو بكر بن أبي شيبة : دخلت أمُّ أوفى العبدية على عائشة بعد وقعةِ الجمل فقالت لها : يا أمَّ المؤمنين ، ما تقولين في امرأةٍ قتلتْ ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وجبتْ لها النار ! قالت : فما تقولين في امرأة قتلتْ من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد ؟ قالت : خذوا بيد عدوَّة الله ! .

وصية أمامة ابنة الحارث لابنتها « أم أياس »

العباس بن خالد السهمي قال : خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيباني ابنَته أمَّ إياس ، فقال : نعم ، أزوجكها ، على أنه أسميَ بنيها

---

٢ ـ القباطي : ثياب من كتّان منسوبة إلى القبط .
٣ ـ العكن : ما انطوى وتثنّى من لحم البطن . واحدتها عكنة .
٤ ـ الكفل : العُجز .
٥ ـ الدعص : كثيب الرمل المجتمع . مفرده الدعصة .

وأزوّج بناتها . فقال عمرو بن حجر : أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهنّ من الملوك ، ولكني أصدِقُها[1] عقاراً في كندة ، وأمنحها حاجات قومها ، لا تُردّ لأحد منهم حاجة ! فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه إياها ؛ فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت : أي بنية ، إنك فارقتِ بيتك الذي منه خرجتِ ، وعشَّكِ الذي فيه درجتِ ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فكوني له أمَةً يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً تكنْ لكَ ذخراً : أما الأولى والثانية ، فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة ؛ وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلّا أطيبَ ريح ؛ وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حرارة الجوعِ ملْهبة ، وتنغيصَ النوم مغضبة ؛ وأما السابعة والثامنة ، فالاحتفاظ بماله والإرعاءُ على حشمه وعياله ، وملاكُ الأمر في المال حُسنُ التقدير ، وفي العيال حُسنُ التدبير ؛ وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصيَنَّ له أمراً ، ولا تفشيَنَّ له سرّاً ، فإنكِ إن خالفتِ أمرَه أوغرتِ صدره ، وإن أفشيتِ سرَّه لم تأمني غدره ؛ ثم إياك والفرحَ بين يديه إذا كان مهتماً ، والكآبةَ بين يديه إذا كان فرحاً .

فولدتْ له الحارث بن عمرو ، جدَّ امرىء القيس الشاعر .

خبر أم البنين مع عزّة

دخلت عزّة صاحبة كثيِّر على أم البنين زوج عبد الملك بن مروان ، فقالت لها : أخبريني عن قول كثيّر :

قضَى كلُّ ذي دين فوفى غريمه وعـزّة ممطولٌ معنّى غـريمُها[1]

ما هذا الدينُ الذي طلبكِ به ؟ قالت : وعدتُه بقُبلة فتحرّجت منها . قالت : أنجزيها وعليّ إثمها .

---

١ ـ أصدقها: من الصداق وهو المهر .

١ ـ المعنّى: المريض بالحب .

أم البنين (بنت عبد العزيز بن مروان)

من ربّات الفصاحة والبلاغة ، قرعت بجوابها حجّة الحجّاج وأفحمته بكلام مبين . وذلك أن الحجّاج قدم على الوليد بن عبد الملك ، فدخل عليه وعليه درعٌ وعمامةٌ سوداء وقوس عربية ، وكنانة ؛ فبعثتْ إليه أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان : مَن هذا الأعرابي المستلْئم[1] في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث إليها : هذا الحجاج بن يوسف . فأعادت الرسول إليه تقول : والله لأن يخلوَ بك ملكُ الموت أحبُّ إليّ من أن يخلوَ بك الحَجّاج ! فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، دعْ عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ؛ فإنما المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة[2] ؛ فلا تطلعها على سرِك ومُكايدة عدوك . فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ، حاجتي أن تأمره غداً يأتيني مستلئماً . ففعل ذلك ؛ فأتاها الحجاج فحجبته ، فلم يزل قائماً ؛ ثم قالت له : إيه يا حجاج ! أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا إن الله علم أنك من شرار خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة ، وقتل ابن ذات النطاقين[3] ، أولِ مولودٍ وُلد في الاسلام ، وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغِ أوطاره منهن ؛ فإن كنّ ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالأخذ عنك ، وإن كن ينفرجن عن مثله فغيرُ قابلٍ لقولك : أما والله لقد نفض نساءُ أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهن فبعْنَه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من الفرق ، قد أظلتك رماحُهم ، وأثخنك كفاحُهم ؛ وحين كان أمير المؤمنين أحبَّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ، فما نجّاك الله من عدو أمير المؤمنين إلا بحبهم إياه ؛ ولله درّ القائل إذ نظر إليك وسنانُ غزالة بين كتفيك :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ ربواء تجفل من صفير الصافرِ[4]

---

١ ـ المستلئم: المتدرّع. واللأمة هي الدرع .
٢ ـ القهرمانة: القصيرة من النساء .
٣ ـ ذات النطاقين: اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر سبب تسميتها بذات النطاتين في أخبارها في هذا الكتاب .
٤ ـ ربواء: خائفة .

هلّا برزْتَ إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في مخالب طائرِ

ثم قالت : أخرج ! فخرج مذموماً مدحوراً .

«بعض من أخبارها»

يُذكر أن أم البنين استأذنت زوجها الوليد بن عبد الملك في الحج فأذن لها وكتب الوليدُ يتوعدُ الشعراءَ جميعاً أن يذكرها أحدٌ منهم ، أو يذكرَ ممن معها ، فقدمتْ مكةَ ، وتراءت للناس ، وتصدّى لها أهلُ الغزل والشعراء ، ووقعت عينها على وضّاح[1] اليمن فهويته . وأنفذت إلى كثّير عزة وإلى وضاح اليمن أن شبِّبا بي . فكره ذلك وشبَّب بجاريتها غاضرة وذلك في قوله :

شجا أظعان غاضرة الغوادي بغير مشورة عرضا فؤادي

وأما وضاح اليمن فإنه صرّحَ ، فبلغ ذلك الوليد فقتله ، وقيل : إنه مدح الوليد فوعدته أمُ البنين أن تساعدَه وتعينَه على رفده ، فقدِم على الوليد وأنشده :

صبا قلبي ومال إليك ميْلا وأرّقني خيالُك يا أثيلا
يمانيةٌ تلمُ بنا فَتُبدي دقيقَ محاسن وتكن غيلا

وهي أبيات مشهورة فأحسن رفده . ثم نُميَ إليه أنه يُشبّب بأم البنين فجفاه وحجبه ودبّر في قتله واختلسه ودفنه في داره .

ومن كلام أم البنين وأعمالها الخيرية أنها قالت : أُفٍ للبخل ، لو كان قميصاً ما لبسته ، ولو كان طريقاً ما سلكته . وكانت أم البنين تبعث إلى نسائها فتجمعهن فيتحدثن عندها وهي قائمة تصلي ، ثم تنصرف إليهن فتقول : أُحبّ حديثكن ، فإذا أقمت في صلاتي لهوتُ عنكن ونسيتكن . وكانت تكسوهن

---

١ ـ وضّاح اليمن : هو عبد الرحمن بن إسماعيل، من آل خولان، من حمْيَر: شاعر، رقيق الغزل، عجيب النسيب، .كان جميل الطلعة يتقنّع في المواسم. له أخبار مع عشيقة له اسمها « روضة » من أهل اليمن. قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبد الملك، فرأى « أم البنين » بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد، فتغزّل بها، فقتله الوليد سنة ٩٠ هـ . وهو صاحب الأبيات التي منها :

قالت: ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجل غائر

وفي المؤرخين من يسميه عبدالله بن إسماعيل .

الثيابَ الحسنة وتعطيهن الدنانير ، وكانت تقول : جعل لكل قومٍ نهمة في شيء ، وجعلتُ نهمتي في البذل والإعطاء . والله للصلةُ والمؤاساةُ أَحبُّ إليَّ من الطعام الطيّب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ . وكانت تقول : وهل يُنالُ الخيرُ إلّا باصطناعه ؟ . وكانت تقول : ما حسدتُ أحداً قط على شيء إلّا أن يكونَ ذا معروف ، فإني كنتُ أحبُ أن أشركه في ذلك .

أم تأبّط شراً تجيب الحجّاج

هي شاعرة من شواعر العرب ، لها في ابنها تأبط شراً (ثابت بن سفيان) مراثٍ كثيرة ، فمنها قولها فيه:

نعمَ الفتى غـادرتم بـرَخْمـان من ثابت بن جابر بن سفيان[1]
يجـدّل القرن ويـروي الندمـان ذو مأقط يحمي وراء الإخوان[2]

يُروى أنها قالت للحجاج حين سألها عن ابنها : إني والله ما حملتُه سهواً ، ولا وضعتُه يتناً ، ولا أرضعتُه غيلاً ، ولا أنمتُه تئقاً . تعني : لم أنوّمْه مستوحشاً باكياً ؛ وقولها : ما حملته سهواً ، تعني في بقايا الحيض ؛ ويقال : حملت المرأة وُضْعاً وتُضعاً ، إذا حملت في استقبال الحيض ؛ وقولها : ولا وضعته يتناً ، تعني منكساً ؛ وقولها : ولا أرضعته غيـلاً ، تعني لبناً فاسداً .

أم جعفر وابن حزم الأنصاري وأخوها أيمن

هي أم جعفر بنت عبد الله بن عُرفُطة الأنصارية ، كان يشبّبُ بها الأحوص فقال :

لقد منعتْ معروفَها أمُ جعفر وإني إلى معروفها لفقيـرُ
وقد أمكرتْ بعد اعتراف زيارتي وقد وغرتْ فيها عليَّ صدورُ
أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ

---

١ ـ رخمان: موضع في ديار هذيل عنده قتل تأبط شراً .
٢ ـ القِرن: نظيرك في الشجاعة أو العلم وغيرهما .
٢ ـ الهنيدة: المائة من الإبل .
٣ ـ رمام: بالية .

وكان لأم جعفر أخٌ يقال له أيمن ، فاستعدى عليه ابن حزم الأنصاري وهو والي المدينة للوليد بن عبد الملك ـ وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ـ فبعث ابنُ حزم إلى الأحوص فأتاه ، وكان ابن حزم يبغضه ؛ فقال : ما تقولُ فيما يقولُ هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يزعم أنك تشبّبُ بأخته وقد فضحتَه وشهرت أختَه بالشعر . فأنكر ذلك، فقال لهما : قد اشتبه عليَّ أمركما ، ولكني أدفعُ إلى كل واحد منكما سوطاً ، ثم اجتلدا ! وكان الأحوص قصيراً نحيفاً ، وكان أيمن طويلاً ضخماً جلداً ، فغلب أيمنُ الأحوصَ فضربه حتى صرعه وأثخنه ، فقال أيمن :

لقد منعَ المعروفَ من أمّ جعفر ... اشمُّ طـويـلُ السـاعـدين غيـورُ
علاكَ بمتنِ السّوْط حتى اتّقيته ... بـأصفرَ من مـاء الصّفاقِ يفـورُ

فلما رأى الأحوص تحامُلَ ابن حزم عليه ، امتدحَ الوليدَ ثم شخص إليه إلى الشام ، فدخل عليه فأنشده :

لا ترثينّ لحزميّ رأيتَ به ... ضُرّاً، ولو أُلقيَ الحزميُّ في النارِ
الناخين لمروانٍ بذي خُشُبٍ . ... المدخلين على عثمانَ في الدارِ

قال له : صدقت والله ، لقد كنا غفَلنا عن حزمٍ وآلِ حزم . ثم دعا كاتبه فقال : أكتب عهد عثمان بن حيان المرّي على المدينة ؛ واعزل ابن حزم ، واكتب بقبض أموال حزمٍ وآل حزم واسقاطهم أجمعين من الديوان ، ولا يأخذوا لأموي عطاءً أبداً . ففعل ذلك ، فلم يزالوا في الحرمان للعطاء مع ذهاب الأموال والضياع . حتى انقضت دولةُ بني أميةَ وجاءت دولةُ بني العباس .

أم حزرة لا تُرويها مائة ناقة

هي أمرأة جرير بن الخطفي الشاعر الأموي المعروف.
لما مدح جريرُ الحجاج بن يوسف بشعره الذي يقول فيه :

مَنْ سَـدّ مطّلعَ النفـاق عليكُم ... أم مَنْ يصولُ كصولة الحجاج

قال له الحجاج : إن الطاقة تعجز عن المكافأة ، ولكني موفدُك على أمير

المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فسِرْ إلَيه بكتابي هذا فسار إليه ؛ ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له ، فقال :

* أتصحو أمْ فؤادُك غيرُ صاحي *

قال له عبد الملك : بل فؤادك فلما انتهى إلى قوله :

تعزَّتْ أمُّ حَزرةَ ثم قالت رأيتَ الواردينَ ذوي امتياحِ
ثقي بالله ليس له شريكٌ ومِنْ عندِ الخليفةِ بالنجاحِ
سأشكر إن رددتَ إليّ ريشي وأثبتَّ القوادمَ في جناحي
ألستُمْ خيرَ مَن ركبَ المَطَايا وأندَى العالمينَ بُطونَ راح[1]

ارتاح عبد الملك ، وكان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : مَن مدحنا منكم فليمدحْنا بمثل هذا أو ليسكتْ ! ثم قال له : يا جرير ، أترى أم حزرة تُرويها مائة ناقة من نعم كلب ؟ قال : إذا لم تُروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله . فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب . كلها سود الحدقة . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها أبَاق[1] ونحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته ، فلو أمرتَ بالرِّعاء ، فأمر له بثمانية من الرعاء ، وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقضيب في يده ، فقال له جرير : والمِحلَبُ يا أمير المؤمنين ، وأشار إلى صحفة منها ؛ فنبذها إليه بالقضيب ، قال : خُذْها لا نفعتْكَ ! ففي ذلك يقول جرير :

أعطوا هُنَيدةَ يحدوها ثمانيةٌ ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرفُ[2]

أم حفص في شعر الأحوص

صاحبة الأحوص . ومن جيِّد ما قاله فيها :

كأنّي من تذكر أمِّ حفصٍ وحبلُ وِصالِها خَلَقٌ رمامُ[3]
صريعُ مُدامَة غَلبْت عليه تموتُ لهَا المفاصلُ والعظَامُ
سلامُ الله يا مطرٌ عليها وليسَ عليكَ يا مطرُ السلامُ

١ ـ المطايا، واحدتها مطية وهي كل ما يمتطى ويُعتلى ظهره كالناقة أو الفرس وسواهما. والشطر الثاني كناية عن الكرم والعطاء .

١ ـ الأبَاق: جمع آبق وهو الهارب من سيده. يريد أنهم لا طاقة لهم على رعايتها والعناية بها ومنعها من الفرار .

فإن يكُنِ النكاحُ أحلَّ شيءٍ   فإنّ نكاحَها مطراً حرامُ

أم خالد بنت يزيد تفتدي زوجها

لمّا أُخِذ عبد الله بن مروان وقُدِمَ به على المهدي ، جاءت امرأتُه بنت يَزيد بن محمد بن مروان بن الحكم ، فكلّمت العباس بن يعقوبَ كاتب عيسى ابن علي وأعطته لؤلؤاً ، ليكلمَ فيه عيسى ؛ فكلّمه وأعلمه بما أعطته ؛ فلم يكلم فيه عيسى بن علي المهديَّ ؛ وأراد المهدي أن يقتله ؛ فقال له عيسى : إن له في أعناقنا بيعة ؛ وقد أعطي كاتبي قيمة ثلاثين ألف درهم . فحبسه المهدي .

وكان عبد الله بن مروان تزوج ابنة يزيد بن محمد بن مروان ؛ وكانت في الحبس ، فلما أخرجهم العباس خرجت إلى مكة فأقامت بها وقدم عبد الله بن مروان سراً فتزوّجها .

وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

من ربات الفصاحة والبلاغة . عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي ، قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أمّ الخير بنت الحُريش بن سُراقة البارقي برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابُه ركب إليها فأقرأها كتابه ؛ فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلّة بكذب ، ولقد كنت أحبّ لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري . فلمّا شيّعها وأراد مفارقتها قال لها : يا أمَّ الخير ، إن أمير المؤمنين كتبَ إليّ أنه مجازيني بالخير خيراً وبالشر شراً ، فما لي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يُطْمِعنْك برُّك بي أن أسرّك بباطل . ولا تؤيسْك معرفتي بك إن أقول فيك غير الحق . فسارت خيرَ مَسيرٍ حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحَرَم ؛ ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، بحقّ ما دعوتني بهذا الإسم . قالت : يا أمير المؤمنين ، مَهْ ، فإن بديهةَ السلطان مَدْحَضَةٌ لما يُحب علمه ، ولكلِّ أجلٍ كتاب . قال : صدقتِ ! فكيف حالُكِ يا خالة ؟ وكيف كنتِ في مَسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خَيرٍ وعافيةٍ

حتى صرتُ إليك ؛ فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق .قال معاوية : بِحُسنِ نيتي ظَفِرْت بكم . قالت : يا أمير المؤمنين ، يُعيذكَ الله من دحْضِ المقال وما تُروي عاقبتُه . قال : ليس هذا أردنا . أخبرينا كيف كان كلامُك إذ قُتل عمارُ بن ياسر ؟ قالت : لم أكن زوّرْتُهُ قبل ، ولا روّيتُه بعد ؛ وإنما كانت كلمات نَفَثها لساني عند الصدمة ؛ فإن أحببتَ أن أُحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت . فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال : أيكم يحفظ كلامَها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظُ بعضَ كلامها يا أمير المؤمنين . قال : هات . قال : كأني بها وعليها بُرد زبيدي[1] كثيف بيّن النسج ، وهي على جمل أومك وقد أُحيط حولها ، وبيدها سَوْطٌ منتشر الضفيرة ، وهي كالفحل يهدِرُ في شِقشِقته[2] ، تقول : يأيُّها النّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم ، إنّ زلزلةَ الساعَةِ شيءٌ عظيمٌ ! إن الله قد أوضح لكم الحقَ ، وأبان الدليلَ ، وبيّن السبيلَ ، ورفع العَلَم ، ولم يَدَعكم في عماء مُدلهمّة ؛ فأين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فِراراً من الزحف ، أم رغبةً عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله جلّ ثناؤه يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتَّى نعلمَ المُجاهِدِينَ منكُمْ والصَّابرينَ وَنَبْلُوَا أخبَارَكُمْ ﴾ ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : أللهم عيلَ الصبر ، وضَعُفَ اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يا ربّ أزِمّة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألِّف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله . هَلُمُّوا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضيّ التقيّ ، والصديق الأكبر ؛ إنها إحَنٌ بدرية[1] ، وأحقادٌ جاهلية ، وضغائن أُحُدِية وَثَب بها واثبٌ حينَ الغفلة ، ليدرك ثاراتِ بني عبد شمس . ثم قالت : ﴿ قاتِلوا أئِمَّةَ الكُفرِ إنّهمْ لا أيْمانَ لَهُم لعلهم ينتَهُون ﴾ صبراً يا معشرَ المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرةٍ من ربكم ، وثباتٍ من دينكم ؛ فكأني بكم غداً ولقد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة ، فرّتْ من قسورة[2] ، لا تَدري أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ،

---

١ ـ برد زبيدي : ثوب مختار .

٢ ـ الشقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

١ ـ إحن : احقاد . وبدرية نسبة الى بدر .

٢ ـ القَسْورة والقسور : الأسد .

واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعَمَى وعما قليلٍ ليُصبحُنَّ نادمين ، حتى تحلَّ بهم الندامةُ فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص . إنّه من ضلَّ والله عن الحق وَقَع في الباطل .

ألا إن أولياء الله استصغروا عمرَ الدنيا فرفَضُوها ، واستطابوا الآخرةَ فَسَعَوْا لها ، فالله الله أيها الناس، قبل أن تبطلَ الحقوق، وتعطَّلَ الحدود، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمةُ الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهرِه وأبي سِبْطَيْه ، خُلِق من طينته ، وتفرّع من نبعته ، وخصّه بسرّه وجعله بابَ مدينته ، وأعلمَ بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين : ها هو ذا مُفَلِّقُ الهام ، ومكسِّر الأصنام ؛ صلّى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزلْ في ذلك حتى قَتَل مبارزي بدر ، وأفنى أهلَ أُحُد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهلَ خيبر ، وفرّق به جمع هوازن ؛ فيا لها من وقائع زرعت في قلوبٍ نفاقاً ، وردّةً وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، وقد اجتهدتُ في القول ؛ وبالَغتُ في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردتِ بهذا الكلام إلا قتلي ، ولو قتلتُكِ ما حرِجتُ[1] في ذلك .

قالت : والله ما يسوءُني أن يَجريَ قتلي على يَدَيْ من يُسعِدُني الله بشقائه .

قال : هيهات يا كثيرةَ الفضول . ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟ قالت : وما عسيتُ أن أقول في عثمان ، استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية : يا أم الخير ؛ هذا أصلك الذي تَبنين .

قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيداً ؛ ما أردتُ بعثمان نقصاً ، ولكن كان سابقاً إلى الخير ، وإنه لرفيع الدرجة غداً .

---

١ ـ ما حرجت في ذلك: أي لما وقع عليّ اللوم .

قال : فما تقولين في طلحة بن عبد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيلَ من مأمِنِه ، وأُتي من حيث لم يَحذَرْ ، وقد وعده رسول الله ﷺ الجنة .

قال : فما تقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريّه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وقد كان سبّاقاً إلى كل مكرمةٍ في الإسلام ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، فإنّ قريشاً تَحدَّثتْ أنك أحلمُها : أن تَسَعْني بفضل حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها .

قال : نعم ونعمَةَ عين ، قد أعفيتُك منها . ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردّها مكرمة .

أم سعيد في شعر الأحوص

جارية كانت للأحوص بالمدينة . قال فيها :

إن زَيْن الغديرَ مَنْ كَسَرَ الجرّ ... وغنّى غناءَ فحلٍ مُجيدِ
قلت: من أنت يا مليحةُ؟ قالت: ... كنتُ فيما مضى لآلِ الوليدِ
ثم قد صِرتُ بعد عزٍّ قريشٍ ... في بني عامرٍ لآلِ الوحيدِ
وغنائي لمعبدٍ ونشيدي ... لفتى الناس الأحوص الصنديدِ
فتضاحكتُ ثم قلتُ أنا الأحوصُ ... والشيخُ معبدٌ فأعيدي
فأعادتْ وأحسنتْ ثم ولّتْ ... تتهادى فقلت أمّ سعيدِ
يقصُرُ المالُ عن شراك ولكن ... أنتِ في ذمّةِ الإمامِ الوليدِ

غنّاه معبد .

أم سلمة تروي عن الرسول ﷺ

أم سلمة بنت أبي أمية (أم المؤمنين) زوج الرسول ﷺ. روى الشعبي عن أم سلمة قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ .

١ ـ الزلل: الوقوع في الخطأ.

وقالت : من خرج في طاعة الله ، فقال : أللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا رياء ولا سمعة ، ولكني خرجتُ ابتغاءَ مرضاتك واتقاءَ سخطك ؛ فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقني من الخير أكثر مما أرجو ، وتصرف عني من الشر أكثر مما أخاف . استجيب له بإذن الله .

وروى حفيدها عبد الرحمن عنها أنها قالت : لما بنى رسول الله ﷺ مسجده بالمدينة أمر باللبن يُضرب وما يُحتاج إليه ؛ ثم قام رسول الله ﷺ ، فوضع رداءه ؛ فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتَهم وأكسِيتَهم يعملون ويرتجزون ويقولون :

لئن قَعَدْنا والنبيُّ يعمَلُ ذاك إذاً لعَمَلُ مضلَّلُ

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلًا نظيفاً متنظفاً ، فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفض كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفضه ؛ فنظر إليه عليّ رضي الله عنه فأنشده :

لا يستوي من يعمُرُ المساجدا يَدأَبُ فيها راكعاً وساجدا
وقائماً طَوْراً وطَوْراً قاعدا ومن يُرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعني ؛ فسمعه عثمان فقال : يا ابن سمية ، ما أعرفني بمن تعرّض ، ومعه جريدة[1] ، فقال : لتَكُفَّنَّ أو لأعترِضنَّ بها وجهك ! فسمعه النبي ﷺ وهو جالس في ظل حائط ، فقال : عمّار جلدةُ ما بين عينيّ وأنفي ، فمن بلغ ذلك منه ؟ وأشار بيده فوضعها بين عينيه ، فكفَّ الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله ﷺ قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن . فقال أنا أُرضِيه كما غضِب . فأقبل عليه فقال يا رسول الله ،ما لي ولأصحابك ؟ قال :وما لك ولهم؟ قال : يريدون قتلي ، يحملون لبنة [لبنةً] ويحملون عليّ لبنتين . فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه منْ التراب ويقول : يا ابن سمية ، لا يقتلك أصحابي ؛ ولكن تقتلك الفئة الباغية فلما قُتل بصفين وروى هذا الحديث عبد الله بن عمرو

---

١ ـ الجريدة: قضيب النخل المجرّد من خوصه .

ابن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ؛ لأنهم أخرجوه إلى القتل . فلما بلغ ذلك علياً قال : ونحن قتلنا أيضاً حمزة ، لأنا أخرجناه .

ومن حديث أم سلمة ، قالت : كان عندي النبي ﷺ ومعي الحسين ، فدنا من النبي ﷺ ، فأخذته ، فبكى فتركته ؛ فقال له جبريل : أتحبه يا محمد ؟ قال : نعم ! قال : أما إن أمتَك ستقتله ، وإن شئت أريتُك من تربة الأرض التي يقتل بها ! فبسط جناحه ، فأراه منها ، فبكى النبي ﷺ .

« رسائلها إلى معاوية وعائشة أم المؤمنين »

كتبت أم سلمة إلى معاوية :

إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبه ، وأنا وأشهد أن الله أحبَّه ورسولَه .

وكتبت إلى عائشة أم المؤمنين إذ عزمت على الخروج إلى الجمل :

من أم سلمة زوج النبي ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين : فإني أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلا هو ؛ أما بعد ؛ إنك سُدّةٌ بين رسول الله ﷺ وأمته ، وحجاب مضروب على حرمته ، قد جمع القرآن ذَيْلك فلا تندحيه وسكّر خفارتك فلا تبتذليها . فالله من وراء هذه الأمة ، ولو علم رسول الله ﷺ أن النساء يحتملن الجهاد عهد عليك ، أمَا علمت أنه قد نهاك عن الفراطة في البلاد فإن عمود الدين لا يثبتُ بالنساء إن مال ، ولا برأبٍ بهن إن انصدع ؟ جهاد النساء : غض الأطراف ، وضم الذيول ، وقِصَر الوهازة[1] . ما كنتِ قائلة لرسول الله ﷺ لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصّة قعوداً من منهل إلى منهل ؟ وغداً تَرِدين على رسول الله ﷺ ؛ وأقسم لو قيل لي : يا أمَّ سلمة أدخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكةً حجاباً ضربه عليّ فاجعليه سترك ، ووقاعةَ[2] البيت حصنك ؛ فإنك أنصحُ ما تكونين لهذه الأمة ما قعدتِ عن نصرتهم ؛ ولو أني

---

١ ـ الوهازة: مشية الخفرات من النساء .

٢ ـ الوقاعة: صلابة الأرض لا تكاد تنشّف الماء. ووقاعة الستر: موضع وقوع طرفه على الأرض إذا أُرسل

حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشتني نهش الرقشاء المطرقة . والسلام .

أم سنان تسعى لتخليص حفيدها

قال سعيد بن حذاقة : حبس مروانُ بن الحكم وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها ، فأتته جدةُ الغلام أمُّ أبيه ، وهي أم سنان بنت خيثمة ابن خرشة المذحجية ، فكلّمته في الغلام فأغلظ لها مروان . فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت فعرفها ، فقال لها : مَرحباً يا ابنة خيثمة ، ما أقدمَك أرضنا وقد عهدتُك تشتميننا وتُحضِّين علينا عدوَّنا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة وأعلاماً ظاهرة وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سنَّ آباؤه لَأنْتَ ، قال : صدقت ! نحن كذلك ، فكيف قولك :

عـزبَ الرّقـادُ فمُقلتي لا ترقُـدُ ... والليلُ يصدِرُ بالهموم ويُورِدُ
يا آلَ مَذْحِجَ لا تُقامَ فسمِّروا ... إنّ العدوّ لآلِ أحمدَ يقصِدُ
هذا عَليّ كالهـلال تحُفُّه ... وسطَ السماء من الكواكب أسْعُدُ
خيرُ الخلائق وابنُ عمِّ محمّدٍ ... إنْ يهدِكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مُذ شهِدَ الحروبَ مُظفَّرا ... والنصر فوق لوائه ما يفقدُ

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده . فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة :

إمّا هَلكْت أبا الحسين فلم تَزَل ... بـالحقّ تُعْـرَفُ هـادياً مهـديـا
فاذهب عليك صلاةُ ربِّك ما دعتْ ... فـوقَ الغصـون حمـامـةٌ قُمريًـا
قد كنْتُ بعد محمّد خلفاً كما ... أوصى إليـك بنـا فكنت وفيًـا
فـاليـومَ لا خَلَفٌ يؤمَّـلُ بعـدَهُ ... هيهـات نـأمُـلُ بعـده إنْسِيًـا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسانٌ نطَق ، وقولٌ صَدَق ، ولئن تحقق فيك ما ظننَّا فحظك الأوفر . والله ما ورثك الشَّنَآن[1] في قلوب المسلمين إلا هؤلاء .

---

١ ـ الشنآن : المبغض .

فأَدحِضْ مقالتَهم . وأبعِد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزددْ من الله قُرباً ، ومن المؤمنين حُبّا . قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مُدح بباطل ، ولا اعتُذِر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله عليٌّ أحبَّ إلينا منك ، وأنت أحبُّ إلينا من غيرك ، قال : مَمّن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص . قال : وبم استحققْتُ ذلك عندك ؟ قالت : بسعَةِ حلمك وكريم عفوك . قال : فإنهما يطمعان في ذلك . قالت : هما والله من الرأي على ما كنتَ عليه لعثمان بن عفان رحمه الله . قال : والله لقد قاربْتِ ، فما حاجتك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إن مروان تَبَنَّك[1] بالمدينة تبنك من لا يريد منها البَراح ، لا يحكم بعدل ، ولا يقضي بسُنّة ، يتتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابنَ ابني ، فأتيته ، فقال كيت وكيت فألقمتُهُ أخْشَنَ من الحجر ، وألعقتُه أمرَّ من الصّاب[2] ثم رجعتُ إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لِمَ لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه ؟ فأتيتُك يا أميرَ المؤمنين ، لتكون في أمري ناظراً ، وعليه مُعدِياً .

قال : صدقت ! لا أسألكِ عن ذَنبه والقيام بحجته . أكتبوا لها بإطلاقه .

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ وأنَّى لي بالرجعة وقد نفِد زادي ، وكلّت راحلتي ؟ فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم .

أم عبدالله تشكو النبيﷺ زوجها

عن محمد بن حاطب الجُمحي قال : أتى رسول الله ﷺ ذات يوم أم عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكانت امرأتُه تلطِف برسول الله ﷺ ، فقال : كيف أنت يا أمَّ عبد الله ؟ قالت : كيف أكون وعبدُ الله بن عمرو رجلٌ قد تخلَّى من الدنيا!قال لها:كيف ذلك ؟ قالت : حرَّم النوم فلا ينام ، ولا يُفطر ، ولا يُطعَمُ اللحم ، ولا يؤدي إلى أهله حقَّهم . قال : فأين هو ؟ قالت : خرج ويوشك أن

---

١ ـ تبنّك : أقام .
٢ ـ الصاب : شجر مرّ، وقيل هو شجر إذا اعتُصر خرج منه كهيئة اللبن . والواحدة « صابة » .

يرجع الساعة قال : فإذا رجع فاحبسيه عليّ . فخرج رسول الله ﷺ ، وجاء عبد الله وأوشك رسول الله ﷺ في الرّجعة ، فقال : يا عبد الله بن عمرو ، ما هذا الذي بلغني عنك أنك لا تنام . قال : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : بلغني أنك لا تنام ولا تفطر . قال : أردتُ بذلك الأمنَ من الفزع الأكبر . قال : وبلغني أنك لا تُطعم اللحم . قال : أردتُ بذلك ما هو خيرٌ منه في الجنة ! قال : وبلغني أنك لا تؤدي إلى أهلك حقَّهم . قال : أردتُ بذلك نساءً هُنَّ خيرٌ منهن . فقال رسول الله ﷺ : يا عبد الله بن عمرو ، إن لك في رسول الله أسوة حسنة ، فرسول الله يصوم ويُفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدي إلى أهله حقوقهم . يا عبد الله بن عمرو ، إنَّ لله عليك حقاً ، وإنّ لبدنك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً .

أم علي جارية المنصور

ورد خبرها في سياق الحديث عن أروى بنت منصور الحميرية زوج أبي جعفر المنصور .

أم غزوان الرقاشي وابنها

قالت أم غزوان الرقاشي لابنها ، وهو يقرأ في المصحف : يا غزوان ، لعلك تجد في هذا المصحف حماراً كان أبوك في الجاهلية فقده ! فقال : يا أماه ، بل أجد فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

أم فروة عِبرة لنساءٍ ينتحبن

عن الزهري قال : لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح ، فبلغ ذلك عمر فنهاهنّ ، فأَبَيْنَ فقال لهشام بن الوليد: أخرج إليّ بنت أبي قحافة . فأخرج إليه أمّ فروة ، فعلاها بالدِّرَّة[1] ضرباً ، فتفرّق النوائح .

بلاغة أم الفضل بن سهل

من ربّات الفصاحة والبلاغة ، دخل المأمون عليها يعزيها بابنها الفضل بن سهل فقال : يا أُمَّهْ ، إنك لم تفقدي إلا رؤيته ، وأنا ولدك مكانه ! فقالت : يا

---

١ ـ الدرّة: السّوط يُضرب به .

أمير المؤمنين ، إن رجلاً أفادني ولداً مثلك لجدير أن أجزع عليه .

أم قرفة يضرب بها المثل

يقال : أمنعُ من أمِّ قرفة . وأمّ قرفة هي امرأة مالك بن حُذيفة بن بدر الفزاري ، وكان يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً كلُ سيفٍ منها لذي مَحْرم لها .

أم كلثوم ترغب عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

خطب عمر بنُ الخطاب أمَّ كلثوم بنت أبي بكر ، وهي صغيرة ، فأرسل [عمر] إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك فلما ذكرتْ ذلك عائشةُ لأم كلثوم ، قالت : لا حاجةَ لي فيه ! فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إنه خَشِنُ العيش ، شديدٌ على النساء ، فأرسلت عائشة إلى المغيرة ! ابن شعبة فأخبرته فقال لها : أنا أكفيك ! فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغني عنك أمرٌ أعيذك بالله منه ! قال : ما هو ؟ قال : بلغني أنّك خطبتَ أمَّ كلثوم بنت أبي بكر . قال : نعم ، أفرغبت بها عني ، أم رغبت بي عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثةٌ نشأت تحت كنف خليفة رسول الله في لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك وما نقدر أن نردّك عن خلُق من أخلاقك ؛ فكيف بها ؟ إن خالفَتْك في شيء فسطوتَ بها كنتَ قد خلفتَ أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك ! فقال : كيف لي بعائشة وقد كلمتُها ؟ قال : أنا لك بها ؛ وأدلُّك على خيرٍ لك منها ، أمِّ كلثوم بنت عليّ من فاطمة بنت رسول الله ؛ تتعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ .

وكان عليّ قد عزل بناته لولد جعفر بن أبي طالب ؛ فلقيه عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكحني ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال : قد حبستُها لابن جعفر ! قال : إنه والله ما على الأرض أحد يُرضيك من حسن صحبتها بما أُرضيك به ؛ فأنكحني يا أبا الحسن . قال : قد أنكحتها يا أمير المؤمنين ! .

فأقبل عمر فجلس في الروضة بين القبر والمنبر ، واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ؛ فقال : زفّوني ! قالوا : بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأمِّ كلثوم !

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلُّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » ! وقد تقدمت لي صحبةٌ ، فأحببتُ أن يكون لي معها سبب .

فولدتْ له أمُّ كلثوم زيدَ بن عمر ، ورقية بنت عمر ، وزيد بن عمر هو الذي لطم سمرة بن جندب عند معاوية إذ تنقَّص علياً فيما يقال .

أم كلثوم بنت رسول الله تخلف أختها في عثمان

قال الزهري : لما ماتت رقية جزع عثمان عليها ، وقال : يا رسول الله ، انقطع صهري منك ! قال : إن صهركَ مني لا ينقطع ، وقد أمرني جبريل أن أُزوِّجَك أختها بأمر الله .

قال عثمان بن عفان : دخل عليّ رسول الله ﷺ في هذا البيت ، فرآني ضجيعاً لأم كلثوم ، فاستعبر ، فقلت : والذي بعثك بالحق ما أضجعت عليه أنثى بعدها ! فقال : ليس لهذا استعبرت ؛ فإن الثياب للحي وللميت الحجر ، ولو كنّ يا عثمان عشراً لزوّجتكهن واحدة بعد واحدة .

أم هانىء وقولها في رسول الله ﷺ

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، لو تزوّجتَ أمَّ هاني بنت أبي طالب ، فقد جعل الله لها قرابة ، فتكون صهراً أيضاً ! فخطبها رسول الله ﷺ فقالت : والله لهو أحبُّ إليّ من سمعي وبصري ولكن حقه عظيم ، وأنا موتمة[1] ، فإن قمتُ بحقه خفتُ أن أضيّعَ أيتامي ، وإن قمتُ بأمرهم قصّرتُ عن حقه ! فقال النبي ﷺ : خيرُ نساءٍ ركبْنَ الإبل نساءُ قريش ، أحناها على ولد في صغره وأرعاها على بعل في ذات يده ، ولو علمتُ أن مريمَ ابنةَ عمران ركبتْ جملاً لاستثنيتُها .

امرأة المسوّر

قال الزبير بن بكار : كان المسوّر بن مخرمة ذا مال كثير ، فأسرع فيه على إخوانه ، فذهب فسأل امرأته ـ وكانت موسرة ـ فمنعَتْه وبخلت عليه ؛ فخرج

---

١ ـ موتمة : أم أيتام .

يريد بعض خلفاء بني أمية منتجعاً ، فلمّا كان ببعض الطريق نزل ماءً يقال له بلاكث ، فقال [مغنياً] :

بينما نحن من بلاكثَ بالقا ع سراعاً والعيسُ تهوي هُويًا
خَطرت خطرةً على القَلب من ذكـ راك وهناً فما استطعتُ مُضيًا
قلتُ لبّيكِ إذ دعاني لك الشوْ قُ ، وللحاديين كُرّا المطيّا

فقال : هن بُدنٌ إن لم تكرَّها رواجع . قال له : قد أشَرفْنَ على أمير المؤمنين قال : هن بُدن إن لم تكرّها رواجع ! فانصرف ، ودخل المصلى ، فوجد رجال قريش حَلَقاً يتحدثون ، فقالوا له : زاد خير ! فقال : زاد خير . حتى انتهى إلى داره ، فقالت له امرأتُه : زاد خير ! فأنشدها الأبيات . قالت : كل ما أملك في سبيل الله ، إن لم أشاطرك مالي ! فشاطَرَتْه مالها .

امرأة في المدينة

قال أبو السمراء : حججتُ فبدأت بالمدينة ، فإني لمنصرف من قبر رسول الله ﷺ ، وإذا بامرأة بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة ، وإذا هي في ناحية وحدها وعليها ثوبان خَلْقان . وإذا هي ترجّع بصوتٍ خفي شجي ، فالتفتُ فرأيتُها فوقفت فقالت : هل من حاجة ؟ قلت : تزيدين في السماع ! قالت : وأنت قائم ؟ لو قعدتَ ! فقعدت كالخجلِ ، فقالت : كيف علمُكَ بالغناء ؟ قلت : علم لا أحمده . قالت : فعلامَ أنفخ بغير نار ؟ ما منعك من معرفته ؟ فوالله إنه لسَحُوري وفطوري ! قلت : وكيف وضعتيه بهذا الموضع العالي ؟ قالت : يا هذا ، وهل له موضع يوضع به وهو في علوة في السماء الشاهقة ؟ قلت : فكل هؤلاء النسوة اللاتي أرى على مثل رأيك وفي مثل حالك ؟ قالت : فيهن وفيهن . . ولي بينهن قصة . قلت : وما هي ؟ قالت : كنتُ أيامَ شبابي وأنا في مثل هذه الخلقة التي ترى من القبح والدمامة ، وكنت أشتهي الجماع شهوة شديدة وكان زوجي شاباً وضيئاً ، وكان لا ينتشر عليَّ(١) حتى أتحفَه وأطيِّبه وأسكره ، فأضرّ ذلك بي ؛ وكان قد علقَتْه امرأة قصّار

١ ـ لا ينتشر عليّ : لا يواقعني .

تجاورني ، فزاد ذلك في غمي ، فشكوتُ إلى جارة لي ما أنا فيه ، وغلبةَ امرأة القصار على زوجي ، فقالت : أدلُّك على ما ينهضه عليك ويرد قلبه إليك ! قلت : وا بأبي أنت ! إذاً تكونين أعظمَ الخلقِ مِنّة عليّ . قالت : اختلفي إلى مجمع مولى الزبير فإنه حسن الغِناء ، فاعلقي من غنائه أصواتاً عشرة ، ثم غنّي بها زوجك فإنه سيجامعك بجوارحه كلها ! قالت : فالتطتُ بمجمعه ، فلم أفارِقه حتى رضيني حَذاقة ومعرفة ؛ فكنت إذا أقبل زوجي اضطجعتُ ورفعتُ عقيرتي ثم تغنيت ، فإذا غنيتُ صوتاً بتُّ على نيِّف ، وإن غنيتُ صوتين بتُ على اثنين ، وإن غنيتُ ثلاثة فثلاثة .

فكنّـا كنـدمـانَيْ جـذيمـةَ حِقبـةً من الدهر حتى قيلَ لن يتصدَّعا

قال : فضحكتُ والله حتى أمسكتُ على بطني ، وقلت : يا هذه ، ما أظن أنه خُلقَ مثلك ! قالت : اخفض من صوتك ، قلت: ما كان أعظم مِنَّةً من المشورة . قالت : حسبك بها منة ، وحسبك بي شاكرة ، قلت : ففي قلبك من تلك الشهوة شيء ؟ قالت : لذعٌ في الفؤاد ، وأما تلك الغلمة التي كانت تنسيني الفريضة وتقطعني عن النافلة فقد ذهب تسعةُ أعشارها ! فوقفت عليها وقلت : ألك حاجةٌ إنْ أزِمَ حالُك[1] ؟ قالت : لا ، أنا في فائت من العيش ! فلما نهضتُ لأقوم قالت : على رِسْلك ، لا تنصرف خائباً ! ثم ترنّمت بصوتٍ تخفيه من جارتها :

ولي كبِدٌ مقروحةٌ، من يبيعني بها كبداً ليستْ بذاتِ قُروحِ
أبى الناسُ كل الناس لا يشترونها ومَن يشتري ذا علّةٍ بصحيحِ

امرأة ابن حطان

نظر عمران بن حطان إلى امرأته ، وكانت من أجمل النساء وكان من أقبح الرجال ؛ فقال : إني وإياك في الجنة إن شاء الله ! قالت له : كيف ذلك ؟ قال : إني أُعطِيتُ مثلكِ فشكرتُ ، وأعطيتِ مثلي فصبرت .

---

١ ـ ازم حالك: ضاق عيشك .

إمرأة فضالة

نافرت امرأةُ فضالة زوجها إلى مسلم بن قتيبة ، وهو والي خراسان فقالت : أُبغضه والله لخلالٍ فيه . قال : وما هي ؟ قالت : قليلُ الغَيْرة ، سريع الطيرة ، شديد العتاب ، كثير الحساب ، قد أقبل بخرُه[1] ، وأدبر ذفرُه[2] ، وهجمت عيناه ، واضطربت رجلاه ، يفيق سريعاً ، وينطق رجيعاً ، يصبح حلساً ، ويمسي رجساً ، إن جاع جزع ، وإن شبع جشع .

امرأة خالد بن صفوان

قالت امرأة خالد بن صفوان له : لقد أصبحت جميلاً ! فقال لها : وما رأيتِ من جمالي ، وما فيّ رداءُ الحُسن ولا عمودُه ولا بُرنُسه ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : عمود الحسن الشُّطاط ، ورداؤه البياض ، وبرنسه سواد الشعر .

امرأة بين الطلاق والزواج

قال أبو عبيدة : طلّق رجل امرأته وقال :

لقد طلّقتُ أختَ بني غِلابٍ   طلاقاً ما أظنُّ له ارتدادا
ولم أكُ كالمُعَدل أو أُوَيْسٍ   إذا ما طلقا ندِما فَعادا[3]

قال أبو عبيدة : وطلاق المعدّل وأويس يضرب به المثل .

ونكح رجل امرأة من عدِيّ ، فلما اهتداها رأت رَبعَ داره أحسنَ ربع ، وشمْلَ عيالِه أجمعَ شمل ؛ فقالت : أما والله لئن بقيت لهم لأشتّتنَ أمرهم ! وقالت في ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرينا   وأترك أهلَها شتّى عِزينا[4]

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلّقها ، وقال في ذلك :

---

١ ـ البخر: ريح الفم النتنة. يقال: بخر الفم أي أنتن ريحه فهو أبخر .
٢ ـ الذفر هنا: الرائحة الطيبة .وهو من أسماء الضد .
٣ ـ انظر خبريهما في العقد الفريد .
٤ ـ شتى عزينا: متفرقين ومشتّتين .

ألا قالت هَديُّ بني عديّ أرى ناراً سأجعلها إرينا
فبيني قبل أن تلحَيْ عصانا ويُصبح أهلُنا شتّى عِزينا

إمرأة أبي رافع وصيرفي

كان أبو رافع مولى رسول الله ﷺ؛ وآل أبي رافع من فضلاء أهل المدينة وخيارهم، مع بَلَهٍ فيهم وعيّ شديد؛ فمن ذلك: أن امرأة أبي رافع رأته في نومها بعد موته، فقال لها: أتعرفين فلاناً الصيرفي؟ قالت له: نعم. قال: فإن لي عليه مائتي دينار.

فلما انتبهت غدتْ إلي الصيرفي فأخبرته الخبر، وسألته عن المائتي دينار؛ فقال: رحم الله أبا رافع، والله ما جرتْ بيني وبينه معاملة قط! فأقبلت إلى مسجد المدينة، فوجدت مشايخ من آل أبي رافع، كلهم مقبول القول، جائز الشهادة؛ فقصّت عليهم الرؤيا، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفي، وإنكارَه لما ادّعاه أبو رافع؛ قالوا: ما كان أبو رافع ليكذب في نومٍ ولا يقظة! قَرِّبي صاحبَك إلى السلطان، ونحن نشهد لك عليه! فلما علم الصيرفي عزم القوم على الشهادة لها، وعلم أنهم إنْ شهدوا عليه لم يبرح حتى يُوديها، قال لهم: إن رأيتم أن تصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ما ترونه فافعلوا. قالوا: نعم والصلح خير، ونِعْمَ الصلحُ الشطر [أي النصف]؛ فأدِّ إليها مائة دينار من المائتين! فقال لهم: أفعل، ولكن أكتبوا بيني وبينها كتاباً يكون وثيقة لي. قالوا: وكيف تكون هذه الوثيقة؟ قال: تكتبون لي عليها أنها قبضتْ مني مائة دينار صلحاً عن المائتي دينار التي ادّعاها أبو رافع عليّ في نومها، وأنها قد أبرأتني منها، وشرطتْ على نفسها أن لا ترى أبا رافع في نومها مرةً أخرى، فيدّعي عليّ بغير هذه المائتي دينار، فتجيء بفلان وفلان يشهدان عليّ لها! فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لأنفسهم، وقالوا: قبّحك الله وقبّح ما جئت به.

امرأة تشتكي زوجها

جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها، فقال: إنها تذكر كثرة الجماع، قال: يا رسول الله، أفأزني! قال: لا، ولكن إذا جاءنا سبيٌ فتعالَ

حتى نُعطيكَ جارية . فقدم عليه سبيٌ ؛ فجاء إليه فقال له : يا رسول الله ، وعْدي . فقال له : إختر ! فقال له : آختر لي فقال : خذ هذه ، فإني أراها زرقاء ، فلعلّها . . .

قال : فما لبثنا أن جاءت المرأة فقالت : يا رسول الله، ما زاده الأمرُ إلاَّ تجدّدا . فقال له النبي ﷺ : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أفأزني ؟ قال : لا . ثم قال له رسول الله ﷺ : لعلّك تكثر الإطّلاء . قال : نعم . قال : فأقِل طلاءك يقلّ جماعُك .

امرأة الحارث بن هشام

قال الحارث لامرأته ، وذلك أنها نظرت إليه وهو يحُدّ حربةً يومَ فتحِ مكة فقالت له : ما تصنع بهذه ؟ أعددتُها لمحمد وأصحابه . فقالت : ما أُرى يقوم لمحمد وأصحابه شيءٌ . قال : والله إني لأرجو أن أُخدِمَك بعضهم ! ثم أنشأ يقول :

إنْ يقبلوا اليومَ فما بي علّة ... هـذا سلاحٌ كـامـلٌ وألَّـهْ
وذو غِـرارَيْـن سـريـعُ الـسَّـلّهْ

فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل ، فلامته امرأتُه ، فقال :

إنك لو شاهدتِ يوم الخَنْدَقَه ... إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عِكرِمه
وأبو يزيدَ قائم كالمُوتمـه ... ولحقتنا بالسيوف المُسلِمه
يفلقْنَ كلَّ ساعدٍ وجمجمَه ... ضرباً فلا تُسمعُ إلا غمغَمَه
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمه ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلِمه

امرأة في الطواف

سمع عمر بن الخطاب امرأةً في الطواف تقول :

فمنهنّ من تُسقى بعذبٍ مُبرَّدٍ ... نُقاخ فتِلكم عند ذلك قرَّتِ
ومنهنّ مَنْ تُسقى بأخضرَ آجنٍ ... أُجاج ولولا خَشيةُ الله فرَّتِ[1]

---

١ ـ ماء آجن: آسن لا يصلح للشرب .

ففهم شكواها ، فبعث إلى زوجها فوجده متغيِّر الفم ، فخيَّره بين خمسمائة درهم وطلاقها . فاختار الدراهم ، فأعطاه وطلّقها .

امرأة ابن أبي عتيق

الشيباني قال : كان ابن أبي عتيق صاحب هزل ولهو ، واسمه عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهم وكانت له امرأة من أشراف قريش ، وكان لها فتيات يُغنّين في الأعراس والمآتم ، فأمرت جاريةً منهن أن تغني بشعر لها قالته في زوجها ، فتغنّت الجارية وهو يسمع :

ذهبَ الإلَه بما تعيش به ... وقَمرْتَ لُبّك ايّما قَمْرِ
أنفقتَ مالكَ غيرَ محتشِم ... في كلِّ زانيةٍ وفي الخمرِ

فقال للجارية : لمن هذا الشعر ؟ قالت : لمولاتي . فأخذ قرطاساً فكتبه وخرج به ، فإذا بعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، قِف قليلاً أكلِّمْك . فوقف عبد الله بن عمر ، قال : ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر ؟ وأنشد البيتين . قال : أرى أن تعفو وتصفح . قال : أما والله لئن لقيتُه لأ . . . . ! فأخذ ابن عمر ينكلُه ويزجره ، وقال : قبّحك الله ! ثم لقيه بعد ذلك بأيام ، فلما أبصره ابن عمر أعرض عنه بوجهه ، فاستقبله ابن أبي عتيق فقال له : سألتك بالقبر ومن فيه إلا سمعتَ مني حرفين . فولاه قفاه وأنصتَ له ، قال : علمت أبا عبد الرحمن إني لقيت قائلَ ذلك الشعر ونكـ. . . فصُعق عبد الله ولُبِط به فلما رأى ما نزل به دنا من أذنه وقال : أصلحك الله إنها امرأتي . فقام ابن عمر وقبّل ما بين عينيه .

امرأة ترثي زوجها

قالت أعرابية ترثي زوجها :

كنّا كغصنين في جُرثومةٍ بسقا ... حيناً على خيرِ ما يَنْمي به الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعُهما ... وطاب قِنواهما واستُنظر الثمر
أخنى على واحدٍ ريْبُ الزمان وما ... يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يَذَر
كنّا كأنجمِ ليلٍ بينها قمرٌ ... يجلو الدُّجى فَهَوى من بيننا القمر

إمرأة تستعطي

خرج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول : قوم معوزون ، نَبَتْ عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضّتهم السنون ؛ بادَ رجالُهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية رسوله ﷺ ؛ فهل من آمرٍ بخير ، كلأه الله في سفره ، وخلفه في أهله ، فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

إمرأة من هوازن

قال الأصمعي : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقالت : إني أتيتُ من أرض شاسعة ، تهيضني هائضة[1] ، وترفعني رافعة في بوادٍ بَرَيْن لحمي وهِضن[2] عظمي ؛ وتركتني والهة ، قد ضاق بي البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد ؛ لا قرابة تُؤويني ، ولا عشيرة تحميني ؛ فسألت أحياء العرب : من المُرتَجى سيبُه ، المأمونُ عيبُه ، الكثيرُ نائلُه ، المكفيُّ سائله ؟ فدُللت عليك ؛ وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع في أمري واحدة من ثلاث : إما أن تُحسنَ صفدي[3] ، وإما أن تقيم أَوَدي[4] ، وإمّا أن تردّني إلى بلدي . قال : بل أجمعهن لك ! ففعل ذلك بها أجمع .

امرأة رجل دميم

قال أبو الحسن : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنيّة لها قينة تعرضها ؛ فإذا امرأة جميلة لها هيئة ؛ فنظر إلى رجل دميم يجيء ويذهب ويأمر وينهى في الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ! قال : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » أما وجدتِ من الرجال غير هذا وبلكِ من الجمال ما أرى ؟

---

١ ـ الهائضة : الذلة .

٢ ـ هضن : كسرن .

٣ ـ الصفد : العطاء . ويقال « الصفد صفد » أي العطاء قيد .

٤ ـ الأود : الاعوجاج .

قالت : والله يا أبا عبد الله ، لو استدبرك[٥] بمثل ما يستقبلني به لعَظُم في عينك .

امرأة تشجّ زوجها

قال العتبي : جاء رجل بامرأة كأنها بُرج فضة ، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتي هذه شجّتني ! فقال لها : أنتِ فعلت به ؟ قالت : نعم ، غير متعمِّدة لذلك ؛ كنتُ أعالج طيباً ، فوقع الفهر من يدي على رأسه ؛ وليس عندي عقل ، ولا تقوى يدي على القصاص ! فقال عبد الرحمن للرجل : يا هذا ، علامَ تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقْتها أربعة آلاف درهم ، ولا تطيب نفسي بفراقها ! قال : فإن أعطيتُها لك أتفارقها ؟ قال : نعم . قال : فهي لك . قال : هي طالق إذاً ! فقال عبد الرحمن : احبسي علينا نفسك . ثم أنشأ يقول :

يا شيخُ ويحَكَ مَنْ دلاّك بالغَزَل قد كنتَ يا شيخُ عن هذا بمعتزَلِ
رُضتَ الصِّعابَ فلم تُحسِن رياضتها فاعمِد لنفسك نحو الجِلّة الذللِ

ابنة ذي الجدين[١] ولقيط بن زرارة

قال الشيباني: حدّثنا بعض أصحابنا أن زرارة بن عدس نظر إلى أبيه لقيط فقال : ما لي أراك مختالاً ؟ كأنك جئتني بإبنة ذي الجدّين أو مائة من هجائن النعمان ! فقال : والله لا يمسّ رأسي دهنٌ حتى آتيك بهما أو أبْلى عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين ـ وهو قيس بن مسعود الشيباني ـ فوجده جالساً في نادي قومه من شيبان ، فخطب إليه ابنتَه علانية ؛ فقال له : هلا ناجيتني ؟ قال : علمت أني إنْ ناجيتك لم أخدَعْك ، وإن عالنتُك لم أفضَحْك ! قال : ومَن أنت ؟ قال : لقيط بن زرارة ، قال : لا جرم ، لا تبيتن فينا عَزَباً ولا محروماً ! فزوّجه وساق عنه المَهْر ، وبنى بها من ليلته تلك .

ثم خرج إلى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ؛ وأقبل إلى أبيه ، وقد وفى نذْره ؛ فبعث إليه قيس بن مسعود بإبنته مع ولده بسطام بن قيس ؛ فخرج

---

٥ ـ أي لو أدخل في دُبُرك مثل ما يُدخل في قُبُلي لعظُم في عينك .

لقيط يتلقاها في الطريق ومعه ابن عم له يقال له قراد ، فقال لقيط :

هاجتْ عليكَ ديارُ الحيِّ أشجانا ... واستقبلوا من نَوى الجيران قُربانا
تامتْ فؤادَكَ لم تقضِ التي وعدَتْ ... إحدى نساء بني ذُهل بن شَيبانا
فانظرْ قرادُ وهل في نظرةٍ جزعٌ ... عرضَ الشقائقِ؛هل بيِّنت أظعانا[1]
فيهنّ جاريةٌ نضْحُ العبير بها ... تُكسى ترائبها دُرًّا ومَرجانا[2]
كيف اهتديْت ولا نجمٌ ولا علمٌ ... وكنت عندي نؤومَ الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس ، قالت : مُرُّوا بي على أبي أودّعه ! فلما ودّعتْه قال لها : يا بنية ، كوني له أمةً يكنْ لك عبداً وليكن أطيبُ طيبك الماء ، ثم لا أذكرْتِ ولا أيسرْتِ ؛ فإنك تلدين الأعداء ، وتقرّبين البُعداء ! إن زوجك فارس من فرسان مضر ، [وإنه يوشك أن يُقتل أو يموت] ؛ فإذا كان ذلك فلا تخمشي عليه وجهاً،ولا تحلقي شعراً. فلما قُتل لقيط تحملت إلى أهلها، ثم مالت إلى محلّة عبد الله بن دارم فقالت : نِعمَ الأحماءُ كنتم يا بني دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيراً ، فلم أرَ مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوّجها ابن عمٍّ لها ، فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط فقال لها زوجها : أيّ يوم رأيت فيه لقيطاً أحسن في عينك ؟ قالت : خرج يوماً يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني مختضباً بالدماء ، فضمني ضمّة، ولثمني لثمة ، فليتني مت ثمَّة ! فخرج زوجُها ففعل مثل ذلك ، ثم أتاها ، فضمّها ، ولثمها ، ثم قال لها : من أحسن ؟ أنا أم لقيط عندك ، قالت : مرعى ولا كالسعدان .

امرأة يقبّلها أبوها

عن الشعبي قال : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبني أحد قط إلا غلام من بني الحارث بن كعب ، وذلك أني خطبت امرأةً من بني الحارث ، وعندي شاب منهم ، فأصغى إليّ فقال : أيها الأمير ، لا خير لك فيها ! قلت :

---

١ ـ الأظعان: جمع ظعينة وهي الزوجة أو المرأة عموماً .
٢ ـ الترائب: حمع تريبة وهي أعلى الصدر .

يا ابن أخي وما لها؟ قال : إني رأيت رجلاً يقبّلها ! قال : فبرئت منها ؛ فبلغني أن الفتى تزوّجها . قلت : ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبّلها ؟ قال : بلى رأيت أباها يقبّلها .

امرأة تبكي على قبر

مرّ بعضهم بامرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فقال لها : ما هذا الميّت منك ؟ قالت : زوجي ! قال : وما كان عمله ؟ قالت : كان يحفر القبور ! قال : أبعده الله ، أما علم أنه من حفر حفرة وقع فيها؟

بحر بنت الجارود تُقتلُ بجمالها

قالوا : إن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما وجّه أخاه عبد العزيز إلى قتال الأزارقة ، هزموه وقتلوا صاحبه مقاتل بن مسمع ، وسبَوا امرأته أمَّ حفص بنت المنذر بن الجارود العبدي ، فأقاموها في السوق حاسرة بادية المحاسن ، وغالَوْا فيها وكانت من أكمل الناس كمالاً وحسناً ، فتزايدت فيها العرب والموالي وكانت العرب تزيد منها على العصبية ، والموالي تزيد فيها على الولاء ، حتى بلّغتها العرب عشرين ألفاً ، ثم تزايدوا فيها حتى بلّغوها تسعين ألفاً ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها بالسيف فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطري بن الفجاءة، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفاً من بيت المال وقتل أمَة من إماء المؤمنين ، فقال له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت هؤلاء الاسماعيلية والاسحاقية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات واحمرّت الحدق ، فلم يبق إلا الخبط بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة . فقال قطري : خلُّوا عنه ، عين من عيون الله أصابتها . قالوا : فأقِدْ[1] منه . قال : لا أُقيد من وزعه الله . ثم قدم هذا العبدي بعد ذلك البصرة ، فإذا النعمان بن الجارود يستجديه بذلك السبب ، فوصله وأحسن إليه .

---

١ ـ أقِدْ منه: اقتص منه .

بذل، جارية جعفر بن الهادي

كان لجعفر بن موسى الهادي جارية اسمها بذل، فطلبها الأمين منه فأبى عليه، وكان شديدَ الوجد بها؛ فزاره الأمين يوماً، فسُرَّ به وزاد عليه في الشرب حتى ثمل، فانصرف وأخذ الجارية، فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدرِ ما يصنع فدخل على الأمين، فلما مَثُل بين يديه، قال له: أحسنتَ والله يا جعفر بدفعك بذلَ إلينا وما أحسنّا. وأقر رزقه على عشرين ألف [ألف] درهم.

برة في شعر الأخطل

دعا الأعورُ بن بنان التغلبيُّ الأخطل الشاعر إلى منزله، فأدخله بيتاً قد نجد بالفرش الشريفة والوطاء العجيب، وله امرأة تُسمّى برّة في غاية الحسن والجمال؛ فقال له: أبا مالك، إنك رجل تدخل على الملوك في مجالسهم، فهل ترى في بيتي عيباً؟ فقال له: ما أرى في بيتك عيباً غيرَك! فقال له: إنما أعجب من نفسي إذ كنت أُدْخلُ مثلك بيتي! اخرُجْ عليك لعنةُ الله! فخرج الأخطل وهو يقول:

وكيف يُداويني الطبيبُ من الجَوى ... وبــرّةُ عنـد الأعـور بن بنـانِ
ويُلصِقُ بطناً مُنْتِنِ الريحِ مُجرزاً ... إلى بطن خَودٍ دائمِ الخفقانِ[1]

برّة يوصيها والدها أبو النجم

قيل لأبي النجم: فما لك من الولد؟ قال: ابنتان، زوّجت إحداهما [برّة]. قيل له: فَبِمَ أوصيتَها ليلةَ أهديتَها؟ قال: قلت لها:

سُبّي الحمــاةَ وابهتي عليهــا ... وإن أبتْ فــازدلفي إليهــا
ثم اقرعي بالعود بالعودِ مرفقيها ... وجـدّدي الخُلف بـه عليهــا

لا تخبـري الـدهـرَ بـذاك ابنَيْها

سُئل: فهل أوصيتها بعد هذا؟ قال: نعم:

---

١ ـ الخود: المرأة الشابة الحسناء.

أوصيتُ من بَرّةَ قلباً برّاً بالكلب خيراً والحماةِ شرّاً
لا تسأمي خنقاً لها وجرّا والحيَّ عُمِّيهمْ بشرّ طُرّا[٢]
وإن كَســوْكِ ذهبــاً ودُرّا حتى يَروْا حلوَ الحياةِ مُرّا

البَسوس يُضرب بها المثل

يُقال : أشأمُ من البسوس . والبسوس جارة جسّاس بن مُرة بن ذُهل بن شيبان ، ولها كانت الناقة التي قُتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحربُ بين بكر بن وائل وتغلب ، التي يقال لها حرب البسوس .

« شرارة حرب البسوس »

كانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة ، وكان كليب بن وائل قد تزوّج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جسّاس بن مرة ؛ وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جسّاس بن مرة ، وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجسّاس ، وكان لها ناقة يقال لها سراب ، ولها تقول العرب : أشأم من سراب ، وأشأم من البسوس ! فمرّت إبل لكليب بسراب ناقة البسوس ، وهي معقولة بفناء بيتها، جوار جساس بن مرّة، فلما رأت سرابُ الإبل نازعت عقالها حتى قطعته، وتبعت الإبل واختلطت بها، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض ، معه قوس وكنانة ؛ فلما رآها أنكرها ، فانتزع لها سهماً فحزمَ ضرعَها فنفرت الناقة وهي ترغو ، فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت : واذُلّاه ! واجاراه ! وخرجت . ووقعت حرب ضروس حصدت مئات القتلى[١] .

بكَارة الهلالية تدخل على معاوية

قال الشعبي : استأذنت بَكَارةُ الهلاليةُ على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها ، وهو يومئذٍ بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسَنَّتْ وعَشَى[١] بصرُها وضعُفَت قوتها ، تَرعشُ بين خادمين لها ، فسلّمت وجلست . فردّ عليها

---

٢ ـ طرّاً: كافة وجميعاً .
١ ـ راجع خبر حرب البسوس في العقد الفريد .
١ ـ عشى بصرها: ضعف .

معاوية السلام ، وقال : كيف أنت يا خالة؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : غيّركِ الدهر ! قالت : كذلك هو ذو غِيرَ ، من عاش كبر ومَن مات قُبِر . قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ دونَك فاستسر من ذرانا   سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنتُ أذخَرُهُ ليوم كريهةٍ   فاليومَ أبرَزَه الزمان مَصونا

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أتُرى ابن هندٍ للخلافة مالِكا   هيهاتِ ذاكَ وإن أراد بعيدُ
منّتك نفسُكَ في الخلاءِ ضلالةً   أغراك عمرو للشّقا وسعيدُ

قال سعيد بن العاصي : هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى   فوق المنابرِ من اميّة خاطِبا
فالله أخّر مدتي فتطاولت   حتى رأيتُ من الزمان عجائبا
في كل يومٍ للزمان خطيبُهُم   بين الجميع لآلِ أحمدُ عائبا

ثم سكتوا . فقالت : يا معاوية ، كلامُك أغشى بصري وقصَّر حجَّتي ، أنا والله قائلة ما قالوا ، وما خَفِي عليك مني أكثر . فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من بِرِّك . أذكري حاجتك . قالت : أمّا الآن فلا .

بلقيس هاجرت مع سليمان

هي بلقمة بنت آل شَرْخ بن ذي جدن بن الحارث بن قيس بن سبأ الأصغر . قال رجل من بني أبي لهب لوهب بن منبّه : ممن الرجل ؟ قال : رجل من اليمن. قال : فما فعلتْ أمكم بلقيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ، وأمكم حمالة الحطب في جيدها حبل من مسَد!.

بنت غيلان تُقبلُ بأربع

عن ابن بكير : أن مخنثاً[1] كان عند أم سلمة زوج النبي ﷺ ، فقال لعبد الله بن أبي أمية ، ورسولُ الله ﷺ يسمع : أيا عبد الله ، إن فتح الله لكم الطائف

١ ـ المخنث من الرجال: من كان فيه لين وتكسر وتثنٍ فكان على صورة الرجال وأحوال النساء .

غداً فأنا أدلك على بنت غيلان فإنها تُقبل بأربع ، وتُدبر بثمان ! فقال رسول الله ﷺ : لا يدخل عليكن هؤلاء .

قوله : تُقبل بأربع وتُدبر بثمان ، يريد عكن البطن ، أنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان .

زواج المأمون ببوران

عن حماد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي . قال :

بينا أنا ذات يوم عند المأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه ، إذ قال لي : يا إسحاق ، هذا يوم خلوة وطيب . فقلت : طيّب الله عيش أمير المؤمنين ، ودام سرورُه وفرحه ! فقال : يا غلمان . خذوا علينا الباب وأحضروا الشراب . قال : ثم أخذ بيدي وأدخلني في مجلس غير المجالس التي كنا فيها ، وإذا قد نَصبت الموائد ، وأُصلح ما كان يحتاج إليه الحال ، حتى كأنه شيء قد كان تقدَّم فيه ؛ قال : فأكلنا وأخذنا في الشراب ، فأَقبلت السّتِيرات من كل ناحية بضروب من الغناء وصنوف من اللهو ، فلم نزل على ذلك إلى آخر النهار .

فلما غربت الشمس قال لي: يا إسحاق، خير أيام الفتى أيام الطرب ! قلت : هو والله ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : فإني فكَّرت في شيء فهل لك فيه ؟ قلت : لا أتأخَّر عن رأي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ! قال : لعلنا نباكر الصبوح في غدوتنا هذه ، وقد عزمت على دخلة إلى الحرم ، فكن بمكانك ولا تَرِمْ ، فإني أوافيك عن قريب . قلت : السمع والطاعة . ثم نهض إلى دار السلام ، فما عُرف له خبر إلى أن ذهب من الليل عامَّته .

قال إسحاق : وكان المأمون من أشغف خلق الله بالنساء ، وأشدِّهم ميلاً إليهن واستهتاراً بهنّ . وعلمت أن النبيذ قد غلب عليه ، وأنهن قد أنسَينَه أمري وما كان تقدم إليّ ووعدني من رجوعه ، فقلت في نفسي : هو في لذته وأنا ههنا في غير شيء ، وفيّ بقية . وعندي صبية كنت قد اشتريتها ، ونفسي متطلعة إلى افتضاضها . فقمت مسرعاً عند ذكرها ، فقال الخدم : على أيِّ شيء عزمت

وإلى أين تريد ؟ قلت : أريد الانصراف . قالوا : فإن طلبك أمير المؤمنين ؟ قلت : هو في سروره قد شغله الطربُ ولذةُ ما هو فيه عن طلبي ، وقد كان بيني وبينه موعدٌ قد جاز وقته ، ولا وجهَ لجلوسي .

قال : وكنت مقدَّمَ الأمر في دار المأمون ، مقبولَ القول فيه ، لا أعارَضُ في شيء ، إذا أومأتُ إليه : فخرجت مبادراً إلى باب الدار ، فلقيني غلمان الدار وأصحاب النوبة ، فقالوا : إن غلمانك قد انصرفوا ، وكانوا قد جاءوك بدابة ، فلما علموا بمبيتك انصرفوا . فقلت : لا ضير ، أنا أتمشى إلى البيت وحدي . قالوا : نحْضِرُك دابةً من دواب النوبة ؟ قلت : لا حاجة لي في ذلك . قالوا : فنمضي بين يديك بمشعل ؟ قلت : لا ، ولا أريد أيضاً .

وأقبلت نحو البيت ، حتى إذا صرت ببعض الطريق أحسست بحرقة البول ، فعدلت إلى بعض الأزقة ، لئلا يجوز أحدٌ من العوام فيراني أبول على الطريق: فبُلت، حتى إذا قمت إلى المسح ببعض الحيطان، إذا بشيء معلق من تلك الدار إلى الزقاق، فما تمالكت أن تمسَّحت، ثم دنوت إلى ذلك الشيء لأعرف ما هو ، فإذا بِزنبيل كبير معلق بأربعة مقابض ، مُلبس ديباجاً ، وفيه أربعة أحبُلِ إبرَيسم ، فلما نظرت إليه وتبينته قلت : والله إن لهذا لسببا ، وإن له لأمراً . فأقمت ساعة أتروّى في أمري وأفكر فيه . حتى إذا طال ذلك بي قلت : والله لأتجاسرنَّ ولأجلسنّ فيه كائناً ما كان . . .

ثم لففت رأسي بردائي وجلست في جوف الزنبيل ، فلما أحس من كان على ظهر الحائط بثقله ، جذبوا الزنبيل إليهم حتى انتهوا إلى رأس الحائط ، فإذا بأربع جوار ، فقلن : انزل بالرحب والسعة ، أصديقٌ أم جديد ؟ فقلت : لا ، بل جديد ! فقلن : يا جارية ، هاتي الشمعة . فابتدرت إحداهن إلى طست فيه شمعة ، وأقبلت بين يدي حتى نزلت إلى دار نظيفة ، فيها من الحسن والظَّرف ما حرْتُ له ، ثم أدخلتني إلى مجالس مفروشة ، ومناصٍّ مرصوصة ، فيها من صُنوف الفرش ما لم أر مثله إلا في دار الخليفة .

فجلست في أدنى مجلس من تلك المجالس ، فما شعرت بعد ذلك إلا بضجة وجلبة ، وستور قد رفعت في ناحية من نواحي الدار ، وإذا بوصائف يتسابقن في أيدي بعضهنّ الشمع ، وبعضهنّ المجامر يبخرن فيها العود والندّ ؛

وبينهن جارية كأنها تمثال عاج ، تتهادى بينهن كالبدر الطالع ، بقدٍّ يزري على الغصون : فما تمالكت عند رؤيتها أن نهضت ، فقالت : مرحباً بك من زائرٍ أتى وليست تلك عادته . وجلست ، ورفعت مجلسي عن الموضع الذي كنت فيه ، فقالت : كيف كان ذا والله لي ولك ، ولا علم كان وقع إليّ ؛ فما السبب ؟ قال : قلت : انصرفت من عند بعض إخواني ، وظننت أني على وقت ، فخرجت في وقت ضيق ، وأخذني البول فأخذت إلى هذا الطريق ، فعدلت إلى هذا الزقاق ، فوجدت زنبيلاً معلقاً ، فحملني النبيذ فجلست فيه ، فإن كان خطأً فالنبيذ أكْسَبنيه ، وإن كان صواباً فالله ألهمَنيه قالت : لا ضير إن شاء الله ، وأرجو أن تحمد عواقب أمرك : فما صناعتك ؟ قلت : بزّاز[1] قالت : وأين مولدك ؟ قلت : بغداد . قالت : ومن أيِّ الناس أنت ؟ قلت : من أماثلهم وأوساطهم . قالت : حيَّاك الله وقرّب دارك ! . . . قالت : فهل رويت من الأشعار شيئاً ؟ قلت : شيئاً يسيراً . قالت : فذاكِرنا بشيء مما حفظت قلت : جعلت فداك . إن للداخل دهشة ، وفيَّ انقباض ؛ ولكن تبتدئين بشيء من ذلك ، فالشيء يأتي بالمذاكرة . قالت : لعمري لقد صدقت ، فهل تحفظ لفلان قصيدته التي يقول فيها كذا وكذا . . ؟ .

ثم أنشدتني لجماعة من الشعراء ، القدماء والمحدثين ، من أحسن أشعارهم ، وأجود أقاويلهم ، وأنا مستمع أنظر من أي أحوالها أعجب ، من ضبطها ، أم من حسن لفظها ، أم من حسن أدبها ، أم من حسن [روايتها و] جودة ضبطها للغريب ، أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ؟ ثم قالت : أرجو أن يكون ذهب عنك بعض ما كان من الحصر والانقباض والحشمة . فقلت : إن شاء الله لقد كان ذلك . قالت : فإن رأيت أن تنشدنا من بعض ما تحفظ فافعل .

قال : فاندفعت أُنشد لجماعة من الشعراء ، فاستحسنت نشيدي وأقبلت تسألني عن أشياء في شعري كالمختبرة لي ، وأنا أجيبها بما أعرف في ذلك ، وهي مصغية إليّ ، ومستحسِنة لما آتي به ؛ حتى أتيت على ما فيه مَقْنع ؛

١ ـ المرط: كل ثوب غير مخيط أو هو كساء من صوف ونحوه يؤتزر به .

قالت : والله ما قصَّرت ولا توهمت في عوام التجار وأبناء السوقة مثل ما معك ؛ فكيف معرفتك بالأخبار وأيام الناس ؟ قلت : قد نظرت أيضاً في شيء من ذلك . فقالت : يا جارية أحضرينا ما عندك . فما غابت عنا حينا حتى قدّمت إلينا مائدة لطيفة ، قد جمع عليها غرائب الطعام السري ؛ فقالت : إن الممالحة أول الرضاع ، فتقدمت : فأقبلت أعذِّر بعض التعذير ، وهي معي تقطع وتضع بين يديّ ، وأنا أغتنم ما أرى من ظرفها وحسن أدبها ، حتى رُفعت المائدة .

وأُحضرت آنية النبيذ ، فوضعت بين يديّ صينية وقنِّينة وقدح ومغسل ، وبين يديها مثل ذلك ، وفي وسط المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفواكه ما لم أره أجتمع لأحد إلا لوليّ عهد أو سلطان ، وقد عبِّيء أحسن تعبئة ، وهُيِّيء أحسن تهيئة . قال إسحاق : فتثاقلت عن الشراب لتكون هي المبتدئة ، فقالت : ما لي أراك متوقفاً عن الشراب ؟ قلت : إنتظاراً لك ، جُعلت فداك ! فسكبت قدحاً آخر فشربت .

ثم قالت : هذا أوان المذاكرة ، فإن المذاكرة بالأخبار وذكر أيام الناس مما يطرب . قلت : لعمري إن هذا لمن أوقاته . فاندفعت ، فقلت : بلغني أنه كذا وكذا . . وكان رجل من الملوك يقال له فلان بن فلان . . . وكان من قصته كذا وكذا . . . حتى مررت بعدة أخبار حسان من أخبار الملوك ، وما لا يُتحدث به إلا عند ملك أو خليفة ؛ فسُرّت بذلك سروراً شديداً ، ثم قالت : والله لقد حدثتني بأحاديث حسان ، ولقد كثر تعجبي من أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا ، وإنما هذا من أحاديث الملوك ، وما لا يُتحدّث به إلاّ عند ملك أو خليفة . فقلت : جعلت فداك . كان لي جار ينادم بعض الملوك ، وكان حسن المعرفة كثير الحفظ ؛ فكان ربما تعطل عن نوبته التي كان يذهب فيها إلى دار صاحبه ؛ لشغل يمنعه من ذلك ، أو لأمر يقطع ، فأمضي إليه ، وأعزم عليه ، وأُصيِّره إلى منزلي ؛ فربما أخبرني من هذه الأحاديث شيئاً ، إلى أن صرت من خاصة أخدانه وممن كان لا يفارقه ؛ فما سمعت مني فمنه أخذته ، وعنه استفدته . فقالت : يجب أن يكون هذا كذا . ولعمري لقد حفظت فأحسنت الحفظ ، وما هذا إلا لقريحة جيدة وطبع كريم . قال إسحاق : وأخذنا في

الشراب والمذاكرة : أبتدىء الحديث ، فإذا فرغت ابتدأتْ هي في آخر ، حتى قطعنا بذلك عامة الليل ، والندّ وفائق البخور يُجدّد ، وأنا في حالة لو توهمها المأمون أو تأملها لاستطار سروراً وفرحاً .

ثم قالت لي : يا فلان ـ وكنت قد غيرت عليها اسمي وكنيتي ـ والله إني لأراك كاملاً ، وإنك في الرجال لفاضل ، وإنك لوضيءُ الوجه ، مليح الشكل ، بارع الأدب ؛ وما بقي عليك إلا شيء واحد حتى تكون قد بَرّزْت وبَرَعْت . فقلت : وما هو يا سيدتي ، دفع الله الأسواء عنك ؟ قالت : لو كنت تحرّك بعض الملاهي ، أو تترنم ببعض الأشعار . فقلت : والله إني كنت قديماً أشتهيه ، وطالما كَلِفت به وحرَصْت عليه ، فلم أُرزَقه ولا يعلق بي شيء منه ؛ فلما طال عنائي به ، وكلما تقدمت في طلبه كنت منه أبعد وعنه أذهب ؛ تركته وأعرضت عنه ، وإن في قلبي من ذلك لحرقة ، وإني لمستهتر به مائل إليه ، وما أكره أن أسمع في مجلسي هذا من جيِّده شيئاً ؛ لتكمل ليلتي ويطيب عيشي ! قالت : كأنك قد عرّضت بنا . قلت : لا والله ما هو تعريض ، وما هو إلا تصريح ؛ وأنت بدأت بالفضل ، وأنت أولى مَن أتمَّ ما بدأ به . فقالت : يا جارية ، عود . فأحضرت عوداً ، فأخذته ، فما هو إلا أن جسَّته حتى ظننت أن الدار قد سارت بي وبمن فيها ، واندفعت تغني ، مع صحة أداء وجودة صوت . فقلت : والله لقد جمع الله لكِ خِلال الفضل ، وحباكِ بالكمال الرائع ، والعقل الزائد ، والأخلاق المرضية ، والأفعال السنية . فقالت : أما تعرف لمن هذا الصوت ومن غنّى به ؟ قلت : لا والله . قالت : الغناء لإسحاق ، والشعر لفلان ، وكان سببه كذا وكذا . . فقلت : هذا والله أحسن من الغناء .

فلم تزل تلك حالها في كل صوت تغنيه ، ومع ذلك تشرب وأشرب ؛ حتى إذا كان عند انشقاق الفجر ، جاءت عجوز كأنها داية لها ، فقالت : أي بُنية ، إن الوقت قد حضر ، فإذا شئت فانهضي . فلما سمعت مقالها نهضت ؛ فقالت : عزمت ؟ قلت : إي والله . فقالت : مُصاحباً للسلامة ، عزَمْت عليك لتسترنّ ما كنا فيه . فإن المجالس بالأمانة . فقلت جعلت فداك ، أفأحتاج إلى وصية في ذلك .

فودعتها وودعتني ، وقالت : يا جارية ، بين يديه . فأُتي بي باب في ناحية

الدار ففُتح لي وأُخرجت منه إلى طريق مختصرة ، وبادرت البيت ، فصليت ووضعت رأسي ، فما انتهت إلا ورُسُل الخليفة على الباب ، فقمت فركبت فسرت إليه ، فلما مثلت بين يديه قال لي : يا إسحاق ، جفوناك بما كنا ضَمَّنَاه لك ، وتشاغلنا عنك . فقلت : يا سيدي ، ليس شيء آثر عندي وأسرَّ إلى قلبي من سرور يدخل على أمير المؤمنين فإذا كمل سروره وطاب عيشه فعيشنا يَطيب وسرورنا يتصل بسروره . ثم قال : ما كانت حالتك ؟ قلت : يا سيدي كنت اشتريت من السوق صبية ، وكنت متعلق القلب بها ، فلما تشاغل أمير المؤمنين عني ، وقد كانت فيَّ بقية طالبتني نفسي بها ، فمضيت مسرعاً وأحضرتها ، وأحضرت نبيذاً فسقيتها وشربت معها ، وغلب عليّ السكر فقُطعت عما أردت ، وذهب بي النوم إلى أن أصبحت . فقال لي : ما أكثر ما يتهيأ على الناس من هذا . فهل لك في مثل ما كنا فيه أمس ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين وهل أحدٌ يمتنع من ذلك ؟ قال : فإذا شئت فانهض بنا فنهض ونهضت . فصرنا إلى المجلس الذي كنا فيه بالأمس ، على مثل حالنا وأفضل ، حتى إذا كان ذلك الوقت وثب قائماً . ثم قال يا إسحاق ، لا تَرِم ، فإني أجيئك ، وقد عزمت على الصحبة . فما هو إلا أن فارقني حتى تصوّر لي ما كنت فيه ، فإذا هو شيء لا يصبر عنه إلا جاهل فنهضت . فقال لي الغلمان : الله الله . وإنه أنكر علينا تخليتَك وطالبنا بك ، وقال : لِمَ تركتموه ؟ ولا نحسبك إلا تحب الإيقاع بنا . فقلت : والله لا نال أحدكم بسببي مكروهٌ أبداً . ولكن أبادر بحاجتي ، والله لا كان لي حبس ولا تريُّث ، وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه إذا دخل أبطأ وأنا موافيكم قبل خروجه إن شاء الله .

قال : فمضيت ، فما شعرت إلا وأنا في الزقاق ، فوافيت الزنبيل على ما كان عليه فأُقعدتُ فيه وأُصعدْتُ ، وصرت إلى الموضع [الذي كنت فيه البارحة] ، فلم ألبث إلا هنيهة وإذا بها قد طلعت ، فقالت : ضيفُنا ؟ قلت : إي والله . قالت : أو قد عاودْت ؟ قلت : نعم ، وأظنُّ أني قد أثقلت . فقالت : مادحُ نفسه يقرئك السلام فقلت : هفوة ، فمُني بالصفح ، قالت : قد فعلنا فلا تَعُد ، قلت : إن شاء الله .

ثم جلست ، وأخذنا فيما كنا فيه من المذاكرة والإنشاد والشرب ، ولم

نزل على تلك الحال وأفضل ، وقد أنِست وانبسطت بعض الانبساط ، وهي مع ذلك لا تزال تقول : لو كنت على ما أنت عليه أحكمت من تلك الصنعة شيئاً ، لقد تناهيت وبرعت . فأقول : والله لقد حرصت على ذلك وجهدت فيه فما رزقتُه ولا قدرت عليه . ثم قلت : جعلت فداك ، لا تخلينا مما كان من فضلك البارحة . فأخذت في الأغاني ، وكلما مر صوت طيب قالت : أتدري لمن هذا ؟ فأقول : لا ! فتقول : لإسحاق ! فأقول : وإسحاق هكذا في الحذق ! فتقول . بخ إسحاق في هذا البيت بديع الصوت . وعميق الغناء . فأقول : سبحان الله ! لقد أعطي إسحاق هذا ما لم يعطه أحد ! فتقول : لو سمعت هذا منه لكنت أشدّ استحساناً له وكلفاً به .

حتى إذا كان ذلك الوقت وجاءت العجوز ، نهضت وودعتها ، وبادرت جارية ففتحت الباب فخرَجت منه .

وبادرت المنزل فتوضأت للصلاة وصليت الصبح . ووضعت رأسي فنمت ، فما انتبهت إلا ورُسُلُ أمير المؤمنين يطلبونني ؛ فركبت إلى الدار فما هو إلا أن مثلت بين يديه فقال لي : يا إسحاق ، أبَيت إلا مكافأة لنا ومعاملة بمثل ما عاملناك . قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما إلى ذلك ذهبت ، ولا إليه قصدْت ، ولكنني ظننت أن أمير المؤمنين تشاغل عني بلذته وأغفل أمري ، وجاء الشيطان فأذكرني أمر الجارية ، فبادرت ، فقال : وكان من أمرك ماذا ؟ قلت : قضيت الحاجة وفرغت من الأمر . فقال : قد انقضى ما كان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادي أظلم . فقلت : أنا يا أمير المؤمنين ألْوَم وأظلم ، والمعذرة إليك فقال : لا تثريب عليك ، هل لك في مثل حالنا الأول ؟ قلت : إي والله ! قال : فانهض بنا . فقمنا حتى صرنا إلى الموضع الذي كنا فيه ، فأخذْنا في لذتنا ، حتى إذا كان الوقتُ قال لي : يا إسحق ما عزمت ؟ قلت لا عزم لي يا أمير المؤمنين ! قال : عزمت عليك لتجلسنّ حتى أخرج إليك لتصطبح ؛ فإني عازم على الصبوح وقد نغّصْتَ عليّ منذ يومين ! قلت : إن شاء الله ! .

وقام ، فما هو إلا أن توارى ، حتى قمت وقعدت ، وجالت وساوسي ،

وجعلت أفكر في مجلسي معها وأفكر فيها . وفي الخروج عن طاعة المأمون وما يخرجني من سخطه ومَوجدته ، فسَهُل [عليّ] كلُّ صعب إذ فكرتُ في أمرها ؛ فقمت مبادراً ، فاجتمع عليّ جندُ الدار فقالوا : أين تريد ؟ فقلت الله الله ! إن لي قصة ، وأنا معلَّق القلب ببعض مَن في منزلي ، وأحتاج إلى مطالعتهم في بعض الأمر . فقالوا : ليس إلى تركك سبيل ! فلم أزل أرفق بهذا ، وأقبِّل رأس هذا ، ووهبت لواحد خاتمي . ولآخر ردائي ، حتى تركوني ؛ فلما خرجت عن جملتهم لم أرتد عنها حاسراً حتى وافيت الزنبيل وصعدت السطح وصرت إلى الموضع ؛ فلما رأتني قالت : ضيفنا ؟ قلت : نعم . قالت : جعلتَها دارَ مُقام ! قلت : جعلت فداك ، حق الضيافة ثلاثة أيام ، فإن عدت بعدها فأنت في حِل من دمي ! قالت : والله لقد أتيتَ بحجة .

ثم جلسنا ، وأخذنا في مثل حالنا الأول من الشرب والإنشاد ، والمذاكرة ، حتى إذا علمت أن الوقت قد قارب ، فكرتُ في قصتي ، وأن المأمون لا يفارقني على هذا وأنني لا أتخلص منه إلا بشرح قصتي وأكشف له عن حالي ، وعلمت أني إن قلت له ذلك طالبني بمعرفة الموضع والمسير إليه ، مع ما كان غلب عليه من الميل إلى النساء ؛ فقلت لها : أتأذنين في ذكر شيء خطر ببالي ؟ قالت : قل ما بدا لك . قلت : جعلت فداك ، إني أراك ممن يقول بالغناء ، ويعجب به وبالأدب ولي ابن عم هو أحسن مني وجهاً ، وأشرف قدراً ، وأكثر أدباً ، وأعز معرفة ، وأنا تلميذ من تلاميذه ، وحَسنةٌ من حسناته ؛ وهو أعرف الناس بغناء إسحاق ! قالت : طفيلي ومقترِح ! لم ترضَ أن سمحنا لك ثلاثةَ أيام ، حتى طلبت أن تأتي معك بآخر ؟ فقلت لها : جعلت فداك ، ذكرتُه لتكوني أنت المحكَّمة ، فإن أذنت وأردت ذلك وإلا فلا أذكره . فقالت : إن كان ابنُ عمك هذا على ما ذكرتَ فلا نَكره أن نَعرفه . فقلت : هو والله أكثرُ مما وصفت ! فقالت : إن شئت فالليلة الآتية أئت به .

ثم حضر الوقت فنهضت حتى وافيت منزلي ، وإذا برسل الخليفة قد هجموا على منزلي وأصحابِ الشرطة ؛ فلما بصروا بي سُحبت على ما بي بحالتي تلك ، حتى انتهوا بي إلى الدار ؛ فإذا المأمون جالس على كرسي وسط

الدار، مغتاظ حرِد، فقال: أخروجاً عن الطاعة؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي قصة أحتاج فيها إلى الخلوة . فأومأ إلى من كان واقفاً فتنحَّوا . فلما خلونا قلت : كان من خبري كذا وكذا ، وفعلت وصنعت . . .

فوالله ما فرغت من حديثها حتى قال: يا إسحاق، أتدري ما تقول ؟ فقلت : إي والله ! إني لأدري ! فقال : ويحك ! كيف لي بمشاهدة ما شاهدتَ ؟ قلت : ما إلى ذلك سبيل ! قال : لا بد أن تتلطف وتوصِّلني إليها ؛ فهذا ما بقي لي صبر عنه! قلت : والله إني قد تفكرت في قصتها وفيما قدمت عليه من عصيانك ، وعلمت أنه لا ينجيني إلا الصدقُ وكشْف الحال ، وعلمت أنك تطالبني به أشدّ مطالبة فقدّمْت لها ذِكرك ، ووعدتني في أمرك بكذا وكذا . قال : أحسنت والله لولا ذلك لنالك مني كـل مكروه ! قلت : فالحمد لله الذي سَلَّمَ .

ثم نهض ونهضت إلى مجلسنا ، وأخذنا في لذتنا ، وهو مع ذلك يقول : يا إسحاق ، صف لي حالها ، واشرح لي أمرها ! .

فقطعْنا يومنا في مذاكرتها إلى أن مضى النهار ، فلما أن مضى من الليل هدْأة جعل يقول : ما جاء الوقت ! وأنا أقول بقي قليل ؛ والقلق غالب عليه ، حتى جاء الوقت ، فنهضنا ، وخرجنا من بعض أبواب القصر ، معنا غلام ، وهو على حمار وأنا على حمار . فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ، ثم سلمنا الحمارين للغلام، وقلنا له: انصرف، فإذا كان الفجر فكن ههنا بالحمارين وأقبلنا نمشي متنكرَين وأنا أقول : يجب أن تُظهر برِّي بحضرتها وإكرامي ، وتطرحَ نخوة الخلافة وتجبُّرَ الملك ، بل كن كأنك تبع لي ! وهو يقول : نعم أَوَ يحتاج أن توصيني ؟ ثم قال : ويحك يا إسحاق ! فإن قالت لي غنِّ كيف أصنع ؟ قلت : أنا أكفيك وأدفعها عنك برفق .

فلما صرنا إلى الزقاق إذا بزنبيلين معلقين بثمان حبال ، فقعد كل منا في واحد وجذبنا الجواري ، وإذا نحن في السطح ، وبادرن بين أيدينا حتى انتهينا إلى المجلس ، فأقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزِّي ، ويتعجب عجباً شديداً ، ثم قعدت في موضعي الذي كنت أقعد فيه ، وقعد المأمون دوني في المرتبة ، ثم أقبلتْ فسلمتْ ، فما تمالكَ أن بُهت من حسنها ، فقالت حيّا الله

ضيفَنا ! فوالله ما أنصفتَ ابن عمك ، ألا رفعت مجلسه ؟ فقلت ذلك إليك ، جعلت فداءك ! فقالت له : ارتفع فديتُك فأنت جديد ، وهذا قد صار من أهل البيت ، ولكل جديد لذة ! .

فنهض المأمون حتى صار في صدر المجلس ، ثم أقبلت عليه تذاكره وتناشده وتمازحه ، وهو يأخذ معها في كل فن ، ويفخمها قال ثم التفتت إلي وقالت : وفيت بوعدك وصدقت في قولك ووجب شكرُك على صنيعك ! قال : ثم أُحضر نبيذ وأخذنا في الشراب ، وهي مع ذلك مقبلة عليه وهو مقبل عليها ، ومسرورة به ومسرور بها ؛ فقالت لي : ابن عمك هذا من أبناء التجار ؟ قلت : نعم ، فديتُك نحن لا نعرف إلا التجارة ! قالت وإنكما فيها لغريبان ! ثم قالت : موعدَك ! فقلت : لعمري إنه لمجيب ، ولكن حتى نسمع شيئاً . قالت : لك ذاك . فأخذت العود فغنت صوتاً ، فشربنا عليه رطلاً ؛ ثم غنت بصوت كان المأمون يقترحه عليّ ، فشربنا عليه رطلاً .

فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال ، داخله الفرح والارتياح وقال : يا إسحاق فوالله لقد رأيته ينظر إليّ نظر الأسد إلى فريسته فنهضتُ وقلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ! قال : غنّي بهذا الصوت .

فلما رأتني قمت بين يديه وأخذتُ العود ووقفتُ بين يديه أغنيه ، علمت أنه الخليفة وأني إسحق ؛ فنهضت فقالت : ههنا ! وأومأت إلى كلةٍ مضروبة ، فدخلتها : ثم فرغت من ذلك الصوت وشرب رطلاً ، وقال لي : ويحك يا إسحق ! أنظر مَن ربُّ هذه الدار ! فخرجت إلى تلك العجوز فسألتها عن صاحب الدار فقالت : الحسن بن سهل . قلت : ومن هذه ؟ قالت : بوران ابنته فرجعت وأعلمته .

قال : ثم انصرفنا ، فقال لي : يا إسحق ، أكتم هذا الأمر ولا تتفوّه به . ومضينا إلى دار الخلافة ؛ فلما كان الصباح وحضر الحسن بن سهل على عادته ، قال له المأمون : ألك بنت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال ما اسمها ؟ قال : بوران . قال : فإني أخطبها إليكُ قال هي أمَتك يا أمير المؤمنين ، وأمرُها إليك قال فإني قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألف دينار : فإذا

قبضت المال فاحملها إلينا . ثم تزوجها ، وكانت أحظى نسائه عنده ، وآثرهن لديه ، وكنت أستر هذا الحديث إلى أن مات المأمون .

قال إسحاق : فما اجتمع لأحد ما اجتمع لي في تلك الأربعة الأيام ، إذ كنت أنصرف من مجلس أمير المؤمنين إلى مجلسها ، ووالله ما رأيت من الرجال وملوكهم وخلفائهم أحداً يفي بالمأمون ، ولا شاهدت من النساء إمرأة كبُوران في عقلها ؛ وأما معرفتها وأدبها فما أظن من يتهيّأ له أن يقف من العلوم على ما وقفت عليه ولقد سألت بعض من يتولى خدمتَها من العجائز : ما حَمَلها على ما أرى ؟ فقالت : إنها تفعل ذلك منذ كذا وكذا سنة . ولقد عاشَرت الظرفاء والملاح والأدباء أكثر من أن يقع عليه إحصاء ، ولم يكن جرى بينها وبين أحد مكروه ولا خَنَا ولا كلمة قبيحة ؛ ولم يكن مذهبها في ذلك إلا حب الأدب والمذاكرة ، ومعاشرة الظرفاء وأهل المروءة والأقدار والنُبل والأخطار ، لا لريبة تظهر ، ولا لحالة تُنكَر . قال : فوالله لقد تضاعف قدرُها عندي ، وعظم خطرُها في نفسي ، وعلمت شرفَ همتها وفضلها .

فهذا خبر بوران صحيحاً على الحقيقة ، وسبب تزوُّج المأمون بها .

فتى من بني حنيفة وجارية

قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي : إن ناساً من بني حنيفة خرجوا يتنزهون إلى جبل لهم ، فرأى فتى منهم في طريقه جارية ، فرمقها وقال لأصحابه : لا أنصرف والله حتى أرسل إليها وأُخبرها بحبي لها ! فطلبوا إليه أن يكف فأبى ، وأقبل يراسل الجارية ؛ وتمكن حبها من قلبه ، فانصرف أصحابه وأقام الفتى في ذلك الجبل ، فمضى إليها ليلة متقلداً سيفاً وهي بين أخوين لها نائمة . فأيقظها : فقالت : انصرف لئلا ينتبه أخواي فيقتلاك ! فقال : الموت أهونُ والله مما أنا فيه ، ولكن أعطيني يدك أضعها على قلبي وأنصرف ! فأعطته يدها ، فوضعها على قلبه وانصرف ؛ فلما كانت الليلة الثانية ، أتاها وهي على مثل تلك الحال ، فأيقظها ، فقالت له مقالها الأول ، فقال : لك الله إن أمكنتني من شفتيك أرشفهما أن أنصرف ! فأمكنته فرشفهما ثم انصرف ؛ فوقع في قلبها من حبه مثل ما كان به . . .

وفشا خبرهما في الحيّ ، فقال أهل الجارية : ما مُقام هذا الفاسق في هذا الجبل ؟ أمضوا بنا إليه الليلة ! فبعثت إليه الجارية : إن القوم سيأتونك الليلة ، فاحذر على نفسك ! فلما أمسى على مرقاة ومعه قوسه وسهمه ، ووقع بالحيّ في الليل مطر ، فاشتغلوا عنه ؛ فلما كان آخر الليل وانقشع السحاب وطلع القمر ، اشتاقته الجارية فخرجت تريده ومعها صاحبة لها من الحي كانت تثق بها ؛ فنظر الفتى إليهما فظن أنهما يطلبانه ، فرمى فما أخطأ قلب الجارية ، فوقعت ميتة ، وصاحت الأخرى ورجعت ؛ فانحدر الفتى من الجبل فإذا الجارية ميتة ، فقال :

نعب الغراب بما كرهْـ ـتُ ولا إزالة للقدرْ
تبكي وأنت قتلتهـا فاصبرْ وإلاَّ فانتحرْ

ثم قطع أوداجه فسال دمه حتى مات . فجاء أهل المرأة فوجدوهما ميّتين ، فدفنوهما في قبرٍ واحد .

تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف تزوّج عثمان بن عفان

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان : هل لك في ابنة عم لي ، بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد ، أصيلة الرأي ، تتزوجها ؟ قال : نعم فذكرتْ له نائلة بنت الفرافصة الكلبية ، فتزوجها وهي نصرانية فتحنّفت وحُملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلتْ عليه قال لها : لعلكِ تكرهين ما ترين من شيبتي ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين إني من نسوة أَحبُّ أزواجهن إليهن الكهل ! قال : إني قد جُزتُ الكهول ، وأنا شيخ ! قالت : أذْهَبْتَ شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهبتْ فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك أرض السماوة وأريد أن انثني إلى عرض البيت ! وقامت إليه ، فقال لها : إنزعي ثيابك ، فنزعتْها ، فقال : حلي مرطك(١) . قالت : أنت وذاك .

قال أبو الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قُتل .

---

١ ـ المرط: كل ثوب غير مخيط أو هو كساء من صوف ونحوه يؤتزر به .

جارية وفتى من بني حنيفة

قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي : إن أناساً من بني حنيفة خرجوا يتنزهون إلى جبل لهم ، فرأى فتى منهم في طريقه جارية ، فرمقها وقال لأصحابه : لا أنصرف والله حتى أرسل إليها وأخبرها بحبي لها ! فطلبوا إليه أن يكفَّ فأبى ، وأقبل يراسل الجارية ، وتمكّن حبها من قلبه ، فانصرف أصحابه وأقام الفتى في ذلك الجبل ، فمضى إليها ليلة متقلداً سيفاً وهي بين أخوين لها نائمة ، فأيقظها ؛ فقالت : انصرف لئلا ينتبه أخواي فيقتلاك ! فقال : الموت أهون والله مما أنا فيه ، ولكن أعطيني يدك أضعها على قلبي وأنصرف ! فأعطته يدها ، فوضعها على قلبه وانصرف ؛ فلما كانت الليلة الثانية ، أتاها وهي على مثل تلك الحال ، فأيقظها ، فقالت له مثل مقالها الأوّل ، فقال : لك الله إن أمكنتِني من شفتيك أرشفهما أن أنصرف . فأمكنتْه فرشفهما ثم انصرف ؛ فوقع في قلبها من حبه مثل ما كان به . . .

وفشا خبرهما في الحيّ ، فقال أهل الجارية : ما مُقام هذا الفاسق في هذا الجبل ؟ أمضوا بنا إليه الليلة ! فبعثت إليه الجارية : إن القوم سيأتونك الليلة ، فاحذر على نفسك ! فلما أمسى قعد على مرقاة ومعه قوسه وسهمه ، ووقع بالحيّ في الليل مطر ، فاشتغلوا عنه ؛ فلما كان آخر الليل وانقشع السحاب وطلع القمر ، اشتاقته الجارية فخرجت تريده ومعها صاحبة لها من الحي كانت تثق بها ؛ فنظر الفتى إليهما فظن أنهما يطلبانه ، فرمى فما أخطأ قلب الجارية ، فوقعت ميتة ، وصاحت الأخرى ورجعت ؛ فانحدر الفتى من الجبل فإذا الجارية ميتة ، فقال :

نَعَبَ الغُرابُ بما كرهْـ ـتُ ولا إزالةَ للقدرْ
تبكي وأنتَ قتلتَـهـا فـاصبر وإلّا فـانتحرْ

ثم وجأ بمشاقصة[1] في أوداجه حتى مات ، فجاء أهل المرأة فوجدوهما ميِّتين ، فدفنوهما في قبر واحد ! .

---

١ ـ المشاقص: جمع مشقص وهو نصل عريض أو سهمٌ فيه نصل عريض .

الجرادتان أول من غنّى في العرب

يُقال إن أول من غنّى في العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان ، ومن غنائهما :

ألا يا قَيْلُ ويْحَكَ قُمْ فهيمِ لعلّ الله يُصْبحُنا غَماما

وإنّما غنّتا بهذا حين حُبس عنهما المطر ! وكانت العرب تسمي القينة : الكرينة ، والعود : الكران ، والمزهر أيضاً هو العود ، وهو البربط وكان أول من غنّى في الإسلام الغناء الرقيق : طُويس[1] ، وهو علّم ابن سريج[2] ، والدلال[3] ، ونئومة الضحى ؛ وكان يكنى أبا عبد النعيم ، ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الإسلام :

قد براني الشوقُ حتى كِـدْتُ من شوقي أذوبُ

الجَرباء تستعين بأخيها عَمَلّس على أبيها

الجَرباء شاعرة من شواعر العرب . قال الأصمعي : كان عقيل بن علّفة المُرّي رجلاً غيوراً ؛ وكان يُصهر إليه الخلفاء ، وإذا خرج يمتار خرج بابنته الجَرباء معه ، قال : فنزلوا ديراً من دِيَرة الشام ، يقال له دير سعد ، فلما ارتحلوا

---

١ ـ طُويس (١١ هـ ـ ٩٢ هـ) : هو عيسى بن عبدالله ، أبو عبد المنعم ، مولى بني مخزوم : أول من غنّى بالمدينة غناءً يدخل في الايقاع . كان ظريفاً ، عالماً بتاريخ المدينة وانساب أهلها ، يجيد النقر على الدف ، وهو من اشهر المغنين والعارفين بصناعة الغناء في صدر الإسلام . ولد بالمدينة وتوفي في السويداء (على ليلتين من شمالي المدينة) . وفيه المثل : « أشأم من طويس » لما يقال من أنه ولد يوم وفاة النبي ﷺ وفطم يوم مات أبو بكر ، وختن يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل علي ، فتشاءموا به . (الأعلام° ١٠٥) .

٢ ـ ابن سريج (٢٠ هـ ـ ٩٨ هـ) : هو عبيدالله بن سريج ، أبو يحيى ، من أشهر المغنين وأصحاب هذه الصناعة في صدر الإسلام . كان يغني مرتجلاً فيأتي باللحن المبتكر . وهو من أهل مكة ، وأول من ضرب بها على العود بالغناء العربي . قال إبراهيم الموصلي : ما كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي (الأغاني طبعة دار الكتب) .

٣ ـ كان من المخنثين : (انظر أخباره في الأغاني ط . دار الكتب العلمية ج ٤) .

قال عقيل :

قَضَتْ وَطَراً من دير سعدٍ وطالما   على عُرُضٍ ناطَحْنَة بالجماجِمِ

ثم قال لابنه يا عَمَلّس أجزْ . فقال :

فأصبَحْنَ بالمـوْماةِ يحملْن فتيـة   نشاوَى من الإدلاج ميلَ العمائِمِ[1]

ثم قال لابنته : يا جَرباء أجيزي . فقالت :

كـأنَّ الكرى أسقـاهُمُ صرخَـديةً   عُقاراً تَمشّى في المطا والقوائِمِ[2]

قال : وما يُدريك أنتِ ما نَعْتُ الخمرِ ؟ فأخذ السيف وهوى نحوها ، فاستعانت بأخيها عملّس ، فحال بينه وبينها ، قال : فأراد أن يضربه ، قال : فرماه [عملس] بسهمٍ فاختلَّ فخذيه فبرك ، ومضَوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى ماء للأعراب ، قالوا لهم : إنّا اسقَطنا جزوراً[3] فأدركوها وخذوا معكم الماء . ففعلوا ، فإذا عقيل باركٌ وهو يقول :

إنّ بَـنـيَّ زمّـلونـي بـالـدّمِ   شِنشِنة أعـرفُهـا من أخـزمِ[4]
مَنْ يَلقَ أبـطالَ الـرجـال يُكلَمِ

والشنشنة الطبيعة، وأخزم فحل معروف، وهذا مثل للعرب .

جليلة بنت مُرّة بن ذهل بن شيبان في مأتم كُليب

شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية . اجتمعت نساءُ الحي لما قتَلَ جسّاس كليباً ، فقلن لأخت كليب : رحلي جليلة عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتةٌ وعار علينا عند العرب . فقالت لها : يا هذه أخرجي عن مأتمنا ، فأنت أختُ واترنا وشقيقة قاتلنا . فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة بن ذهل فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت : ثَقُل العدد وحزن الأبد وفُقد حليل[1]

---

١ ـ الموماة: الصحراء .
٢ ـ الصرخدية: الخمر .
٣ ـ الجزور: ما يُجزر من النوق أو الغنم .
٤ ـ زمّلوني: لفّوني .
٥ ـ الحليل : الزوج .

وقُتل أخٌ عن قليل . وبين ذَيْن غرسُ الأحقاد وتفتت الأكباد . فقال لها : أوَ يُكفّ ذلك كرمُ الصفح وإغلاءُ الديات ؟ فقالت جليلة : أمينة مخدوع ورب الكعبة . ولما رحلتْ جليلة قالت أختُ كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّة . فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها[١] ، أسعدَ الله جد أختي أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقوام إن شئتِ فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
فـإذا أنتِ تبيّنتِ الـذي يوجبُ اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرىءٍ ليمُتْ على شفقٍ منها عليـه فـافعلي
جلّ عندي فعلُ جسّاس فيا حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعلُ جسّاسٍ على وجدي به قاطعُ ظهري ومُدنٍ أجلي
لو بعينٍ فُقِئت عيني سوى أختِها فانفقأتْ لم أحفلِ
تحمل العينُ قذى العين كما تحملُ الأمُ أذى ما تعتلي
يا قتيلاً قَوَّضَ الدهرُ به سقفَ بيتي جميعاً من علِ
هدمَ البيتَ الذي استحدثته وانثنى في هدم بيتي الأولِ
ورمـاني قتـلُه من كـثب رميةَ المصمَّى به المستأصلِ
يا نسائي دونكنَّ اليوم قد خصني الدهرُ برزءٍ مُعضلِ
خصني قتـلُ كليبٍ بلظى من ورائي ولظى من أسفلِ
ليس من يبكي ليوميه كمن إنمـا يبكي ليـومٍ ينجلي
ليتـه كـان دمـاً فـاحتلبـوا درراً منه دمي من أكحلي
إنـنـي قـاتـلـة مـقـتـولـة ولعلّ الله أن يرتـاح لي

جؤذر ورشا في المدينة

عن الهيثم بن عدي قال : كان بالمدينة رجل من بني هاشم ، وكان له قينتان ، يقال لإحداهما جؤذر ، وللأخرى رشا ؛ وكان يحب الغناء ، وكان بالمدينة مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس أحد ؛ فأرسل الهاشمي إليه ذات يوم ليضحك به ، فلما أتاه قال : ما الفائدة فيك وفي لذتك ولا لذة لي ؟ قال له :

١ ـ الوتر: الثأر .

وما لذتُك ؟ قال : تُحضرُ لي نبيذاً ، فإنه لا يطيب لي عيش إلاّ به . فأمر الهاشمي بإحضار نبيذ ، وأمر أن يطرح فيه سكّر العُشَر ، فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنُه ، وتناوم الهاشمي وغمز جواريه عليه ، فلما ضاق عليه الأمر واضطر إلى التبرُّز قال في نفسه : ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين . وأهل اليمن يُسمّون الكُنُفَ المراحيض فقال لهما : يا حبيبتيّ ، أين المرحاض ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يقولُ : غنياني :

رَحَضْت فؤادي فخلّيتني أهيمُ من الحبّ في كلّ وادِ

فاندفعتا تغنيانه ؛ فقال في نفسه : ما أراهما فهمتا عني ، أظنهما مكيّتيْن وأهل مكة يُسمّونها المخارج . قال : يا حبيبتيّ ، أين المخرج ؟ قالت إحداهما للأخرى : ما يقول ؟ قالت : يقول : غنياني .

خرجتُ بها من بطنِ مكّةَ بعدما أصاتَ المنادي للصلاة فأعلما

فاندفعتا تغنيانه ، فقال في نفسه : لم يفهما والله عني ، أظنهما شاميتين ، وأهل الشام يسمّونها المذاهب ، فقال لهما : يا حبيبتيّ ، أين المذهب ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يقول : غنياني :

ذَهَبْت من الهجرانِ في غير مَذهبِ ولم يكُ حقاً كلُّ هذا التجنُّبِ

فغنتاه الصوت ؛ فقال في نفسه : لم يفهما عني ، وما أظنهما إلا مدنيتين وأهل المدينة يسمّونها بيت الخلاء ؛ فقال لهما : يا حبيبتيّ ، أين بيت الخلاء ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغني :

خلّى على جوَى الأحزان إذ ظعنا من بطنِ مكةَ والتسهيدَ والحَزنا

قال : فغنتاه ؛ فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! ما أحسب الفاسقتين إلا بصريتين وأهل البصرة يسمّونها الحشوش ؛ فقال لهما : أين الحشّ ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغنيه :

فلقد أوحش الجهيدان منها فمناها فالمنزلُ المعمورُ

فاندفعتا تغنيانه ، فقال : ما أراهما إلا كوفيتين ، وأهل الكوفة يسمّونها

الكُنُف . قال : يا حبيبتيّ ، أين الكنيف ؟ قالت إحداهما لصاحبتها : يعيش سيدُنا ، هل رأيتِ أكثر اقتراحاً من هذا الرجل ؟ ما يقول ؟ قالت : يسأل أن نغني :

تكنّفني الهوى طفلاً فشيّبني وما اكتهلا

قال : فغلبه بطنه ؛ وعلم أنهما تُولعان به ، والهاشمي يتقطع ضحكاً، فقال لهما : كذبتما يا زانيتان ، ولكني أُعلمكما ما هو . فرفع ثيابه فسلح عليهما ، وأثبته الهاشمي فقال له : سبحان الله ! أتسلح على وطائي[1] ؟ قال : الذي خرج من بطني أعزّ عليّ من وطائك ؛ إن هاتين الزانيتين إنما حسبتا أني أسأل عن الحش للضراط ، فأعلمتهما ما هو .

جيرين «جارية أبي سعيد البصري»

كان بالبصرة رجلٌ من التجار يُكنى أبا سعيد ، وكانت له جارية تدعى جيرين ، وكان بها كلفاً ، فمرّ يوماً بعليان «المجنون» وقد أحاط به الناس ، فقالوا له : هذا أبو سعيد صاحب جيرين . فناداه : أبا سعيد ! قال : نعم . قال : أتُحب جيرين ؟ قال : نعم . قال : وتحبك ؟ قال : نعم فأنشأ يقول :

نُبِّئْتُها عشِقت حشّاً فقلت لهم ما يَعشِقُ الحشَّ إلاّ كلُّ كنّاس

فضحك الناسُ من أبي سعيد ومضى .

حَبَابة جارية يزيد بن عبد الملك

مغنيةٌ من ألحن من رُؤي في الإسلام من قيان ، ومن أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً . قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية . وهي مولّدة من مولّدات المدينة كانت لرجل من أهلها يُعرف بإبن رمانة وقيل :

---

١ ـ الحش: البستان .

٢ ـ تقدمت ترجمته .

ابن مينا وهو الذي خرجها وأدّبها فأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز[1] ومالك[2] ومعبد[3] وجميلة وعزّة الميلاد . ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار .وفي روايتي الطبري والدميري : أنّ سعدة زوجة يزيد بن عبد الملك قالت ليزيد : يا أمير المؤمنين ، هل بقي من الدنيا شيءٌ تتمناه بعد ؟ قال : نعم حبابة! فأرسلت من اشتراها بأربعة آلاف دينار ، فصنعتها وزيّنتها حتى ذهب عنها كلال السفر . فأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أبقي شيء من الدنيا تتمناه ؟ قال : ألم تسأليني عن هذا مرةً فأعلمتُكِ . فرفعت الستر ، وقالت : هذه حَبابة . وقامتْ وخلّتْها عنده فحظيت سعدة عند يزيد ، وأكرمها وغلبت على عقله ، فهام بها هياماً عظيماً ، فأصبح لها نفوذ كبير في نفسه ، فتأمره فيصدع لأمرها ، وتشاغلَ بها عن النظر في الأمور وفي أصحاب الظلامات .

قال أبو الحسن : ولمّا كلِف يزيد بحبابة واشتغل بها وأضاع الرعية ، دخل عليه مسلمة أخوه فقال : يا أمير المؤمنين ، تركت الظهور للعامّة ، والشهود للجمعة ، واحتجبتَ مع هذه الأمَة ! فارعوى قليلاً وظهر للناس ؛ فأوصتْ حبابةُ إلى الأحوص أن يقول أبياتاً يهوّن فيها على يزيد ما قال مسلمة، فقال وغنّت بها حبابة :

ألا لا تلمْـهُ اليـوم إن يتبلّدا   فقد مُنع المحـزونُ أن يتجلّدا

---

١ ـ ابن محرز: هو مسلم بن محرز، أبو الخطاب، مولى بني عبد الدار، أحد المقدمين في صناعة الغناء والألحان. كان يقيم في مكة مدة وفي المدينة مدة، يتعلم في الثانية الضرب من عزّة الميلاء. وكان يقال له « صناج العرب ». أصيب بالجذام فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس. توفي نحو سنة ١٤٠ هـ . (الأغاني[1] ط. دار الكتب العلمية).

٢ ـ مالك: هو مالك بن جابر بن ثعلبة الطائي، أبو الوليد. أحد المغنين المقدّمين في العصر الأموي وشطر من العصر العباسي. أخذ صناعة الغناء عن معبد ولد وأقام في المدينة وتوفي نحو سنة ١٤٠ هـ (الأعلام° ٢٥٨).

٣ ـ معبد: هو معبد بن وهب، أبو عباد المدني، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. نشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه بني مخزوم. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة. عاش طويلاً إلى أن انقطع صوته، ومات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ . (الأغاني[1] طبعة دار الكتب العلمية).

إذا أنت لم تعشِقْ ولم تدرِ ما الهوى فَكُنْ حجراً من يابس الصخر جلْمُدا
هلِ العيشُ إلا ما تلذُّ وتشتهي وإن لامَ فيه ذو الشَّنَان وفنّدا[1]

فلما سمعها ضرب بجُربَّانه الأرض وقال: صدقتِ ، صدقْتِ ؛ على مسلمة لعنة الله ثم عاد إلى سيرته الأولى .

وحدّث ابن الغاز قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفاً بحبابة كلفاً شديداً ، فلما توفيت أكبَّ عليها أيّاماً يترشّفها ويتشمّمها ؛ ثم أنتنت ، فقام عنها وأمر بجهازها ؛ ثم خرج بين يدي نعشها ؛ حتى إذا بلغ القبر نزل فيه ، حتى إذا فرغ من دفنها وانصرف لصق إليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه ؛ فلما أكثر عليه قال : قاتل الله ابن أبي جمعة حيث يقول :

فإن تسلُ عنكَ النفسُ أو تدع الهوى فباليأسِ تسلو عنكِ لا بالتجلّدِ
وكلُّ خليلٍ زارني فهو قائلٌ من أجلكِ: هذا هامةُ اليوم أو غدِ[2]

قال : وطُعن في جنازتها ، فدفنّاه إلى سبعة عشر يوماً .

حذامِ بنت الريان تضرب الأمثال

امرأة لُجَيم بن صعب ، والد حنيفة وعجل . كانت تضرب الأمثال وتقول الشعر . يُروى أن عاطس بن خلاج سار إلى الريان أبي حذام في حِمْيَرَ وخثعم وجعفر وهمدان . فلقيهم الريان في أربعة عشر حياً من أحياء اليمن . فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم تحاجزوا . وخرج الريان وأصحابه هراباً فساروا يومهم وليلتهم ثم عسكروا . فأصبح عاطس ، فغدا لقتالهم فإذا الأرض منهم بلا وقع[3] ، فجرّد خيله وحثَّ في الطلب ، فانتهوا إلى عسكر الريان ليلاً ، فلما كانوا قريباً منه أثاروا القطا[4] فمرّتْ بأصحاب الريان . فخرجت حذامِ إلى

---

١ ـ فنّد: خطّأ.
٢ ـ الهامة : رئيس القوم وسيدهم .
٣ ـ البلقع: الأرض القفر .
٤ ـ القطا: طيور بحجم الحمام. واحدتها قطاة. يُضرب بها المثل في الاهتداء فيقال « أهدى من القطا ».

قومها فقالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا　　فلو تُرك القطا ليلاً لناما

أي إن القطا لو تُرك ما طار هذه الساعة ، وقد أتاكم القوم فلم يلتفتوا إلى قولها ، وأخلدوا إلى المضاجع لما نالهم من التعب . فقام ديسم بن طارق وقال بصوتٍ عال :

إذا قالت حذامِ فصدقوها　　فإن القولَ ما قالت حذامِ

[وفي رواية أبي عبيد أن البيت للجيم بن صعب زوج حذامِ] وثار القوم فلجأوا إلى وادٍ كان قريباً منهم ، فانحازوا به حتى أصبحوا وامتنعوا منهم .

حسنة جارية الهادي

شاعرة من شواعر العرب ، اشتراها الهادي بألف درهم ، فرُزقَ منها عدة بنات ، منهم أم عيسى ، تزوّجها المأمون .

حفصة لا تلقى اعجاباً من عثمان

ولدت حفصة بنت عمر بن الخطاب وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنْين . ثم تزوجها خُنيس بن حذاقة . فهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد مقدم النبي ﷺ من بدر . ولما تأيمت حفصة ، عرضها أبوها عمر بن الخطاب على عثمان ، فأبى منها ؛ فشكاه عمر إلى النبي ﷺ ، فقال : « سيزوّج الله ابنتك خيراً من عثمان ، ويزوّج عثمان خيراً من ابنتك » ! فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ، وزوّج ابنته عثمان بن عفان . كانت حفصة كاتبة ذات فصاحة وبلاغة . قالت في مرض أبيها عمر : يا أبتاه ما يحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعة لأحدٍ عندك ومعي لك بشارة ، لا أذيع السر مرتين ، ونِعمَ الشفيعُ لك العدل ، لم تُخفَ على الله عزّ وجلّ خشنةُ عيشتك وعفافُ نهمتك ، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض ثم أنشأت تقول :

أكظم الغلة المخالطة القلب　　وأُعزى وفي القرآن عزائي

لم تكن بغتة وفاتك وجداً　　إن ميعادَ من ترى للفناء

«خطبة حفصة بعد قتل أبيها»

خطبت حفصة بعد قتل أبيها فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفرد الذي لا شريك له . وأما بعد ، فكل العجب من قومٍ زيّن الشيطان أفعالهم وارعوى إلى صنيعهم ونصب حبائله لختلهم ، حتى همَّ عدو الله بإحياء البدعة ونبش الفتنة وتجديد الجور بعد دروسه ، وإظهاره بعد دثوره ، وإراقة الدماء وإباحة الحمى وانتهاك محارم الله عزّ وجلّ بعد تحصينها . فأضرى وهاج وتوغر وثار غضباً لله ونصرةً لدين الله ، فأخسأ الشيطان ووقم[1] كيده ، وكفف إرادته وقدع [2] محنته ، وأصعر خدّه لسبقه إلى مشايعة أولى الناس بخلافة رسول الله ﷺ ، الماضي على سننه ، المقتدي بدينه ، المقتصّ لأثره . فلم يزل سراجه زاهراً وضوؤه لامعاً ونوره ساطعاً له من الأفعال الغرر ، ومن الآراء المصاص ، ومن التقدم في طاعة الله اللباب إلى أن قبضه الله إليه قالياً[3] لما خرج منه . شانياً[4] لما ترك من أمره . شيّقاً لمن كان فيه . صباً إلى ما صار إليه . وائلاً إلى ما دُعي إليه . عاشقاً لما هو فيه . فلما صار إلى التي وصفتُ وعاين لما ذكرتُ أومأ بها إلى أخيه في المعدلة ونظيرِه في السيرة وشقيقه في الديانة . ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه ولصيّرها في عقبه ولم يخرجها من ذريته . فأخذها بحقها وقام فيها بقسطها . لم يؤده ثقلها ولم يبهظه حفظها مشرداً للكفر عن موطنه ، ونافراً له عن وكره ، ومثيراً له من مجثمه حتى فتح الله عز وجلّ على يديه أقطار البلاد ونصر الله بقدمه . تكنّفه وهو بالله معتصم ، وعليه متوكل حتى تأكدت عُرى الحق عليكم عقداً ، واضمحلت عُرى الباطل عنكم حلّاً ، نورُه في الوجنات ساطع ، وضوؤه في الظلمات لامع . قالياً للدنيا إذ لا تطلب سواه بعلاً ، ولا تبغي سواه نحلاً . أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشاً ، وأغدق منها أرضاً ، وأنعتُ

---

١ ـ وقم: قهر وردّ .
٢ ـ قدع: دفع .
٣ ـ القالي: المبغض .
٤ ـ شانياً: معيباً .

منها جمالاً وأتمُّ منها بلهنية[1] وأعذب منها رفهنية[2] فبشعت نفسه بذلك لعادتها واقشعرت منها لمخالفتها، فعركها بالعزم الشديد حتى أجابت بالرأي الجليد حتى انقادت . فأقام فيها دعائم الإسلام وقواعد السنة الجارية ورواسي الآثار الماضية وأعلام أخبار النبوّة الطاهرة وظل خميصاً[3] من بهجتها ، قالياً لأثاثها ، لا يرغب في زبرجها ولا تطمح نفسه إلى جدتها حتى دُعي فأجاب ، ونودي فأطاع ، على تلك من الحال فاحتذى في الناس بأخيه فأخرجها من نسله وصيّرها شورى بين إخوته . فبأي أفعاله تتعلقون ؟ وبأي مذاهبه تتمسكون ؟ أبطرائفه القويمة في حياته ؟ أم بعدله فيكم عند وفاته ؟ ألهمنا الله وإياكم طاعته .

حليمة مرضع الرسول ﷺ

هي حليمة بنت أبي ذُؤيْب عبد الله السعدية . مرضع من مراضع العرب ، أرضعت النبي ﷺ وذلك أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه في نسوةٍ من بني سعد بن بكر تلتمس الرُضعاء في سنة شهباء لم تُبقِ لها شيئاً ؛ فقدمت مكة فرأت محمد بن عبد الله ﷺ يُعرَضُ على جملة من المرضعات ، فيأبين أن يأخذنْه إذ قيل لهن : إنه يتيم ، لأنهن كنّ يأملنَ المعروف من أبي الرضيع . فما بقيت امرأةٌ قدمت مع حليمة إلاّ وأخذتْ رضيعاً إلاّ حليمة . فلما أجمعنَ الإنطلاق ، قالت حليمة لصاحبها : إني لأكرهُ أن أرجعَ من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعاً ! والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه . قال : لا عليك أن تفعلي ، فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . فذهبتْ إليه فأخذته وأرضعتْه ، حتى أكملت رضاعه ، فدرَّ عليها عملُها هذا كثيراً من الخيرات والبركات .

الخنساء أشعر الناس

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الرياحية السُّلمية . أشهر شواعر العرب وأشعرهن . عاشتَ أكثر عمرها في العهد الجاهلي وأدركت

١ ـ بلهنية العيش : رخاؤه .
٢ ـ الرفهنية : الرفاهية .
٣ ـ خميصاً : ضامراً .

الإسلام فأسلمت ، وأسلم معها قومُها بنو سُلَيم . وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول : هيه يا خناس ويُوقي بيده . ولما قدم عدي بن حاتم على رسول الله ﷺ وحادثه ، فقال : يا رسول الله إنّ فينا أشعرَ الناس وأسخى الناس ، وأفرسَ الناس . قال : سمِّهم . قال : أما أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر ، وأمّا أسخن الناس فحاتم بن سعد ، يعني أباه ؛ وأما أفرسُ الناس فعمرو ابن معد يكرب . فقال رسول الله ﷺ : ليس كما قلت يا عدي . أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو ، وأما أسخى الناس فمحمد ، يعني نفسه ﷺ وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها ، صخر ومعاوية وكانا قد قُتلا في الجاهلية . وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ . وهي معهم وأوصتهم من أول الليل : يا بَنيّ ، إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا إله إلّا هو إنكم لبنو رجلٍ واحد ، كما إنكم بنو امرأةٍ واحدة ما هجنت حَسَبكم ، ولا غيَّرتْ نَسَبكم . واعلموا أن الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . . . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدّموا واحداً بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصيّة العجوز لهم حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ الرحمة .

قال الأصمعي : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوبٌ[1] في وجهها ، فقال : ما هذه الندوب ياخنساء؟ قالت : من طول البكاء على أخويّ ! قال لها : أخواك في النار ! قالت : ذلك أطول لحزني عليهما ؛ إني كنت أُشفق عليهما من القتل ، وأنا اليومَ أبكي لهما من النار ، وأنشدت :

وقائلةٍ والنعشُ قد فات خطْوَها لتُدركَهُ يا لَهفَ نفسي على صخرِ
ألا ثَكِلتْ أمُ الذين غدَوا بـه إلى القبرِ ماذا يَحملون إلى القبرِ

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وعليها صدار من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد

---

١ ـ الندوب: الآثار التي تتركها الجروح على الجلد .

شَرنْبث أطراف البنان ضُبارم ... له في عرين الغيل عِرسٌ وأشبُلُ[٥]

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخراً :

أبكتْ عيني وعاودَها قَذاها ... بعُوّارٍ فما تقضّى كراها[١]
على صخرٍ وأيّ فتى كصخرٍ ... إذا ما الغابُ لم تَر أم طلاها
حلفتُ بربِّ صُهْبٍ معملاتٍ ... إلى البيت المحرّم منتهاها[٢]
لئن جزعتْ بنو عمرٍ وعليه ... لقد رُزِئت بنو عمرو فتاها
له كفٌّ يشُدُّ بها وكفٌ ... تجود فما يَجفّ ثرى نداها
ترى الشُمَّ الغطارف من سُلَيم ... وقد بَلَّت مدامعها لِحاها
أحاميكم ومُطعمَكم تركتم ... لدى غبراءَ منهدمٌ رجاها
فَمَنْ للضيف إن هبّتْ شمالٌ ... مزعزعة تناوئها صَباها[٣]
وألجأ بَرْدَها الأشوال حَدْباً ... إلى الحُجرات باديةً كلاها[٤]
هنالك لو نزلتَ بباب صخر ... قَرَى الأضياف شحماً من ذُراها
وخيلٍ قد دَلَفْتَ لها بخَيْلٍ ... فدارتْ بين كبشيها رحاها
تكفكفُ فضلَ سابغةٍ دلاصٍ ... على خَيْفَانةٍ خَفِقٍ حَشاها[٥]

خولة بنت حكيم تُبكي أمير المؤمنين !!

خولة بنت حكيم بن أُمية بن حارثة السلمية . راوية من راويات الحديث . روتْ عن النبي ﷺ خمسة عشرَ حديثاً . وروى لها مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة . وروى عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب ومحمد بن يحيى بن حبان وعمر بن عبد العزيز وهي من اللاتي وهبن أنفسهن

٥ ـ ضبارم: مقدام وشجاع .
١ ـ القذى: كل ما يُدمع العين .
٢ ـ الصهب: جمع أصهب وصهباء، وتعني الخيل الصهب اي التي خالط بياضها حمرة .
٣ ـ الشمال: ريح شمالية باردة. الصبا: الريح .
٤ ـ الأشوال من الإبل: جمع شائلة وهي التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها .
٥ ـ درع دلاص: ملساء لينة .

للنبي ﷺ فأرجأها . وكانت تخدم النبي ﷺ وتزوّجها عثمان بن مظعون .

يُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ويدُه على المُعَلّى بن الجارود العبدي ، فلقيته امرأةٌ من قريش فقالت له : يا عمر ، فوقف لها . فقالت : كنّا نعرفك مدةً عُمَيْراً ، ثم صرتَ من بعد عُمَيْرٍ عُمَرَ ، ثم صرتَ من بعد عمر أميرَ المؤمنين . فاتّقِ الله يا بن الخطاب وانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيدَ قرب عليه البعيد . ومن خاف الموت خشي الفوْت . فقال المُعلّى : إيهاً يا أمة الله ! لقد أبكيتِ أمير المؤمنين . فقال له عمر : أسكت . أتدري من هذه ويحك ؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فعمر أحرى أن يسمعَ قولها ويقتدي به .

خولة بنت مقاتل تتزوّج يهودياً

كان يحيى بن أبي حفصة أخو مروان بن أبي حفصة يهودياً ، أسلم على يد عثمان بن عفان ، فكثُر ماله ، فتزوّج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفاً . وفيه يقول القلاخ :

رأيتُ مُقاتِلَ الطلبات حَلّى ... نُحُورَ بناته كمرَ الموالي
فلا تفخرْ بقيسٍ ، إنّ قيساً ... خريتم فوق أعظمِهِ البوالي !

وله فيه :

نُبِّئْتُ خولة قالت حين أَنكَحَها ... لطالما كُنتُ مِنكَ العارَ أنتظرُ
أنكحتَ عَبْدين ترجو فضلَ مالِهما ... في فيك مما رَجَوْتَ التُّربُ والحجرُ
لله دَرُّ جيادٍ أنت سائسُها ... بَرْذَنتها وبها التحجيلُ والغُررُ

فقال مقاتل يردّ عليه :

وما تركتْ خمسون ألفاً لقائلٍ ... عليكَ ـ فلا تحفِل ـ مقالةَ لائمِ
فإن قُلْتُمْ زَوَّجْتَ مولى ؛ فقد مضت ... بِهِ سُنَّةٌ قبلي وحبُّ الدراهم

الخيزران امرأة المهدي العباسي

ملكة حازمة متفقّهة ، يمانية الأصل . أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي . كانت من جواري المهدي فأعتقها وتزوّجها . ولما مات وولي ابنها « الهادي »

توفي رسول الله ﷺ فما لبسته ! قالت : إنّ له معنًى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أنّ أبي زوّجني سيدَ قومه ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفذه ، ثم رجع في مالي فأنفذه أيضاً ، ثم التفت إليّ فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخي صخر . قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيّرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعَه ، ثم التفت إليّ فقال لي : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخي صخر ! قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين وخيّرنا في أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيّرهم بين الشطرين ؟ فقال :

والله لا أمنحُها شِرارها   فلو هلكْت قدّدتْ خِمارَها
واتخذتْ من شعرٍ صِدَارها   وهي حَصانٌ قد كفتني عارَها

فآليت ألاّ يفارق الصدار جسدي ما بقيت .

قيل للخنساء : صفي لنا أخويك صخراً ومعاوية . فقالت : كان صخر والله جنّة الزمان الأغبر ، وذعاف[1] الخميس الأحمر . وكان والله معاوية القائل والفاعل . قيل لها : فأيهما كان أسنى وأفخر ، قالت : أمّا صخر فحرُّ الشتاء ، وأما معاوية فبرد الهواء. قيل لها : فأيهما أوجع وأفجع . قالت : أما صخر فجمرُ الكبد ، وأما معاوية فسقام الجسد ! وأنشأت تقول :

أسـدان مُحْمَرّا المخـالب نجدةً   بَحران في الزّمن الغضوب الأنمر
قمران في النادي، رفيعا مَحْتِدٍ   في المجد فرْعا سوددٍ مُتَخَيِّرٍ[2]

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخر بن الشريد:

أقـذَى بعينك أم بـالعين عُـوّارُ   أم أقفرت إذ خَلَتْ من أهلها الدارُ[3]
كأنّ دمعي لذكـراه إذا خطرتْ   فيضٌ يسيل على الخدّين مدرارُ
فالعينُ تبكي على صخرٍ وحقَّ لها   ودونَه من جديد الأرض أستارُ
بكـاءَ والهـةٍ ضلّتْ أليفَتَهـا   لهـا حنينـان إصغـارٌ وإكبـارُ

١ ـ الذعاف: السم الذي يقتل من ساعته .
٢ ـ المحتد: الأصل .
٣ ـ أقفرت: خلت .

ترعى إذا نسيتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنما هي إقبالٌ وإدبار
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ[٤]
حامي الحقيقة، محمودُ الخليقة مَهْـ ـديُّ الطريقة، نفّاعُ وضرّارُ

وقالت أيضاً :

ألا ما لعيني، ألا ما لها لقد أخضلَ الدمعُ سِربالَها[١]
فآليتُ آسي على هالكٍ وأسألُ باكيةً ما لَها
وهمَّتْ بنفسيَ كلُّ الهموم فأوْلى لنفسي أوْلى لها
سأحمل نفسي على خطة فإمّا عليها وإمّا لها

وقالت أيضاً :

أعيْنيَّ جودا ولا تَجمُدا ألا تبكيان لصخر النّدى؟
ألا تبكيان الجريءَ الجوادَ ألا تبكيان الفتى السَّيِّدا ؟
طويل النجادِ رفيع العما دِ، سادَ عشيرتَه أمردا[٢]
يُحَمِّله القوم ما غالهمْ وإن كان أصغرَهُمْ مولدا
جموعُ الضيوف إلى بابه يَرى أفضل الكسبِ أن يُحَمدا

وقالت أيضاً :

فما أدركت كفُّ امرىء متناولٍ من المجد إلّا والذي نِلتَ أطولُ
وما بلغ المُهدون للمدحِ غايةً ولا جهدوا إلّا الذي فيك أفضلُ
وما الغيثُ في جعْد الثرى دَمثِ الرّبا تبعَّق فيها الوابلُ المتهلّلُ[٣]
فأفضلَ سيباً من يديك ونعمةً تجودُ بها، بل سيبُ كفيِّك أجزلُ
من القوم فعشيُّ الرواق كأنه إذا سِيم ضيماً خادرٌ متَبسِّلُ[٤]

---

١ ـ العلم: الجبل .
٢ ـ أخضل: بلّل .
٣ ـ الأمرد: خفيف شعر اللحية، وكنّت به هنا عن صغر عمره .
٤ ـ الوابل: المطر الشديد .
٥ ـ الضيم: الظلم .

انفردت بكبار الأمور ، وأخذت المواكب تغدو وتروح إلى بابها ، وحاول الهادي منعها من ذلك وسعى في عزل أخيه « الرشيد » من ولاية العهد . وقيل : إنها علمت عزمه على قتل الرشيد فأرسلت إليه بعضَ جواريها وهو مريض ، فجلسن على وجهه حتى مات خنقاً . وولي بعده الرشيد . توفيت سنة ١٧٣ هـ .

قصة دارمية الحَجونية مع معاوية

سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال : حجّ معاوية ، فسأله عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون ، يقال لها دارِميَّة الحجونية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأُخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها فجيء بها ؛ فقال : ما حالك يا ابنةَ حام[1] ؟ فقالت : لست لِحَامٍ إن عِبتني ؛ أنا امرأة من بني كنانة . قال : صدقت . أتدرين لِمَ بعثتُ إليكِ ؟ قالت : لا يعلم الغيبَ إلا الله . قال : بعثت إليك لأسألك : عَلامَ أحببتِ علياً وأبغضتني ؛ وواليتِهِ وعاديتني ؟ قالت : أو تُعفيني . قال : لا أُعفيكِ . قالت : أما إذْ أبَيْتَ ، فإني أحببتُ علياً على عدله في الرعيّة ، وقسْمِه بالسويّة ، وأبغضتُك على قتال مَن هو أولى منك بالأمر ، وطِلْبَتَك ما ليس لك بحق . وواليتُ علياً على ما عقَدَ له رسول الله ﷺ من الولاء ، وحبِّه المساكين . وإعظامِه لأهل الدين . وعاديتُك على سفكك الدماء ، وجَوْرِك في القضاء ، وحكمِك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنُك ، وعظُم ثدياك ، ورَبَتْ[2] عجيزتُك ، قالت : يا هذا ، بهند والله كان يُضرب المثلُ في ذلك لأبي . قال معاوية : يا هذه أربعي ، فإنّا لم نقلْ إلا خيراً ؛ إنه إذا انتفخ بطنُ المرأة تمَّ خلقُ ولدها ، وإذا عظُم ثدياها تروّى رضيعُها ، وإذا عظُمت عجيزتُها رزُن[3] مجلسُها . فرجعتْ وسكنتْ . قال لها : يا هذه ، هل رأيت علياً ؟ قالت : إي والله . قال : فكيف رأيتِه ؟ قالت : رأيته والله لم يفتنه المُلْكُ الذي فتنك ، ولم تشغله النعمةُ التي شغلتْك قال : فهل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلوب من

---

١ ـ حام وسام : أبَوا الجنس البشري ، الأول أبو الجنس الأسود والثاني أبو الجنس الأبيض .
٢ ـ ربت : عظمت .
٣ ـ رزُن : استقام .

العمى كما يجلو الزيتُ صدأ الطّسْت . قال : صدقتِ ! فهل لك من حاجة ؟ قالت : أَوَ تفعلُ إذا سألتُك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلُها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بألبانها الصغار ، واستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأُصلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتُك ذلك فهل أَحُلُّ عندك محلّ علي بن أبي طالب ؟ قالت : ماء ولا كصدّاء ، ومرعىً ولا كالسعدان[1] ، وفتىً ولا كمالِك ، يا سبحان الله ، أَوَ دونَهُ ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعُدْ بالحِلمِ منّي عليكم فَمَنْ ذا الذي بَعدي يؤمَّل للحِلْمِ
خُذيها هنيئاً واذكري فعلَ ماجدٍ جزاكِ على حرب العداوةِ بالسِّلْمِ

ثم قال : أما والله لو كان عليّ حياً ما أعطاك منها شيئاً .

قالت : لا والله ، ولا وَبَرَةً واحدةً من مال المسلمين .

دُختنوس ترثي أباها

هي دُختنوس بنت لقيط بن زُرارة . شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية . قالت ترثي أباها لما مات وجعل بنو عامر يضربونه وهو ميت :

ألا يا لها الويلاتُ ويلةُ من بكى لضربِ بني عبسٍ لقيطاً وقد قضى
لقد ضربـوا وجهاً عليـه مهابـةٌ وما تحفل الصم الجنادلَ مَنْ ثوى[2]
فلو أنكم كنـتم غـداة لـقيـتم لقيـطاً ضـربتم بـالأسنّـةِ والقنـا
غدرتم ولكن كنتم مثلَ خُضب اضاءت لها القناص من جانب الشرّا

وقالت :

قـرَّتْ بنـو أسـدٍ وخـ ـرَّ الطيرُ عن أربابها
عن خيرِ خُندَفَ كلِّها من كهلِهـا وشبـابهـا
وأتمِّهـا حسبـاً إذا نُصَّتْ إلى أحسابَها

١ ـ السعدان: ضرب من الحشيش يضرب المثل به لتهافت الماشية عليه .
٢ ـ الجنادل: جمع جندل وهو الصخر العظيم .

دُغَة يُضرب بها المثل في الحمق

ودُغة : امرأة من عجل بن لُجيم ، تزوّجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم . يقال : أحمق من دُغة .

دنيا جارية الرشيد

قال الأصمعي : دخلت على هارون أمير المؤمنين ، وبين يديه جاريةٌ حسناء عليها لِمّة[1] جعدة ، وذؤابة تضرب الحِقو[2] منها ، وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب : هذا ما عمل في طراز الله ! فقال : يا أصمعي ، صفها . فأنشأت أقول :

كِنا نـيَّـةُ الأطراف سعْدية الحشا ... هلاليّةُ العينين طائيّة الفمِ
لها حكم لقمانٍ ، وصورةُ يوسفٍ ... ونغمةُ داودٍ ، وعفّة مريم

فقال : أحسنت والله يا أصمعي ، فهل عرفت اسمها ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، فقال اسمها دنيا . فأطرقت ساعة ثم قلت :

إنّ دنيـا هـي الـتي ... تملك الـقلبَ قـاهـرَهْ
ظلمـوها شـطر اسمِها ... فـهـي دُنـيـا وآخـره

قال الأصمعي : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

خبر الذلفاء

حدث أبو زيد الأزدي قال : دخلت على سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهو جالس على دكان مبلط بالرخام الأحمر ، مفروش بالديباج الأخضر . في وسط بستان ملتف ، قد أثمر وأينع ، وإذا بإزاء كل شِقّ من البستان ميدان ينبت الربيع قد أزهر ، وعلى رأسه وصائف . كلُّ واحدة منهن أحسنُ من صاحبتها ؛ وقد غابت الشمس ، فنضرت الخضرة ، وأضعفت في حسنها الزهرة ، وغنَّت الأطيار فتجاوبت ، وسفت الرياح على الأشجار

1 ـ اللّمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن .
2 ـ الحقو: الخصر .

فتمايلت ؛ وقد حَلِي البستانُ بأنهار فيه قد شقّقت ، ومياه قد تدفقت : فقلت : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته .

وكان مطرقاً ، فرفع رأسه وقال : أبا زيد ! في مثل هذا الحين يصاب أحدٌ حيا ؟ .

قلت : أصلح الله الأمير ، أو قد قامت القيامة بعدُ ! .

قال : نعم ، على أهل المحبة سراً والمراسلةُ بينهم خفية .

ثم أطرق ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : أبا زيد ، ما يطيب في يومنا هذا ؟ .

قلت : أعز الله الأمير ، قهوةً صفراء ، في زجاجة بيضاء ، تناولها مقدودة هيفاء ، مضمومة لفَّاء [مكحولةٌ] دعجاء ، أشربُها من كفها ، وأمسح فمي بفمها ! .

فأطرق سليمان ملياً لا يُحير جواباً، ينحدر من عينه عبراتٌ بلا شهيق؛ فلما رأت الوصائِفُ ذلك تنحيْنَ عنه؛ ثم رفع رأسه فقال: أبا زيد، حللتَ في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرُّمُ عمرك! والله لأضربن عنقك أو لتخبرنِّي ما أثار هذه الصفة من قلبك .

قلت : نعم أصلح الله الأمير . كنت جالساً عند باب أخيك سعيد بن عبد الملك ، فإذا أنا بجارية قد خرجت إلى باب القصر كالغزال انفلت من شبكة الصياد : عليها قميص إسكندراني يتبين منه بياضُ بدنها ، وتدويرُ سرَّتها ، ونقْش تكتها ؛ وفي رجليها نعلان حمراوان ، وقد أشرق بياضُ قدمها على حمرة نعليها ؛ مضمومة بفرد ذؤابة تضرب إلى حقويها وتسيل كالعثاكيل على منكبيها . وطرّة قد أسبلت على مثنى جبينها ، وصدغان قد زينا كأنهما نونان على وجنتيها ، وحاجبان قد قوّسا على محجري عينيها ، وعينان مملوءتان سحراً ، وأنف كأنه قصبةُ درّ ، وفم كأنه جُرْح يقطر دماً ، وهي تقول : عباد الله . من لي بدواء من لا يشتكي ، وعلاج من لا ينتمي ؟ طال الحجاب ، وأبطأ الجواب ؛ فالفؤاد طائر ، والقلب عازب ، والنفس والهة ، والفؤاد مختَلَس ، والنوم محتَبَس ؛ رحمة الله على قوم عاشوا تجلُّداً وماتوا تبلّدا ؛ ولو كان إلى الصبر حيلةٌ وإلى العزاء سبيلٌ لكان أمراً جميلاً ! .

ثم أطرقت طويلاً، ثم رفعت رأسها؛ فقلت: أيتها الجارية، إنسية أنت أم

جنِّية ؟ سمائية أم أرضية ؟ فقد أعجبني ذكاء عقلك ، وأذهلني حُسْنُ منطقك ! .

فسترتْ وجهها بكمها كأنها لم ترني ، ثم قالت : آعذِر أيها المتكلم الأريب ، فما أوحش الساعة بلا مساعد ، والمقاساة لصبِّ معاند ! ثم انصرفت ؛ فوالله ـ أصلح الله الأمير ـ ما أكلت طيباً إلا غُصِصْت به لذكرها ، ولا رأيت حسناً إلا سَمُج في عيني لحسنها ! .

قال سليمان : أبا زيد ، كاد الجهل أن يستفزني ، والصبا أن يعاودني ، والحلم أن يعزب عني ؛ لحسْن ما رأيت ، وشجو ما سمعت ، تلك هي الذلفاء التي يقول فيها الشاعر :

إنَّمــا الــذلفــاء يــاقــوتــةٌ أُخرِجَتْ من كيسِ دهْقانِ

شراؤها على أخي ألفِ درهم ، وهي عاشقة لمن باعها ، والله إني من لا يموت إلا بحزنها ، ولا يدخل القبر إلا بغصَّتها ، وفي الصبر سلوة ، وفي توقُّع الموت نُهية ، قم أبا زيد فاكتم المفاوضة ؛ يا غلام ، ثقِّله ببدرة . فأخذتها وانصرفت .

قال أبو زيد : فلما أفْضَت الخلافةُ إلى سليمان ، صارت الذلفاء إليه ، فأمر بفسطاط ، فأُخرج على دهناء الغوطة ، وضُرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة ، تحتها أنواع الزهر الغض ، من بين أصفر فاقع ، وأحمر ساطع ، وأبيض ناصع ؛ فهي كالثوب الحرمي وحواشي البُرد الأتحميّ يثير منها مرُّ الرياح نسيماً يُربي على رائحة العنبر . وفتيت المسك الأذفر ، وكان له مغن ونديم وسمير ، يقال له سنان ، به يأنس ، وإليك يسكن ، فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه ، وقد كانت الذلفاء خرجت مع سليمان إلى ذلك المتنَزَّه ، فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان ، في أكمل سرور ، وأتم حبوْر ، إلى أن انصرف مع الليل إلى فسطاطه ، فنزل به جماعة من إخوانه ، فقالوا له : قِرانا أصلحك الله قال : وما قراكم ؟ قالوا : أكل وشرب وسماع . قال : أما الأكل والشرب فمباحان لكم ، وأما السماع فقد عرفتم شدة غيْرَة أمير المؤمنين ونهيه إياي عنه ، إلا ما كان في مجلسه . قالوا : لا حاجة لنا بطعامك

وشرابك وإن لم تُسمِعْنا . قال : فاختاروا صوتاً واحداً أغنيكموه . قالوا : غنِّنا كذا . قال : فرفع عقيرته يتغنى بهذه الأبيات :

محجوبة سمعَت صوتي فأرّقها ... في آخرِ الليْلِ لما ظلَّها السحَرُ
تثنى على الخدِّ منها من مُعصفَرَة ... والحَلْيُ بادٍ على لبّاتِها خضرُ
في ليلَةِ التِّمّ لا يدري مُضاجعُها ... أوَجهُها عنده أبهى أم القمرُ
لم يحجُبِ الصَّوْت أجراسٌ ولا غلَقٌ ... فدمْعُهَا لطُرُوق الصَّوْتِ مُنْحَدِرُ
لو خُلّيَتْ لَمَشَتْ نحوي على قدمٍ ... يَكاد من لِينِه للمشْيِ ينفَطِرُ

فسمعت الذلفاء صوت سنان ، فخرجت إلى وسط الفسطاط تستمع ؛ فجعلت لا تسمع شيئاً من حُسْنِ خَلق ولطافة قدّ ، إلا الذي وافق المعنى ؛ ومن نعت الليل واستماع الصوت ، إلا رأت ذلك كله في نفسها ومهبها ، فحرك ذلك ساكناً في قلبها ، فهملت عيناها ، وعلا نشيجها ، فانتبه سليمان فلم يجدها معه ، فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال ، فقال لها : ما هذا يا ذلفاء ؟ فقالت :

ألا رُبَّ صوْتٍ رائعٍ من مُشوَّهٍ ... قبيحِ المُحَيَّا واضِعِ الأبِ والجَدّ
يَروعُك منه صوْتُه ولعلّهُ ... أمَةٍ يُعزَى معاً وإلى عبدِ

فقال سليمان : دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ! يا غلام ، عليَّ بسنان . فدعت الذلفاء خادماً لها فقالت : إن سبقت رسولَ أمير المؤمنين إلى سنان . فحذِّره ولك عشرة آلاف درهم وأنت حُر لوجه الله تعالى ! فخرج الرسول فسبق رسولُ سليمان ؛ فلما أُتي به قال : يا سنان ، ألم أنهك عن مثل هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين حملني الثمل وأنا عبد أمير المؤمنين وغَذِيُّ نعمتِه : فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يُضيع حظَّه من عبده فليفعل . قال : أما حظي منك فلن أُضيعه ، ولكن ويلك ! أما علمتَ أن الرجل إذا تغنى أصغت المرأةُ إليه ، وأن الحصان إذا صهل ودَقّتْ له الفرس ، وأن الفحل إذا هدر صغت له الناقة ، وأن التيس إذا نبَّ استحرمت له الشاة ؟ وإياك والعَوْدَ إلى ما كان منك يطول غمُّك .

قال إسحاق : حدثني أبو السمراء قال : حججت فبدأت بالمدينة ، فإني

لمنصرف من قبر رسول الله ﷺ ، وإذا بامرأة بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة ، وإذا هي في ناحيةٍ وحدها وعليها ثوبان خلقان ، وإذا هي ترجِّع بصوت خفي شجي ، فالتفتُّ فرأيتُها فوقفت ، فقالت : هل من حاجة ؟ قلت تزيدين في السماع ! قالت : وأنت قائم ؟ لو قعدتَ ! فقعدت كالخَجِل ، فقالت : كيف عِلمُك بالغناء ؟ قلت : علمٌ لا أحمده ، قالت : فعلام أنفخ بغير نار؟ ما منعك من معرفته؟فوالله إنه لسحوري وفطوري!قلت:وكيف وضعته في هذا الموضع العالي؟ قالت:يا هذا،وهل له موضع يوضع به وهو في علوه في السماء الشاهقة ؟ قلت : فكل هؤلاء النسوة اللاتي أرى على مثل رأيك وفي مثل حالك ؟ قالت ؟ : فيهن وفيهن . . . ولي بينهن قصة . قلت : وما هي ؟ قالت :

كنت أيامَ شبابي وأنا في مثل هذه الخلقة التي ترى من القبح والدمامة ، وكنت أشتهي الجماع شهوة شديدة وكان زوجي شاباً وضيئاً ، وكان لا ينتشر عليَّ حتى أتحفَه وأطَيِّبه وأسكره ، فأضَرَّ ذلك بي ؛ وكان قد علقتْه امرأةُ قصّار تجاورني، فزاد ذلك في غمي؛فشكوت إلى جارة لي ما أنا فيه،وغلبةَ امرأةِ القصّار على زوجي، فقالت: أدلّك على ما ينهضه عليك ويرد قلبه إليك! قلت: وبأبي أنت، إذاً تكونين أعظم الخلق مِنَّةً عليّ . قالت: اختلِفي إلى مجمع مولى الزبير، فإنه حسن الغناء، فاعْلَقي من غنائه أصواتاً عشرة، ثم غني بها زوجك، فإنه سيجامعك بجوارحه كلها! قالت: فالتطت بمجمعه فلم أفارقه حتى رضيني حَذَاقة ومعرفة، فكنت إذا أقبل زوجي اضطجعت ورفعت عقيرتي ثم تغنيت، فإذا غنيت صوتاً بت على نيِّف، وإن غنيت صوتين بت على اثنين، وإن غنيت ثلاثة فثلاثة:

فكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

قال: فضحكتُ والله حتى أمسكت على بطني، وقلت: يا هذه، ما أظن أنه خلق مثلك! قالت: اخفض من صوتك، قلت: ما كان أعظم مِنَّة من المشورة، قالت: حسبك بها منة، وحسبك بي شاكرة! قلت: ففي قلبك من تلك الشهوة شيء؟ قالت: لذعٌ في الفؤاد، وأما تلك الغلمة التي كانت تنسيني

الفريضة وتقطعني عن النافلة فقد ذهب تسعة أعشارها! فوقفت عليها وقلت: ألكِ حاجة إن أزم حالك؟ قالت: لا، أنا في فائت من العيش! فلما نهضت لأقوم قالت: على رسلك، لا تنصرف خائباً! ثم ترنمت بصوت تخفيه من جارتها:

ولي كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يَبِيْعُني بها كبداً ليست بذات قروحِ
أبى الناس كلُّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علّة بصحيحِ

رباب تقول في أبي حمزة

ذُكر عند أعرابي الأولادُ والانتفاعُ بهم؛ فقال: زوِّجوني امرأة أولدُها ولداً أعلِّمُه الفروسيَةَ حتى يُجري الرهان؛ والنزعَ عن القوس حتى يصيب الحَدَق، وروايةَ الشعر حتى يُفحم الفحول. فزوَّجوه امرأة فولدت له ابنة، فقال فيها:

قد كنتُ أرجو أن تكون ذَكَرَا فشقَّها الرّحْمٰن شقّاً منكَرا
شقّاً أَبَى الله له أن يُجبَرا مِثلَ الذي لأمِّها أو أكبرا

ثم حَمَلت حملاً آخر، فدخل عليها وهي في الطلق - وكانت تُسمَّى رباباً - فقال:

أيا ربابي طرِّقي بخير وطرِّقي بخُصيةٍ و...
ولا تُرينا طرف البُظَيْرِ

ثم ولدت له أُخرى، فهجر فراشها وكان يأتي جارةً لها، فقالت فيه - وكان يُكنى أبا حمزة:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا يظلُّ في البيت الذي يلينا
غضبانَ أن لا نلدَ البنينا وإنما نأخذُ ما أُعطينا

فألانه قولُها ورجع إليها.

رزينة في شعر أعرابي

قال أبو الفضل الرياشي: أنشدنا أعرابي:

أباكيةٌ رزينـةُ إن أتاهـا نعيٌ أم يكون لها اصطِبارُ
إذا ما أهلُ ودِّي ودّعوني وراحوا والأكفُ بها غُبارُ
وغُودِرَ أعظمي في لحدِ قبرٍ تعاوَره الخبائبُ والقطارُ
تظلُّ الريحُ عاصفةً عليه ويَرعى حولَه اللَّهق النَّوارُ[1]
فذاك النأيُ لا الهِجرانُ حوْلاً وحولاً ثم تَجْمَعُنا الديارُ

رقية بنت رسول الله ﷺ

هي أكبرُ بناتِه ﷺ ، وُلدت حوالي ٢٠ قبل الهجرة . تزوّجها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل النبوة . فلما بُعث رسول الله ﷺ وأنزل عزّ وجلّ : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ . قال أبو لهب : رأسي من رأسك حرامٌ إن لم تطلّق ابنته . ففارقها ولم يكن دخل بها . وأسلمت رقية حين أسلمت أمُها خديجة وبايعت النبي ﷺ ، ثم تزوّجها عثمان بن عفان بمكة وهاجرت إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً وهاجرت إلى المدينة بعد زوجها عثمان حينَ هاجر النبي ﷺ . ومرضت فأصابتها الحصبة ورسول الله ﷺ يتجهز إلى بدر ، فخلّف رسول الله ﷺ عثمان بن عفان . فتوفيت ورسول الله ﷺ ببدر في شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهراً من هجرة رسول الله ﷺ . ولمّا توفيت رقية بكت النساءُ عليها . فجاء عمر بن الخطاب فجعل يضربهنّ بسَوْطه . فأخذ النبي ﷺ بيده فقال : دَعْهنّ يا عمر يبكين . ثم قال : إبكينَ ، وإيّاكنَّ ونعيقَ الشيطان ، فإنه مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمةِ ، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان . فقعدت فاطمة على شفير القبر إلى جنب النبي ﷺ فجعلت تبكي ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحُ الدمع عن عينها بطرف ثوبه . وعن أنس بن مالك أنه قال : شَهِدْنا دفن بنت رسول الله ﷺ ورسول الله جالس على القبر ، فرأيت عينيه تدمعان فقال : هل منكم من أحد لم يقارف[2] الليلة ؟ فقال أبو

---

١ ـ اللهف: جمع لهفة أي الثور الأبيض. وكل أبيض يقال له « لهف ».
٢ ـ قارف هنا أي ضاجع زوجه. وقارف الذنب: داناه .

طلحة : أنا . فقال : إنزل في قبرها . فنزل في قبرها . وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما عُزِّي رسول الله ﷺ بابنته رقية . قال : الحمدُ لله ، دفنُ البنات من المكْرُمات . وفي رواية : من المكرُمات دفنُ البنات .

وقال الزهري عن سعيد بن المسيِّب : لما ماتت رقية جزع عثمان عليها ، وقال : يا رسول الله ، انقطع صهري منك ! قال : إن صهرك مني لا ينقطع ، وقد أمرني جبريل أن أزوِّجَك أختَها بأمرِ الله .

رملة بنت أبي سفيان لا بدّ من استئذانها

سيِّدة جليلة هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة في الهجرة الثانية . ثم تنصَّر هنالك ومات على النصرانية ، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام ، ثم تزوَّجها رسول الله ﷺ .

جاءت أم حبيبة على بغلة لها لما حوصر عثمان بن عفان . فقيل : أم المؤمنين أم حبيبة . فضربوا وجه بغلتها فقالت : إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل (تعني عثمان) فأحببت أن أُلقاه فأسألَه عن ذلك كَيْلا تهلكَ أموال أيتام وأرامل . فقالوا : كاذبة وأهوَوا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف ، فندت بأم حبيبة . فتلقاها الناس وقد مالت رحالتُها ، فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تُقتل فذهبوا بها إلى بيتها .

وقيل : إن زياداً استأذن معاوية في الحج ، فأذن له ؛ وبلغ ذلك أبا بكرة ، فأقبل حتى دخل على زياد وقد أجلس له بنيه ، فسلّم عليهم ولم يُسلّم على زياد ، ثم قال : يا بني أخي ، إن أباكم ركب أمراً عظيماً في الإِسلام بادِّعائه إلى أبي سفيان ؛ فوالله ما علمت سميّة بغتْ قط ؛ وقد استأذن أميرَ المؤمنين في الحج ، وهو مارٌّ بالمدينة لا محالة ، وبها أُمُّ حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي ﷺ ، ولا بدّ له من الاستئذان عليها ، فإن أذِنتْ له فقَعَد منها مقعدَ الأخ من أخته ، فقد انتهك من رسول الله ﷺ حُرْمةً عظيمة ، وإن لم تأذن له فهو عارُ الأبد . ثم خرج ، فقال له زياد : جزاكَ الله خيراً من أخ فما تدع النصيحة على حال . وكتب إلى معاوية يستقيله ، فأقاله .

رملة بنت الزبير يهواها خالد بن يزيد

لما قُتل ابن الزبير ، حجَّ خالد بن يزيد بن معاوية فخطب رملة بنت الزبير ابن العوام . فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن وهب وقال له : ما كنتُ أراك تخطبُ إلى آل الزبير حتى تشاورني . وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ؟ وكذلك قال جدك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة . فنظر خالد طويلاً ثم قال : لولا أنك رسول ، والرسول لا يُعاقب ، لقطعتك إرباً إرباً ثم طرحتُك على باب صاحبك .

وقال خالد فيها :

أليس يزيد السيرُ في كلِ ليلة ... وفي كلِّ يومٍ من أحبّتنا قربا
أحنّ إلى بنت الزبير وقد علمت ... بنا العميسُ خرقاًمن تهامةأو نقبا
إذا نزلت أرضاً تحبّب أهلُها ... إلينا وإن كانت منازلها حربا
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها ... مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا[1]
تجولُ فلا خيلُ النساء ولا أرى ... لرملةَ خلخالاً يجول ولا قلبا
أقلوا عليَّ اللوم فيها فإنني ... تخيرّتُها منهم زبيرية قلبا
أحبّ بني العوام طراً لحبها ... ومن حبها أحببتُ أخوالها كلبا

وقال رجل من الشعراء فيها :

ألا مَنْ لقلبٍ مُعنى غزل ... بِذكرِ المُحِلةِ أختِ المُحِلّ

ودُعي ابن الزبير بالمُحل ، لإحلاله القتال في الحرم .

رملة بنت شيبة ترمي نفسها على عثمان

الرياشي عن الأصمعي قال : كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر عثمان أربعة : عبد الرحمن بن عديس البلَويّ ، وحكيم بن جبلة العبدي ،

---

١ ـ مليحاً: مالحاً .

والأشتر النخعي ، وعبد الله بن بديل الخزاعي ، فقدموا المدينة فحاصروه ، وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف بين يديه ، وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر ، وأرادوا أن يقطعوا رأسه ويذهبوا به ، فرمت نفسها عليه امرأتاه ، نائلة بنت الفرافصة ، ورملة بنت شيبة بن ربيعة ، فتركوه وخرجوا .

رملة بنت معاوية في شعر عبد الرحمن بن حسان

قال يزيد لأبيه : إن عبد الرحمن بن حسان يشبّب بابنتك رملة . قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

هي بيضاءُ مثل لؤلؤةِ الغوّا ص ِ صيغَت من لؤلؤٍ مكنونِ

قال : صدق ! قال : ويقول :

وإذا ما نسبتها لم تجدها في ثناءٍ من المكارِمِ دونِ

قال : صدق أيضاً ! قال : ويقول :

تجعلُ المسكَ واليَنْجُو جَ صلاءً لها على الكانونِ[1]

قال : صدق قال : فإنه يقول :

ثم خاصرتُها إلى القبّة الخَضْـ ـراءِ نمشي في مرمرٍ مسنون

قال : كذب ! قال : ويقول :

قبّةٌ من مراجلٍ ضربوها عند برد الشتاء في قيطونِ

قال : ما في هذا شيء . قال : تبعث إليه مَن يأتيك برأسه . قال : يا بنيّ ، لو فعلت ذلك لكان أشدّ عليك ؛ لأنه يكون سبباً للخوضِ ، في ذكره ، فيُكثر مُكثِر ويزيد زائد ، أضرب عن هذا صفحاً ، واطوِ دونه كشحاً .

---

١ ـ الكانون : الموقد .

ريحانة أخت عمرو سبيّة عند بني سُلَيم

سبَتْ بنو سُلَيم ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :

أَمِنْ رَيْحانة الداعي السميعُ يُؤرِّقُني وأصحابي هجوع

وفيها يقول :

إذا لم تستطع أمراً فدعْه وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

ريطة بنت جزل الطعان تصرخ : أنا امرأته

. . . ثم لم يلبث بنو كنانة [رهط ربيعة بن مكدّم] أن أغارت على بني جُشَم [رهط دُريد بن الصِّمَّة] في يوم اللوى من حرب داحس والغبراء ، فقتلوا [واسروا وغنموا] ، وأسروا دُريد بن الصِّمَّة ، فأصفى نسبَه ، فبينما هو عندهم محبوس ، إذ جاءت نسوةٌ يتهاوين إليه ، فصاحت إحداهن فقالت : هلكتم وأهلكتم ماذا جرَّ علينا قومنا ، هذا والله الذي أعطى ربيعةَ رمحَه يوم الظعينة ! ثم ألقت عليه ثوبها ، وقالت : يا آل فراس أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي ! فسألوه : من هو؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعةُ بن مكدّم . قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلته بنو سُلَيم ! قال : فما فعلت الظعينةُ[1] ؟ قالت المرأة : أنا هي ، وأنا امرأتُه ! فحبسه القوم وآمروا أنفسهم ، فقال بعضهم : لا ينبغي لدُرَيد أن تُكفَر نعمتُه على صاحبنا ! وقال الآخرون : لا والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره ، فانبعثت المرأة في الليل ـ وهي ريطة بنت جزل الطعان ـ فقالت :

سنُجْزِي دُرَيْداً عن ربيعة نعمةً وكلُّ امرىءٍ يُجزي بما كان قدَّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مُذَمَّماً
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة بإهدائه الرمحَ الطويلَ المقوّما
فلا تكفُرُوه حقَّ نُعماهُ فيكُمُ ولا تركبوا تلك التي تملأُ الفما

---

١ ـ الظعينة : الزوجة .

فإن كان حياً لم يَـضِقْ بثوابه ذراعاً، غنياً كان أو مُعْدَما
ففُكّوا دُرَيْداً من إسارِ مخارقٍ ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سُلّما

فلما أصبحوا أطلقوه ، فكستْه وجهزتْه ولحق بقومه ، فلم يزلْ كافاً عن حرب بني فراس حتى هلك .

ريطة بنت كعب من النوكى

وريطة بنت كعب هي التي نقضت غزلها أنكاثاً ، وفيها يقال في المثل : خرقاء وجدت صوفاً .

زبيدة بنت جعفر بن المنصور « زوج الرشيد »

سيدة جليلة ذاتُ يد طولى في الحضارة والعمران والعطف على الأدباء والشعراء والأطباء . ومن ذوات العقل والرأي والفصاحة والبلاغة . أعرس بها[1] الرشيد سنة ١٦٥ هـ . في خلافة المهدي ببغداد فأولدها محمد الأمين فأحبته حباً عظيماً جعلها تهيىء له كل العوامل التي تعتقدها واصلة به لعرش الخلافة . وحين اقتنعت بأفضلية المأمون للخلافة قالت لهارون : يا أمير المؤمنين إبنك أحقُّ بما تريد وأولى بما لديك . فقال هارون : فإذاً أقررتِ بالحق ، وأنصفتِ مما رأيتِ ، فأنا أعهد إلى ابني ثم إلى ابنك بعد . فكتب عهد عبد الله المأمون ثم محمد الأمين بعد .

ولمّا قتل عبد الله المأمون أخاه محمد بن زبيدة ، أرسلت أمه زبيدة ابنة إلى أبي العتاهية يقول أبياتاً على لسانها للمأمون ، فقال :

ألا إنَّ ريْبَ الدهر يُدني ويُبعِدُ وللدهر أيامٌ تُذَمُّ وتُحمَدُ
أقول لريْب الدهر إن ذهبت يد فقدْ بقيت والحمد لله لي يَدُ
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيد لي ولي جعفرٌ، لم يَهلِكا، ومحمدُ

وكتبتْ إليه من قوله :

لخيرِ إمامٍ قام من خير معشر واكْرمِ بسَّامٍ على عـود منبَرِ

١ ـ أعرس بها: تزوّج منها .

كتبتُ وعيني تستهِلُ دموعَهـا إليك ابن يَعْلى من دموعي ومَحجَري
فجعنا بأدنى الناس منك قرابةً ومَن زَلَّ عن كبدي فقلَّ تصبُّري
أتى طاهرٌ لا طهَّر الله طاهراً وما طاهر في فعله بمُطهَّر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسراً وأنهَبَ أموالي وخرَّب أدْوُري
وعزَّ على هارون ما قد لقِيتُه وما نابني من ناقص الخلْق أعورِ

فلمّا نظر المأمون إلى كتابها وجّه إليها بحباء[1] جزيل ، وكتب إليها يسألها القدوم عليه ، فلم تأتِه في ذلك الوقت وقبِلتْ منه ما وجّه به إليها ، فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها : من قائل الأبيات ؟ قالت : أبو العتاهية . قال : وكم أمرت له ؟ قالت : عشرين ألف درهم . قال المأمون : وقد أمرنا له بمثل ذلك . واعتذر إليها من قتلِ أخيه محمد ، وقال لها : لست صاحبه ولا قاتله . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنّ لكما يوماً تجتمعان فيه ، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله .

وعن العتبي : قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة أبياتاً ورفعها إلى زبيدة ابنة جعفر يمتدح ابنها محمداً ، وفيها يقول :

للّهِ درُّك يا عقيلة جعفرٍ ماذا وَلَدْتِ من العُلا والسُّوددِ
إنَّ الخلافة قد تبيّن نُورهاً للناظرين على جبين محمّدِ

فأمرتْ أن يُملأ فمُهُ دُرّاً .

ومن عطفها على الشعراء والمغنين ما حدّثَ به عمرو بن بانة فقال : كنا في دار أم جعفر ، جماعة من الشعراء والمغنين ، فخرجت جاريةٌ لزبيدة وكمُّها مملوء دراهم فقالت : أيكم القائل :

مَن ذا يُعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فأومأ إلى العباس بن الأحنف ، فنثرت الدراهم في حجره فنفضها ، فلقطها الفراشون[2] ، ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من الفراشين ، عنق كل فراش

---

١ ـ الحباء: العطاء .

(٢) الفراشون: الخدم .

بدرةٌ فيها دراهم، فمضوا بها إلى منزل العباس بن الأحنف.

وأنشدَ بعض الشعراء مدحاً في زبيدة وهي تسمع فقال:

أزبيدة ابنة جعفر طوبَى لزائرِك المثاب
تعطين من رِجلَيكِ ما تعطي الأكفُ من الرّغاب[1]

فوثب إليه الخدم يضربونه. فقالت: لا تفعلوا فإنه إنما أراد الخير فأخطأ، ومن أراد الخير فأخطأ أحبُّ إلينا ممّن أراد الشرّ فأصاب، وإنما أراد أن يقول على قول الشاعر: شمالُك أجودُ من يمين غيرك وقفاك أحسنُ من وجه غيرك، فظن أنه إذا ذكر الرِجْلين أنه أبلغُ في المدح. أعطوه ما أمِلَ وعرّفوه ما جهل. وأمرت له بجائزة.

وأما الآثار الجليلة التي خلّفتها وانتفع بها العالم خير انتفاع فهي كثيرةٌ جداً منها: إنها سقت أهل مكة الماءَ بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأسالت الماء عشرة أميال بحطِّ الجبال وتحت الصخر، حتى غلغلته من الحل إلى الحرم، ومهّدت الطريق لمائها في كل خفضٍ ورفعٍ وسهلٍ وجبلٍ ووعر وعُرفت هذه العين بعين الشماش، وكان جملة ما أنفق عليها مما ذُكِر وأحصي ألف ألف وسبعمائة ألف دينار.

ويُنسب إلى زبيدة مسجدُ زبيدة أم جعفر ببغداد. ويُنسب إليها أيضاً المُحْدَث وهو منزل في طريق مكة فيه قصر وقباب متفرقة وفيه بركةٌ وبيران ماؤهما عذب.

وزبيدة أولُ من اتخذ الآلةَ من الذهب والفضة المكلّلة بالجوهر. وهي أول من اتخذ الشاكرية[2] والخدم والجواري.

وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والآبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والديباج وأنواع الحرير.

توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ٢١٦ هـ.

---

(١) الرغاب: العطاء الكثير.
(٢) الشاكرية: جمع شاكري وهو الأجير والمستخدم «فارسية».

الزرقاء تُعجب بالحوفزان وهي سبيّته

[في يوم جدود] غزا الحوفزان ، وهو الحارث بن شريك ، فأغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة ؛ فأخذ نعماً كثيراً ، وسبى فيهنّ الزرقاء من بني ربيع بن الحارث ، فأعجب بها وأعجبتْ به ، وكانت خرقاء ، فلم يتمالك أن وقع بها ؛ فلما انتهى إلى جدود ، منعتهم بنو يربوعَ أن يردوا الماء ، ورئيسهُم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، فقاتلوهم ، فلم يكن لبني بكر بهم يدٌ ، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم ، على أن يخلّوهم أن يردوا الماء ، فقبلوا ذلك وأجازوهم ، فبلغ ذلك بني سعد ، فقال قيس بن عاصم في ذلك :

جزى اللهُ يربوعاً بأسوإ سعْيها ... إذا ذُكرتْ في النائبات أمورُها
ويومَ جَدودٍ قد فضحتم أباكمُ ... وسالمتمُ والخيلُ تدمى نحورُها

فأجابه مالك :

سأسأل من لاقى فوارسَ مُنقذٍ ... رقاب إماءٍ كيف كان نكيرُها

ولما أتى الصريخُ بني سعد، ركب قيس بن عاصم في أثر القوم حتى أدركهم بالأشْيمَيْن ، فألحّ قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء ، وكان الحوفزان قد خرج في طليعة ، فلقيه قيس بن عاصم فسأله من هو ؛ فقال : لا تكاتُم[1] اليوم، أناالحوفزان ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو علي . ومضى ، ورجع الحوفزان إلى أصحابه ، فقال : لقيت رجلاً أزرق كأنّ لحيته ضريبةُ صوف فقال : أنا أبو علي . فقالت عجوز من السبي : بأبي أبو علي ! ومن لنا بأبي علي ؟ فقال لها : ومن أبو علي ؟ قالت : قيس بن عاصم ! فقال لأصحابه : النجاء!وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزَّبِد،وعقد شعرها إلى صدره ونجا بها. وكانت فرس قيس إذا أوعثت[2]قصرت وتمطّر عليها الزبد فلما أجدّت لحقتْ بحيث يُكلم الحوفزان، فقال قيس له: يا أبا حمار، أنا خير لك من الفلاة والعطش! قال له الحوفزان : ما شاء الزَّبد . فلما رأى قيس أن فرسه لا يلحقه ، نادى

١ ـ لا تكاتم: أي لا اسرار .
٢ ـ أوعثت: وقعت في الطريق الغليظ العسر السلوك .

الزرقاء فقال : ميلي به يا جعارَ[1] ! فلما سمعه الحوفزان ، دفعها بمرفقه وجزّ قرونها بسيفه ، فألقاها عن عجز فرسه ، وخاف قيس أن لا يلحقه فنجله بالرمح في خُرابة وركه ، فلم يقصِده[2] وعرج منها وردّ قيس الزرقاء إلى بني الربيع ، فقال سوّار بن حيّان المنقري :

ونحن حَفَزْنا الحوفزان بطعنةٍ تَمُجُّ نجيعاً من دمِ الجوْفِ أشكلا

معاوية يعجب لوفاء الزرقاء

قال الشعبي : حدّثني جماعة من بني أُمية ممن كان يسمُر مع معاوية فالوا : بينما معاوية ذات ليلة مع عمروٍ وسعيد وعُتبة والوليد ، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدي بن غالب بن قيس الهمدانية ، وكانت شهدت مع قومها صِفّين ، فقال : أيُّكم يحفظ كلامَها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال : فأشيروا عليّ في أمرها . فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها . قال : بئس الرأيُ أشرتُم به عليّ ؛ أيَحسُنُ بمثلي أن يُتحدّث عنه أنه قَتل امرأةً بعد ما ظَفِر بها .

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارِمها وعدَّةٍ من فرسان قومها ، وأن يُمهِّد لها وِطاءً ليناً ، ويسترها بستر حصيف، ويوسّع لها في النفقة ، فأرسل إليها عامله فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيارَ إليّ فإني لا آتيه ، وإن كان حَتَم فالطاعة أوْلى . فحملها وأحسنَ جهازها على ما أُمِر به .

فلما دخلت على معاوية قال : مرحباً وأهلاً ، قدمتِ خيرَ مَقدَمٍ قَدِمَه وافد ! كيف حالك ؟ .

قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .

قال : كيف كنتِ في مسيرك ؟ قالت : ربيبةَ بيتٍ أو طفلاً مُمهداً . قال : بذلك أمرناهم ؛ أتدرين فيم بعثتُ إليك ؟ قالت : أنَّى لي بعلمِ ما لم أعلم .

---

١ ـ يا جعار: مسبّة عند العرب ومثلها يا زانية .

٢ ـ لم يقصده: لم يصبه .

قال : ألستِ الراكبةَ الجملَ الأحمر ؟ والواقفةَ بين الصفَّيْن يوم صِفِّين تَحُضِّين على القتال وتُوقدين الحرب ؟ فما حَمَلكِ على ذلك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبُتِر الذنب ، ولم يَعُدْ ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تَفكر أبصر ، والأمر يحدُث بعده الأمر .

قال لها معاوية : صدقت ، أتحفظين كلامك يومئذٍ ؟ .

قالت : لا والله لا أحفظه ، ولقد أُنسيتُه .

قال : لكني أحفظه ، لله أبوكِ حين تقولين : أيها الناس أرْعَوُوا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم في فتنة غَشَّتكم جلابيبَ الظُّلَم ، وجارتْ بكم عن قصد المَحَجَّة ، فيا لها فتنةً عمياءَ ، صمّاءَ بكماءَ ، لا تسمع لناعقها ، ولا تنساق لقائدها ، إن المصباح لا يُضيء في الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، ألاَ مَن استرْشَدَنا أرشدناه ، ومَنْ سألَنا أخبرناه . أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصَص ، فكأنْ قد اندملَ شَعْبُ الشّتات ، والتأمت كلمةُ العدل ، ودَمَغ الحقُّ باطلَه ، فلا يجهلنَّ أحدٌ فيقول : كيف العدل وأنَّى ؟ ليقضِ الله أمراً كان مفعولاً . ألاَ وإنّ خضابَ النساء الحِنّاء ، وخِضابَ الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده :

* والصبرُ خيرٌ في الأمور عواقبا *

إيهاً في الحرب قُدُماً غير ناكصين ولا متشاكسين .

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شركْت علياً في كل دمٍ سفَكَه .

قالت : أحسنَ الله بِشارتَك ، وأدام سلامَتك ، فمثلُك بَشَّر بخيرٍ وسرَّ جليسَه .

قال : أَوَيَسُرُّك ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سُررتُ بالخبر فأنَّى لي بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال : والله لَوَفاؤكم له بعد موته أعجبُ من حبكم له في حياته . أذكري حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألاّ أسألَ أميراً أعنتُ عليه أبداً ، ومثلُكَ أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طِلبة . قالت : صدقت ! وأمر لها وللذين جاؤوا معها بجوائز وكساء .

زرقاء اليمامة أبصر الناس

يقال : أبصر من زرقاء اليمامة . وزرقاء بني نمير : إمرأة كانت باليمامة تبصُر الشعرة البيضاء في اللبن، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تُنذر قومها الجيوش إذا غزتهم ، فلا يأتيهم جيش إلاّ وقد استعدوا له ، حتى احتال لها بعضٌ من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا شجراً أمسكوه أمامهم بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت : إني أرى الشجر قد أقبل إليكم . قالوا لها : قد خرفتِ ورقّ عقلُك وذهب بصرُك . فكذبوها ، وصبّحتهم الخيل وأغارت عليهم وقُتلت الزرقاء . قال : فقوّروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به .

زينب بنت جحْش بدلاً من بَرة بنت برة

كان اسمها بَرة فسماها رسول الله ﷺ زينب . وكان اسم أبيها بَرة فقالت : يا رسول الله بدل اسم أبي . فإن البرة حقيرة . فقال رسول الله ﷺ : لو كان أبوك مؤمناً لسميته باسم رجلٍ من أهل البيت ، ولكني قد سميته جحشاً ، والجحش أكثرُه من البُرة .

أسلمت قديماً وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة فخطبها رسولُ الله لزيد بن حارثة . فقالت زينب : يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش . قال : فإني قد رضيته لك . فتزوجها زيد بن حارثة . ثم جاء رسول الله ﷺ فنزل زيد يتفقدُ زيداً فلم يجده . فقامت إليه زينب زوجتُه فُضُلاً[٢] فأعرض عنها رسول الله ﷺ فقالت : ليس هو ها هنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي . فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل . ثم وثبتْ وثبةً عجلى فرآها رسول الله ﷺ فأعجبته ثم ولّى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يُفهم منه سبحان الله العظيم سبحان

١ ـ الإثمد: حجر يُكتحل به .

الله العظيم مصرف القلوب فلما جاء زيد إلى منزله أخبرته امرأته أن رسول الله أتى منزله . فقال زيد : ألا قلت له أن يدخل ؟ قالت : قد عرضتُ ذلك عليه فأبى . قال : فسمعت شيئاً ؟ قالت : سمعتُه حين ولّى تكلم بكلامٍ ولا أفهمه وسمعتُه يقول سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب .

فجاء زيد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله بلغني أنك جئت منزلي ؟ فهلا دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله . لعلّ زينب أعجبتك فأفارقها ، فيقول رسول الله ﷺ أمسك عليك زوجك . فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم . فكان يأتي رسول الله ﷺ فيخبره فيقول له رسول الله : أمسك عليك زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها .

وظل رسول الله ﷺ على حاله هذه حتى أنزل فيها الله عزّ وجلّ الآية التالية[1] : ﴿ وإذْ تقولُ للّذي أنعَمَ الله عَلَيه ، وأنعمتَ عليه ، أمسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ واتَّقِ الله وتُخفي في نفسكَ ما الله مُبْدِيه وتخشى النَّاسَ والله أَحَقُّ أن تَخشاهُ . فلمَّا قضى زيدٌ منهَا وَطَراً زوّجناكها لكي لا يكونَ على المؤمنين حرَجٌ في أزواج أدعيائِهم ، إذا قَضَوْا منهُنّ وَطراً وكان أمرُ الله مفعولاً ﴾ .

وفي رواية أنها كانت تقول للنبي ﷺ : أنا أعظمُ نسائك عليك حقاً . أنا خيرُهنّ منكحاً وأكرمهنَّ ستراً وأقربهنّ رحماً . ثم تقول : زوّجنيك الرحمن من فوق عرشه ، وكان جبريل عليه السلام هو السفير بذلك ، وأنا بنتُ عمتك وليس لك من نسائك قريبةٌ غيري .

وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتبيع ما تصنعه وتتصدق على المساكين .

وتوفيت زينب في خلافة عمر بن الخطاب وهي ابنة ٥٣ سنة ، فحُمِلَتْ في نعشٍ ، وهي أول من حُمل في نعش . فلما رأى عمر النعش قال : نعم خباء الظعينة .

---

١ ـ سورة الأحزاب آية ٣٧ .

زينب ابنة جرير وشُريح القاضي

عن الشعبيّ قال : قال لي شريح : يا شعبي ، عليك بنساء بني تميم ، فإني رأيت لهن عقولاً ، قال : وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أقبلت من جنازة ظهراً ، فمررت بدورهم فإذا أنا بعجوز على باب دار ، وإلى جنبها جاريةٌ كأحسن ما رأيت من الجواري ، فعدلتُ فاستسقيت وما بي عطش ؛ فقالت : أي الشراب أحب إليك ؟ فقلت : ما تيسّر . قالت : ويحك يا جارية ! إئتيه بلبن ، فإني أظن الرجل غريباً ! قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب ابنة جرير ، إحدى نساء بني حنظلة قلت : فارغة هي أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : زوّجينيها . قالت : إن كنت لها كفْئاً - ولم تقل كفؤاً ، وهي لغة تميم - فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقيل[1] فاقتنعت مني القائلة[2] ؛ فلما صليتُ الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى بن عرفطة ؛ ومضيتُ أريد عمّها ، فاستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك . قال : ما بها رغبة عنك ! فأنكحنيها ، فلما صارت في حبالي ندمتُ ، وقلت : أي شيء صنعتُ بنساء بني تميم ؟ وذكرتُ غلظ قلوبهن ، فقلت : أطلّقها ! ثم قلت : لا ، ولكن أضمها إليّ ، فإن رأيت ما أُحب وإلا كان ذلك . فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يُهدينها حتى أُدخلت عليّ ، فقلت : إن من السُّنة إذا دخلت المرأةُ على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين فيسألَ الله من خيرها ويعوذ به من شرها . فصليت وسلّمت ، فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي ، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها ، فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت في عكر العصفر[3] فلما خلا البيت دنوتُ منها فمددت يدي إلى ناحيتها ، فقالت : على رسلك أبا أُمية ! كما أنت ! ثم قالت :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأُصلي على محمد وآله ؛ إني امرأة غريبة

١ ـ أقيل : أنام .
٢ ـ القائلة : النوم بعد طعام الغداء .
٣ ـ العصفر : نبات أصفر اللون يستخرج منه طلاء .

لا علمَ لي بأخلاقك ، فبيِّنْ ما تحب فآتيه ، وما تكره فأزدجر عنه . . . وقالت : إنه قد كان لك في قومك منكح ، وفي قومي مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به : ﴿ **إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسانٍ** ﴾ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك . قال : فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع ، فقلت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وأسلم ، وبعد ؛ فإنك قد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظَّك ، وإن تدعيه يكن حُجةً عليك ؛ أحب كذا وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تُفرِّقي ، وما رأيتِ من حسنة فانشريها ، وما رأيتِ من سيئة فاستريها . وقالت شيئاً لم أذكره : كيف محبتُك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحب أن يُملّني أصهاري ! قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذنُ لهم ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبتُّ يا شعبيُّ بأنعم ليلة ، ومكثت معي حولاً لا أرى إلا ما أُحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار ! فقلت : من هذه ؟ قالوا : فلانة خَتَنُك فسُري عني ما كنت أجد . فلمّا جلستُ أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية وقلت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة خَتَنُك . قلت : قرّبك الله قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين : إذا ولدت غلاماً ، أو حظِيت عند زوجها ؛ فإن رابك ريبٌ فعليك بالسوط ؛ فوالله ما جاز الرجال في بيوتهم شرّاً من المرأة المدلّلة . قلت : أما والله لقد أدّبْتِ فأحسنت الأدب ، ورضْتِ فأحسنتِ الرياضة[1] . قالت : تحبُّ أن يزورك أختانُك ؟ قلت : متى شاؤوا . قال : فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية .

فمكثتْ معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء ، إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالماً : أخذ المؤذّن في الإقامة بعدما صليتُ ركعتي الفجر ، وكنتُ إمام الحيِّ ، فإذا بعقرب تدب ؛ فأخذت الإناء فأكفأتُه عليها ؛ ثم قلت : يا

---

١ ـ الرياضة: التربية .

زينب ، لا تتحركي حتى آتي ! فلو شهدتَني يا شعبي وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالكست والملح ؛ فجعلت أمغث أصبعها وأقرأ عليها بالحمد والمعوّذتين .

وكان لي جارٌ من كندة يُفزع امرأته ويضربها ؛ فقلت في ذلك :

رأيت رجالاً يضربونَ نساءَهم فَشُلَّتْ يميني حين أضربُ زينبا
أأضربُها في غيرِ ذنب أتت به فما العدلُ مني ضربُ من لَيْس مُذْنِبا
فزينبُ شمسٌ والنساء كواكب إذا طَلَعَتْ لم تُبْدِ منهُنَّ كوكبا

زينب بنت حِمْير عقيلة نساء بني تميم

غزا الهذيل بن هبيرة بن حسان التغلبي ، فأغار على بني يربوع بإراب فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، فأصاب نَعَماً كثيرة وسبى سبياً كثيراً ، فيهم زينب بنت حِمْيَر بن الحارث بن همام بن رباح بن يربوع ، وهي يومئذٍ عقيلة نساء بني تميم ، وكان الهذيل يسمّى مِجْدعاً ، وكان بنو تميم يُفزعون به أولادهم ، وسبى أيضاً طابية بنت جزء بن سعد الرياحي ، ففداها أبوها ؛ وركب عتيبة بن الحارث في أسراهم ففكهم أجمعين .

زينب بنت خُزَيمة «أُم المؤمنين»

من أرقّ وأرحم النساء للفقراء والمساكين في الجاهلية والإسلام ، فكانت تطعمهم وتتصدق عليهم . وتزوّجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث للهجرة ، وأشهد على نكاحها ، وأصدَقَها اثنتي عشرة أوقية ولم تلبث عنده إلا يسيراً . وتوفيت في حياته بالمدينة سنة ٣ هـ . وقيل : سنة ٤ هـ . وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها .

زينب بنت سعيد بن العاص تفخر على سواها

عن العتبي[١] قال أبو حاتم : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لبابة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد ابن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحرث ؛ فكُنّ يجتمعن على

١ ـ انظر ترجمته في هامش المقدّمة .

مائدته ويفترقن فيفخرن فاجتمعن يوماً ، فقالت لبابة : أما والله إنك لتسويني بهنَّ وإنك تعرف فضلي عليهن ! وقالت بنت سعيد : ما كنتُ أرى أنّ للفخر عليّ مجازاً ، وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامةَ غيرها ! وقالت بنت عبد الرحمن ابن الحارث : ما أحبّ بأبي بدلاً ، ولو شئت لقلت فصَدْقتُ وصُدِّقت ! وكانت بنت يزيد بن معاوية جاريةً حديثة السن ، فلم تتكلم ؛ فتكلم عنها الوليد فقال نطق مَن احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقالت : أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحُدِّث به في مجلس ابن عباس ، فقال : ألله أعلم حيث يجعل رسالته .

زينب بنت عبد الله بن جعفر «خبر زواجها من الحجّاج»

عن العتبي عن أبيه قال : أمهَرَ الحجاجُ ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأمهل عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل دقّ عليه الباب ، فأذن له عبد الملك ، ودخل عليه فقال له : ما هذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمرٌ والله لم يُنتظر له الصبح ، هل علمتَ أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير بن العوام ، فإني تزوجت إليهم ، فما في الأرض قبيلة من قريش أحبُّ إليّ منهم ؛ فكيف تركتَ الحجاج وهو سهمٌ من سهامك يتزوج إلى بني هاشم ، وقد علمت ما يقال فيهم في آخر الزمان ؟ قال : وصلتك رحِم .

وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها وألا يراجعه في ذلك . فطلّقها . فأتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ؛ فجعل الحجاج يقع بخالد ويتنقّصه ، ويقول : إنّه صيّر الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلاً ! فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدركَ مَن قبله ، وأتعبَ من بعده ، وعلم علماً فسلّم الأمر إلى أهله ، ولو طلب بقديم لم يُغلبْ عليه ، أو بحديث لم يُسبقْ إليه .

فلما سمعه الحجاج استحى ، فقال : يا بن عتبة ، إنا نسترضيكم بأن نعتبَ عليكم ، ونستعطفكم بأن ننالَ منكم ؛ وقد غَلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا فتعرّضنا للذي تحبون .

زينب بنت علي بن أبي طالب أرفعُ نسباً

دخل الأشعث بن قيس على عليّ بن أبي طالب ، فوجد بين يديه صبيةً تدرج ؛ فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين قال : زوِّجنيها يا أمير المؤمنين ! قال : أعزب ، بفيك الكِثكِث[1] ، ولك الأثلب[2] ! أغرَّك ابن أبي قحافة حين زوّجك أم فروة ؟ إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سُلَيم . فقال : قد زوّجتم أخملَ مني حسباً ، وأوضعَ مني نسباً : المقدادَ بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود . قال عليّ : ذلك رسول الله ﷺ فَعَله ، وهو أعلم بما فعل ، ولئن عُدتَ إلى مثلها لأسوأنّك . وفي هذا المعنى قال الكميت بن زيد :

وما وجدتْ بنات بني نزار حلائلُ أسودين وأحمرينا[3]
وما حملوا الحَميرَ على عتاقٍ مُـطهّمـة فيلفَـوْا مُبْلغِينـا
بني الأعمام أنكحْنا الأيامى وبـالآبـاء سُمِّينـا البنينـا

أراد تزويج أبرهة الحبشي في كندة .

زينب بنت يوسف الثقفي في شعر ابن نُمَير

من ربّات العقل والرأي والحزم . كانت عند المغيرة بن شعبة ، فرآها المغيرة يوماً بكرةً وهي تتخلل[4] فقال لها : والله لئن كان من غداء لقد أجشعتِ ، ولئن كان من عشاء لقد انتنتِ ، وطلّقها . فقالت : أبعدك الله ، فبئس بعلُ المرأة الحرّة أنت . والله ما هو إلا من شظية من سواكي[5] استمسكتْ بين سِنَّين من أسناني . ورُوِي أن الحجّاج رأى محمد بن عبد الله بن نمْير الثقفي ، وكان يشبّب بزينب أخت الحجاج ، فارتاع من نظر الحجاج إليه ، فدعا به فلما وقف بين يديه قال :

فذاك أبي ضاقت بيَ الأرضُ رُحبها وإن كنتُ قد طوّفتُ كلَّ مكانِ
وإن كنتُ بالعَنْقاء أو بتخومها ظننتُـك إلا أن يصُدّ تـراني

---

١ ، ٢ ـ الكثكث والأثلب: فتات الحجارة والتراب .
٣ ـ الحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة. والأسودين والأحمرين: السود والحمر .
٤ ـ تخلّلت المرأة: أزالت ما بين أسنانها .
٥ ـ السواك: العود الذي تنظف به الأسنان. وهو السواك أيضاً .

فقال : لا عليك ، فوالله إن قلت إلا خيراً !! إنما قلت هذا الشعر :

يُخَبِّئن أطراف البَنان من التُقى ... ويَخْرُجن وسْط الليل معتجرات

ولكن أخبرني عن قولك :

ولمّا رأت ركْبَ النُميريّ أعرضتْ ... وكنّ من أن يَلْقَيْنه خدِرات

في كم كنت ؟ قال : والله إن كنت إلا على حمارٍ هزيل ، ومعي رفيق على أتان مثله ! قال : فتبسّم الحجاج ولم يعرض له .

وهذه الأبيات قالها ابن نمير في زينب بنت يوسف .

ولم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرجْنَ من التنعيم معتمراتِ
مَرَرْنَ بفج ثم رُحْن عشيةً ... يُلبّين للرحمن مُؤتجرات
تَضوَّعَ مِسْكاً بطنُ نعمانَ إذ مشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ خفِراتِ
ولمّا رأت ركْبَ النميري أعْرَضَتْ ... وكنّ من أن يَلقَينه حذراتِ
دعَتْ نسوةً شمَّ العرانين بُدَّنا ... نواضرَ لا شُعْثاً ولا غبراتِ
فادنيْنَ لما قُمْن يَحجُبن دونها ... حجاباً من القسِّيّ والحِبَراتِ
أحلَّ الذي فوق السموات عرَشُه ... أوانسَ بالبطحاء معتمراتِ
يخبِّئنَّ أطراف البنان من التُقى ... ويُخرجن وسْط الليل معتجراتِ[1]

ولمّا توفيت زينب رثاها النميري :

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقُه ... هدواً إذا النجمُ ارجحنّت لواحقُه[2]
سيبكيكِ مرنان العشي نجيبه ... لطيف بنان الكف درم مرافقه[3]
إذا ما بساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ ... لِلذّاته أنماطُه ونمارقه[4]

---

١ ـ اعتجرت المرأة: لبست المعجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها .
٢ ـ الطارق: الآتي ليلاً .
٣ ـ النجيب: الفاضل النفيس في نوعه .
درم العضو: وارى اللحمُ عظمَه .
٤ ـ الانماط: جمع نمط وهو ضربٌ من البسط .
النمارق: جمع نمرق وهي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .

سارة تؤذي الرسول

مولاة بني هاشم ، كانت تؤذي الرسول ﷺ بمكة . ولمّا أجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه وجعل لها جُعَلاً على أن تُبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونَها ثم خرجت به .

وأُتي رسول الله ﷺ الخبر بما صنع حاطب ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : أدركا امرأةً قد كتب معها حاطب بكتابٍ إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم . فخرجا حتى أدركاها بالحليفة . حليفة ابن أبي أحمد ، فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجد شيئاً . فقال لها عليّ بن أبي طالب : إني أحلفُ ما كذب رسول الله ولا كذبنا ولتُخرجنَّ هذا الكتاب أو لنكشفنّك .

فلما رأتِ الجدَّ منه قالت : أعرِض عني . فأعرض عنها . فحلَّتْ قرون رأسها ، فاستخرجت الكتابَ منه فدفعته إليه . فجاء به إلى رسول الله ﷺ . ثم استُؤمِنَ لها فأمنها رسول الله ﷺ .

سجاح بنت الحارث متنبّئة في تغلب

• قال إبراهيم بن النسوي يحيى : أن سجاح التميمية ادَّعت النبوّة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، واجتمعت عليها بنو تميم ، وكان فيما ادّعت أنه أنزل عليها : يأيها المؤمنون المتقون ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكنّ قريشاً قومٌ يبغون .

واجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها ، وكان فيهم الأحنف[1] بن قيس ،

١ ـ الأحنف بن قيس (٣ ق. هـ . ـ ٧٢ هـ) : كنيته أبو بحر ، وهو سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين . يضرب به المثل في الحلم . ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره . اعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع عليّ . ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ به الأحنف في الجواب ، فسُئِلَ معاوية عن صبره عليه ، فقال : هذا الذي إذا غضب غضبت له مائة ألف لا يدرون فيم غضب . (الأعلام ١ ٢٧٦) .

وحارثة[٢] بن بدر ، ووجوه تميم كلها .

وكان مؤذّنَها شبيبُ بن ربعيّ الرياحي ، فعمدتْ في جيشها إلى مسيلمة[٣] الكذاب وهو باليمامة . وقالت : يا معشرَ تميم ، اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيها كل هامة ، وأضرموا فيها ناراً مِلْهامة ، حتى تتركوها سوداء كالحمامة .

وبلغ مسيلمةَ خبرُها ، فضاق بها ذرعاً ، وتحصّن في حجر حصن اليمامة .

وجاءت في جيوشها فأحاطت به ، فأرسل إلى وجوه قومه وقال : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها وتدَعنا ، فإن لم نفعل فهو البوار[٤] .

وكان مسيلمة ذا دهاء ، فقال : سأنظر في الأمر ، ثم بعث إليها : إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنزل عليك وحياً ، وأنزل عليّ . فهلُمّي نجتمع ، فنتدارس ما أنزل الله علينا ، فمَن عرف الحقَّ تبعه ، واجتمعنا فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومك . . .

فخرج وخرجت معه ، فاجتمع الحيّان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنه قرأ عليّ ما أُنزِل عليه ، فوجدته حقاً ، فاتبعته ثم خطبها ، فزوجّوه إياها ، وسألوه عن المهر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صلاة العصر ، فبنو تميم

---

١ ـ حارثة بن بدر: تابعي، من أهل البصرة. وقيل أدرك النبي ﷺ . له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر، ومع عليّ، وأخبار مع زياد وغيره، في دولة معاوية وولده. وأُمِّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز). فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم وكان ذلك سنة ٦٤ هـ . (ابن عساكر[٣] ٤٣٠).

٢ ـ مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة، متنبىء ، من المعمرين. وفي الأمثال « أكذب من مسيلمة ». ويقال: كان اسمه « مسلمة » وصغّره المسلمون تحقيراً له. وقد أكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن. وبعد وفاة النبي ﷺ وانتظام الأمر لأبي بكر، انتدب له أعظمَ قواده « خالد بن الوليد » على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة، فظفر خالد وقُتل مسيلمة سنة ١٢ هـ . (الأعلام[٧] ٢٢٦).

٣ ـ البوار: الهلاك .

إلى الآن بالرِّمل لا يصلونها ، ويقولون : هذا حق لنا ، ومهرُ كريمة منا لا نردّه .

وأسلمت سجاح بعد قتل مسيلمة وحسُن إسلامها .

سعدى تجتنب فراش زوجها علي

قال محمد بن يزيد : وحدّثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال : حضر عليّ بن عبد الله مجلس عبد الملك بن مروان ، وكان مكرماً له ، وقد أُهديت له من خراسان جاريةٌ وفصُّ خاتمٍ وسيف ، فقال : يا أبا محمد ، إن حاضر الهدية شريكٌ فيها ، فاخترْ من الثلاثة واحداً . فاختار الجارية ، وكانت تُسمّى سعدى ، وهي من بني الصغد من رهط عُجيف بن عنبسة ، فأولدها سليمان بن علي ، وصالح بن علي .

وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمانَ اجتنبتْ فراشَه ، فمرض سليمان من جدري خرج عليه ، فانصرف عليّ من مُصلّاه ، فإذا بها على فراشه ! فقال : مرحباً بك يا أم سليمان ؛ فوقع عليها فأولدها صالحاً ، فاجتنبت فراشه ، فسألها عن ذلك ، فقالت : خفتُ أن يموت سليمان في مرضه ، فينقطعَ النسبُ بيني وبين رسول الله ﷺ ؛ فالآن إذ ولدتُ صالحاً فبالحري إن ذهب أحدهما بقي الآخر ، وليس مثلي وطيئةَ الرجال . وزعم جعفر أنه كانت في سليمان رُتّة[1] ، وفي صالح مثلها ، وأنها موجودة في آل سليمان وصالح .

وكان عليّ يقول : أكره أن أوصي إلى محمد ولدي ـ وكان سيدَ ولده وكبيرَهم ـ فأشينه بالوصية . فأوصى إلى سليمان . فلما دُفنَ عليّ جاء محمد إلى سعدى ليلاً ، فقال : أخرجي لي وصية أبي . قالت : إن أباك أجلُّ من أن تَخرجَ وصيتُه ليلاً ، ولكن تأتي غُدوةً إن شاء الله . فلما أصبح غدَا عليه سليمانُ بالوصية . فقال : يا أبي ويا أخي ، هذه وصيةُ أبيك .

فقال : جزاك الله من ابن وأخٍ خيراً ، ما كنتُ لأثرِّب[2] على أبي بعد موته كما لم أثرِّبْ عليه في حياته .

---

١ ـ الرتّة : العُجمة والحكلة في اللسان .
٢ ـ ثرّب عليه : قبّح عليه فعله .

سُعدى وأشعب والوليد

عكف الوليد بن يزيد بن عبد الملك على البطالة وحبِ القيان والملاهي والشراب ومعاشقة النساء ، فتعشّق سُعدى بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوّجها ؛ ثم تعشّق أختها سلمى فطلّق أختها سعدى وتزوج سلمى ، فرجعت سعدى إلى المدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك ، ثم ندم الوليد على فراقها وكلف بحبها ، فدخل عليه أشعبُ المضحك ، فقال له الوليد : هل لك أن تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرون ألف درهم ؟ قال : هاتها . فدفعها إليه ، فقبضها وقال : ما رسالتك ؟ قال : إذا قَدِمْتَ المدينة فاستأذن عليها وقلْ لها : يقول لك الوليد :

أسُعْدى ما إليك لنا سبيلُ ولا حتى القيامة من تلاقِ
بَلى ولعلّ دهراً أن يُؤاتي بموتٍ من حليلِكِ أو فراقِ

فأتاها أشعب فاستأذن عليها ، وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنه ؛ فقالت له : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب ؟ قال : يا سيدتي ، أرسلني إليك الوليد برسالة . قالت : هاتها . فأنشدها البيتين ، فقالت لجواريها : خُذنَ هذا الخبيث . . . وقالت : ما جرَّأك على مثل هذه الرسالة ؟ قال : إنها بعشرين ألفاً معجلة مقبوضة ! قالت والله لأجلدنّك أو لتبلغنّه عني كما أبلغتني عنه . قال : فاجعلي لي جعلاً . قالت : بساطي هذا . قال : فقومي عنه . فقامت عنه ، وطوى البساط وضمّه ، ثم قال : هاتي رسالتك . فقالت له : قل له :

أتبكي على سُعدى وأنت تركْتَها فقد ذَهَبتْ سُعْدى، فما أنت صانعُ

فلما بلَّغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب ، وقال : إختر إحدى ثلاث خصال ، ولا بُدّ لك من إحداها : إمّا أن أقتلك ، وإمّا أن أطرحَك للسباع فتأكلك ، وإما أن ألقيك من هذا القصر ! فقال أشعب : يا سيدي ، ما كنتَ لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدى ! فضحك وخلّى سبيله .

سُعدى بنت عبدالله صداقُها عشرون ألف دينار

أراد سليمان بن عبد الملك أن يحجرَ على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه تزوّج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار ،

واشترى جارية بأربعة آلاف دينار ، فقال سليمان : لقد هممتُ أن أضربَ على يد هذا السفيه ، ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة : يزيد ومروان؟

أخبار سُكَينة[1] بنت الحسين

سكينة لقب لقَّبتْها به أمها الرباب بنت امرىء القيس ، واختُلف في اسمها ، فقيل : آمنة وأمينة وأُمَيْمة . وبفضل مقامها الرفيع فقد كانت تجالس الأجلّة من قريش ويجتمع إليها الشعراء والأدباء والمغنون فيحتكمون إليها فيما أنتجته قرائحهم ، فتبيِّن لهم الغثَّ من السمين ، وتناقش المخطىء مناقشة علمية، فيقنع بخطأه ويقرّ لها بالفضل وقوة الحجة وسعة الاطلاع .

وفي رواية أنه إجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين : جرير والفرزدق وجميل والنصيب ، فمكثوا أياماً ثم أذِنَتْ لهم فدخلوا ، فقعدتْ حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم . فأخرجت إليهم جاريةً لها وضيئة ، وقد روت الأشعار والأحاديث . فقالت : أيّكم الفرزدق ؟ فقال الفرزدق : ها أنا ذا . قالت : أنت القائل :

هما دلّياني من ثمانين قامة ... كما انقضّ باز أقتمُ الريشَ كاسرُه[2]
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحيٌّ يرجّى أم قتيلٌ نحاذرُه
فقلت : ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا ... وولّيت في أعجاز ليل أدابره
أحاذر بوّابين قد وكلا بنا ... أو احمر من ساج تئطُّ مسامره[3]
فأصبحتُ في القوم القعود وأصبحتْ ... مغلقة دوني عليها دساكرُه
يرى أنها أضحت حصاناً وقد جرى ... لنا برقاها ما الذي أنا شاكره

قال : نعم أنا قلتُه . قالت : ما دعاك إلى إفشاء سرّك وسرّها ؟ أفلا سترتَ على نفسك وعليها . خُذ هذه الألف وانصرف .

---

١ ـ استعنت على ترجمتها بكتاب « أخبار النساء في كتاب الأغاني » لعبد الأمير مهنا وكتاب « أعلام النساء » لعمر رضا كحالة .

٢ ـ أقتم الريش: أسوده .

٣ ـ تئط: تحنّ .

قال : بل اتركها واللحاق بأهلي أجمل . ثم دخلت وخرجت فقالت : أيكم جرير؟ قال : ها أنذا . قالت : أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلامِ (١)
تجري السِّواكَ على أغرَّ كأنه بَرَدٌ تحدَّر من متون غمام(٢)
لو كان عهدكِ كالذي حدثِتنا لوصلتِ ذاك فكان غير رِمام(٣)
إني أواصل من أردت وصالَه بحبالٍ لا صلفٍ ولا لوامِ

قال جرير : أنا قلتُه . قالت : أفلا أخذتَ بيدها ورحبتَ بها وقلتَ : فادخلي بسلام . أنت رجل عفيف ـ وقيل ضعيف ـ خُذ هذين الألفين والحق بأهلك .

وخرج الفرزدق حاجّاً ، فلما قضى حجّه عَدَل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين ، فسلّم . فقالت له : يا فرزدق من أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ . أشعرُ منك جرير الذي يقول :

بنفسي مَنْ تجنّبُه عليّ عزيزٌ عليّ، ومَنْ زيارتُه لِمامُ(٤)
ومَنْ أمسي وأصبحُ لا أراه ويطرقني إذا هجعَ النيامُ(٥)

فقال : والله لو أذنتِ لأسمعتُك أحسنَ منه . قال : أقيموه . فأخرجَ ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها . فقالت : يا فرزدق مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ . صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول :

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولزرتُ قبْرَك والحبيبُ يزارُ(٦)
كانت إذا هجرَ الضجيعُ فراشها كتم الحديث وعفّت الأسرارُ
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليـلٌ يكـرّ عليهم ونهـارُ

---

١ ـ طرقتك: أتيتك ليلاً .
٢ ـ السواك: عود تنظف به الأسنان. وأغرّ أي فم أغر ويريد أسنانها .
٣ ـ غير رمام: غير بال .
٤ ـ زيارة لمام: سريعة وخاطفة .
٥ ـ هجع: نام ليلاً .
٦ ـ الاستعبار: البكاء. واستعبرت العين: دمعت .

فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعتُك أحسن منه . فَأمرتْ به فأُخرج ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولَها مولّدات كأنهن التماثيل . فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن ، فأعجب بها وبُهتَ ينظر إليها . فقالت له سكينة : يا فرزدق من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ . صاحبُك أشعرُ منك حيث يقول :

إنَّ العيونَ التي في طرْفها مرضٌ قتلننا ثم لم يُحيينَ قتلانا[1]
يصرعْنَ ذا اللبِ حتى لا حراكَ به وهُنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا
أتبعتهم مقلة إنسانها غرق هل ما ترى تاركاً للعين إنسانا

فقال : والله لئن تركتني لأسمعتُك أحسنَ منه . فأمرت بإخراجه ، فالتفت إليها وقال : يا بنت رسول الله ﷺ ، إن لي عليك حقاً عظيماً . ضربتُ إليك من مكة إرادةَ التسليم عليك ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيل جرير عليّ ومنعكِ أن أُنشدَكِ شيئاً من شعري وبي ما قد عِيلَ منه صبري ، وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا أُفارق المدينة حتى أموت ! فإذا أنا متُّ فمرّي بي أن أدرجَ في كفني وأدفن في . . . هذه الجارية يعني التي أعجبته . فضحكت سُكينة وأمرتْ له بالجارية ، فخرج بها آخذاً بريطتها[2] . وأمرت بالجواري فدفعْنَ في أقفيتها . ونادته يا فرزدق ! إحتفظ بها وأَحسِن صحبتها فإني آثرتُك بها على نفسي .

وقال عمر بن أبي ربيعة في سكينة :

أَسُكَيْنَ ما ماءُ الفراتِ وبردُه مني على ظمإٍ وحُبِّ شرابِ
بأحبَّ منكِ وإن نأيت وقل ما ترعى النساءُ أمانةَ الغيابِ

وركبت سكينة ذات ليلة في جواريها ، فمرّت بعروة[3] بن أذينة وهو في

---

١ ـ هكذا ورد البيت. والمشهور «حور» مكان «مرض».
٢ ـ الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً .
٣ ـ هو عروة بن يحيى (ولقبه أذينة): شاعر غزل مقدم. من أهل المدينة. وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً. ولكن الشعر أغلب عليه. وهو القائل:

لقد علمتُ وما الاسرافُ من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

توفي نحو سنة ١٣٠ هـ . (الأعلام٤ ٢٢٧).

فناء قصر ابن عيينة ، فقالت لجواريها : من الشيخ ؟ فقالوا : عروة . فعدلتْ إليه فقالت : يا أبا عمر ! أنت تزعم أنك لم تعشقْ قط ، وأن لك مروءة ، وأن غزلك من وراد عفة ، وأنك نقي ، وأنت تقول :

قالت وابثثتُها وجدي فبحتُ به ... قد كنتَ عندي تُحب السترَ فاسترِ
ألستَ تبصرُ مَن حولي فقلت لها ... غطّي هواكِ وما ألقى على بصري

كلُّ مَن ترى حولي من جوار ، أحرارٌ ، إن كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط . فهذان قد كتما هواهما ، فنمت شواهد نجواهما لأن من اغتمس في بحر الهوى ، نمّت عليه شواهد الضنى . وحجّت سكينة فدخل إليها ابن سُريج والغريض ، وقد استعار ابن سريج حلة لامرأةٍ من قريش فلبسها ، فقال لها ابن سريج :

يا سيدتي ! إني كنتُ صنعت صوتاً وحسنته وتنوقت[1] فيه ، وخبأتُه لك في حريرة في درجٍ مملوء مسكاً فنازعنيه هذا الفاسقُ يعني الغريض ، فأردنا أن نتحاكم إليك فيه . فأيّنا قدمته فيه تقدم . قالت : هاته . فغناها :

عُوجي علينا ربة الهودجِ ... إنك إلا تفعلي تَحرجي
إني أُتيحتْ لي يمانية ... إحدى بني الحارث من مَذْحج
نلبث حولاً كاملاً كله ... لا نلتقي إلّا على منهج
في الحج إن حجّت وماذا مِنًى ... وأهلُه إن هي لم تحججِ[2]
أيسرُ ما نال محب لدى ... بين حبيبٍ قوله عرجِ

ثم قالت : هاتِه أنت يا غريض . فغناها إياه . فقالت لابن سريج : أعِدْه فأعاده . وقالت : يا غريض أعده . فأعاده . ما أشبهكما إلا الجدْيين الحار والبارد ولا يدرى أيهما أطيب . وقال إسحق في خبره : ما أشبهكما إلا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحسان لا يدرى أيهما أحسن . ونظرت سكينة إلى العرجي وهو يطوف بالبيت ، فبعثت إليه جارية لها تقول له : أنشدني مما

١ - تنوّقت فيه: تجوّدت فيه .
٢ - مِنى: موضع بمكة. سُمّيت بذلك لما يُمنى فيها من الدماء أي يراق وقيل هي قولهم: «منى الله عليه الموت»، أي قدّره لأن الهدْيَ يُنحر هنالك .

قلت في الطواف حول البيت . فقال : أقريها السلام وقولي لها : قد قلت :

يقعدن في التطواف آونـةً ... ويـطفْنَ أحيانـاً على فتـرِ
ثم استلمن الركنَ في أنف ... من ليلهن يطلن في أزرِ
فنزعن عن سبع وقد جهدت ... أحشاؤهن موائلَ الخمرِ

فقالت سكينة للجارية : قولي له : ويحك ! لو طاف الفيل بهذا البيت لجهدت أحشاؤه .

وتزوّجت سكينة عدةَ أزواج منهم : عبد الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عذرتها ، ومصعب بن الزبير وعبد الله بن عثمان . وكان مهرها من مصعب بن الزبير خمسمائة ألف درهم وأجهزها بمثله ولما قدمت عليه سكينة أعطى أخاها علي بن الحسين لأنه حملها إليه أربعين ألف دينار .

ولما قُتل مصعب قالت سكينة :

فإن تقتلوه تقتلوا الماجنَ الذي ... يرى الموتَ إلَّا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية ... إلى القوم حتى أوردوه حِماماً

وعندما خرجتْ تريد المدينة ، أطاف بها أهلُ العراق ، وقالوا : أحسنَ الله صحابتَكِ يا ابنةَ رسول الله ! فقالت : لا جزاكم الله عني خيراً ، ولا أخلفَ عليكم بخير من أهل بلد ! قتلتم أبي وجدّي وعمي وزوجي ! أيتمتموني صغيرة ، وأرملتموني كبيرة .

وكانت سُكينة عفيفة ، سلمة ، برزة من النساء ، ظريفة مزاحة . قيل لها : أمك فاطمة يا سكينة ، وأنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح . فقالت : لأنكم سمّيتموها باسم جدتها المؤمنة فاطمة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ، تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ . ولسعتها دبيرة فقالت لها أمها : ما لك يا سيدتي ؟ فضحكت . وقالت : لسعتني دُبَيرة مثل الأبَيْرة أوجعتني قُطَيْرة .

وكانت سكينة ذات بيان وفصاحة . قالت ابنةٌ لعثمان بن عفان في مأتم كانت فيه سُكَيْنة : أنا بنتُ الشهيد . فسكتت سُكينة . فقال المؤذن : أشهد أن

محمداً رسول الله . قالت سكينة : هذا أبي وأبوك . فقالت العثمانية : لا أفخرُ عليكم أبداً .

وقال مصعب بن الزبير لسُكَينة : أنتِ مثلُ البغلة لا تلدين .

فقالت سكينة : لا والله ولكن أبى أن يقبل لومك .

وكانت سكينة تجيء يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْر[1] إذا صعد المنبر ، فإذا شتم علياً شتمته هي وجواريها ، فكان يأمر الحرس يضربون جواريها .

ودخلت سكينة على هشام في قواعد نساء قريش ، فسلبته منطقته ومطرفه وعمامته ، فدعا بثيابٍ غيرِها فلبسها . وكانت إذا لعن مروان جدّها علياً لعنته وأباه وأبا أبيه .

وتوفيت سُكَينة بالمدينة لخمسٍ خلون من ربيع الأول سنة ١١٧ هـ . وقيل : توفيت بمكة في الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٦ هـ .

سلاّمة يُؤذنَ لها ويُمنع غيرُها

كانت جارية ابن رامين ، وكانت إحدى القينات المحسنات . وفيها يقول محمد بن الأشعث :

أمسى لسلاّمة الزرقاء في كبدي صَدْعٌ مقيمٌ طوال الدهرِ والأبدِ
لا يستطيعُ صَنَاعُ القوم يَشْعَبُهُ وكيف يُشعَبُ صَدْعُ الحبّ في الكبدِ
إلاّ بوصل التي من حبّها انصدعتْ تلك الصدوعُ من الأسقام والكمدِ

وكان ابن أبي عتيق من نبلاء قريش وظرفائهم ؛ فمن ظريف أخباره عن سلاّمة : أن عثمان بن حيان المرّي لما دخل المدينة والياً عليها ، اجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، فقالوا له : إنك لا تعمل عملاً أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء ؛ ففعل ، وأجّلَهم ثلاثاً ؛ فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة ، وكان غائباً ، فحطّ رحله بباب سلاّمة الزرقاء ، وقال : بدأتُ بك قبل

---

١ ـ هو الحسين بن مُطَير: توفي سنة ١٦٩ هـ .

أن أصير إلى منزلي ! قالت : أو ما تدري ما حدث بعدك ؟ وأخبرتْه الخبر : فقال : أقيمي إلى السَّحَر حتى ألقاه . فلقيه ، فأخبره أنه إنما أقدمَه حبُّ التسليم عليه ، وقال له : إن أفضلَ ما عملتَ تحريمُ الغناء والرثاء . فقال : إن أهلك أشاروا عليّ بذلك . فقال : إنهم وُفِّقوا ووفِّقْت ، ولكني رسول امرأة إليك تقول : قد كانت هذه صناعتي فتبتُ إلى الله منها ، وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تحولَ بينها وبين محاورة قبر النبي ﷺ ! فقال عثمان : إذاً أدَعها . فقال : إذاً لا تَدَعك الناس ؛ ولكن تدعو بها فتنظر إليها ، فإن كان يجوز تركها تركتَها . قال : فادْعُ بها . فأمر ابن أبي عتيق فتنقّبت وأخذت سُبحة في يدها ، وصارت إليه ، فحدَّثته عن مآثر آبائه ، ففكِهَ بها . فقال ابن أبي عتيق : أريد أن أُسمِعَ الأمير قراءتها . ففعلتْ ؛ فحرّكه حداؤها . ثم قال له ابن أبي عتيق : فكيف لو سمعتها في صناعتِها التي تركتها ! فقال له : قل لها فلْتُغنِّ . فغنّتْ :

شددْتُ خصاصَ البيت لما دخلتُهُ   بكـلّ بنـانٍ واضـحٍ وجبينِ[1]

فنـزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها ، وقال : لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة ! فقال ابن أبي عتيق : يقول الناس : أذِنَ لسلاّمة ومنع غيرَها ! فقال له : قد أذنت لهم جميعاً .

وحدّث عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد ، قال : حدثني سهلٌ عن الأصمعي قال : كان عروةُ بن أُذينة يُعدُّ ثقة ثبتاً في الحديث ، وكان شاعراً لبقاً في شعره غزلاً ، وكان يصوغ الألحان والغناء على شعره في حداثته وينحلها المغنين ؛ فمن ذلك قوله ، وغنّى به الحجازيون :

يـا ديـارَ الحيِّ بـالأجَمَـة   لم يُبيِّن رسمُهـا كـلِمـه

وهو موضع صوته ، ومنه قوله :

قالت وأبثثُها وجدي وبُحتُ به   قد كنتَ عندي تحت السِّترِ فاستترِ
ألستَ تُبصِرُ مَنْ حولي فقلت لها   غطِّي هواك وما ألقى على بصري

---

١ ـ الخصاص: جمع خصاصة وهي كل خلل أو خرق في الباب .

قال : فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذة ، فقالت : أنتَ الذي يُقالُ فيك الرجل الصالح ، وأنتَ القائل:

إذا وجدتُ أُوار الحبِّ في كبدي عَمَدْتُ نحو سقاء القوم أتبردُ[٢]
هبني بردتُ ببردِ الماءِ ظاهرَهُ فمن لنارٍ على الأحشاء تتقدُ

لا والله ما قال هذا رجل صالح قط .

قال : وكان عبد الرحمن الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة ، وإنه مرّ يوماً بسلامة وهي تغني ، فقام يستمع غناءها ، فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدخل فتسمعَ ؟ فأبى . فلم يزل به حتى دخل ، فقال له : أُوقِفُك في موضع بحيث تراها ولا تراك . فغنّته فأعجبتْه . فقال له مولاها : هل لك في أن أحوّلها إليك ؟ فأبى ذلك عليه فلم يزلْ به حتى أجابه ، فلم يزلْ يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها ؛ ولما شعرت لَحْظَه إياها غنّته :

ربَّ رسـولين لنـا بلَّغـا رسالةً مني قبل أن يبرحا
لم يُعملا خُفّاً ولا حافراً ولا لساناً بالهوى مُفصِحا
حتى استقـلّا بجـوابيهمـا بالطائر الميمونِ قد أنجحا
الـطّرفُ والطّرف بعثناهما فقضيا حاجاً وما صرَّحا

قال : فأُغمي عليه وكاد أن يهلك ؛ فقالت له يوماً : والله إني أحبُّكَ ! قال لها : وأنا والله أحبُّكِ ! قالت : وأحب أن أضع فمي .... قال : وأنا والله .... قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أخشى أن تكون صادقة ما بيني وبينك [اليوم] عداوةً يوم القيامة ، أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ **الأخِلّاءُ يَوْمئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتَّقين**[١] ﴾ ؟ ثم نهض وعاد إلى طريقه التي كان عليها ، وأنشأ يقول :

قد كنتُ اعذلُ في السفاهةِ أهلَها فـاعجبْ لِمـا تـأتي بـه الأيـامُ
فـاليومُ أعـذرُهم وأعلَمُ إنمـا سُبُلُ الضلالـةِ والهـدى أقسـامُ

---

٢ ـ الأوار: شدة الحر أو العطش، وهنا شدة الحب .
١ ـ سورة الزخرف الآية ٦٧ .

وله فيها :

إنَّ سلاّمة التي ... افقدتني تجلّدي
لو تراها وَعودَها ... حين يبدو وتبتدي
للجريرَيْن والغَريـ ... ـض وللقرم معبد
خِلْتَهم بين عودِها ... والدّساتين واليدِ

سُلمى وأجمل ما قيل فيها شعراً

سلمى فتاة الشعر التي لم تخلُ قصيدة شعرية من ذكرها ، والتي كانت زاد الشعراء قديماً ، يرددون اسمها سواء كانت واقعية أم خيالية ، جديرةٌ أن لا نغفل أجمل ما قيل فيها في « العقد الفريد » .

قال راشد بن عبد ربه :

صحا القلبُ عن سَلمى وأقصَرَ شأوُه ... وردّتْ عليه ما نَفتْه تُماضرُ
وحكّمه شيبُ القذالِ عن الصِّبا ... وللشَّيبُ عن بعض الغواية زاجرُ[1]
على أنه قد هاجَهُ بعد صحوةٍ ... بمعرض ذي الآجامِ عيش بواكرُ
ولما دنتْ من جانب الغوط أخصَبَتْ ... وحلَّتْ ولاقاها سليمٌ وعامرُ
وخبَّرها الركبانُ أن ليس بينها ... وبين قُرَى بُصرى ونجرانَ كافرُ
فألقَتْ عصاها واستقرّت بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ألا ليت أنّي يوم حانتْ منيّتي ... شَمِمْتُ الذي ما بين عينيك والفمِ
وليت طَهوري كان ريقَك كلّه ... وليتَ حَنوطي من مُشاشِك والدمِ[2]
ويا ليت سَلْمى في القبور ضجيعتي ... هنالكِ أو في جنةٍ أو جهنمِ

وقال أعرابي :

من دِمْنَةٍ خُلِقَت عيناكِ في هتنٍ ... فما يُردُ البُكا جهلاً من الدِّمَنِ[3]

---

١ ـ القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

٢ ـ الحنوط: كل طيب يمنع الفساد تُحشى به جثة الميت بعد تجويفه فتحفظه من البلى طويلاً .

المشاش: العظم اللين: واحدتها مشاشة .

٣ ـ هتن الدمع: قطر وتتابع .

ما كنتِ للقلب إلا فتنةً عَرَضتْ يا حبَّذا أنتِ من معروضة الفتنِ
تسيء سلمى وأجزيها به حَسَناً فَمَن سِواي يجازي السوءَ بالحسنِ

وأنشد أعرابي آخر :

لعلَّ الله أن يأتي بسلمى فيبطحها ويلقيني عليها
ويأتي بعد ذاك سَحابُ مُزْن تطهِّرنا ولا نسعى إليها

وأنشد دعبل[1] :

أين الشبابُ وأيَّةً سلكا أم أين يطلبُ ضلَّ أم هلكا
لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكى
يا ليت شعري كيف صبرُكما يا صاحبيَّ إذا دمي سُفكا
لا تطلُبا بظلامتي أحداً قلبي وطرْفي في دمي اشتركا

سلمى امرأة سنان تسبّب القتل والسبي لرهطها

كان الأسود بن المنذر قد استرضع ابنة شرحبيل عند سلمى امرأة سنان بن أبي حارثة وهي من بني غنم بن دودان بن أسد ، فكانت لا تأمن على ابن الملك أحداً ؛ فاستعار الحارث بن ظالم سَرجَ سنان وهو في ناحية الشربة ، لا يعلم سنانٌ ما يريد ، وأتى بالسرج امرأة سنان وقال لها : يقول لك بعلك ابعثي ابنك مع الحارث ، فإني أريد أن أستأمن له الملك ؛ وهذا سرجه آية ذلك . . . فزيّنته سلمى ورفعته إليه فأتى به ناحية من الشربة فقتله ؛ وقال في ذلك :

أَخُصْيَيْ حمارٍ بات يكدم نجمة أتؤكل جاراتي وجارُك سالمُ
علوتُ بذي الحيّات مَفْرِق رأسِه ولا يركبُ المكروهَ إلا الأكارمُ
فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ وكان سلاحي تحتويه الجماجمُ
بدأتُ بذاك وانثنيتُ بهذه وثالثةٌ تبيضُ منها المقادمُ

---

١ ـ دعبل (١٤٨ هـ ـ ٢٤٦ هـ) : هو دعبل بن عليّ ، أبو علي ، شاعر هجاء . أصله من الكوفة . أقام ببغداد . له أخبار ، وشعره جيد . وكان صديق البحتري . وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي ببلدة تدعى الطيب (بين واسط وخوزستان) (وفيات الأعيان ١ / ١٧٨) .

وهرب الحارث من فوره ذلك ، وهرب سنان بن أبي حارثة ، فلما بلغ الأسودَ قتلُ ابنه شرحبيل ، غزا بني ذبيان ، فقتل وسبى وأخذ الأموال ، وأغار على بني دودان رهط سلمى التي كان شرحبيل في حجرها ؛ فقتلهم وسباهم فنشط لذلك ؛ فوجد بعد ذلك نعلي شرحبيل في ناحية الشربة عند بني محارب ابن خصفة ، فغزاهم الملك ، ثم أسرهم ، ثم أحمى الصفا[1] ، وقال : إني أحذيكم نعالاً فأمشاهم على ذلك الصفا ، فتساقطت أقدامهم ، ثم إن سيار بن جابر الفزاري ، احتمل للأسود دية ابنه ألف بعير ، وهي دية الملوك ، ورهنه بها قوسه فوفاه بها .

سلمى امرأة صخر بن الشريد

قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر[2] بن عمرو بن الشريد بني أسد بن خزيمة واكتسح إبلهم ، فأتى الصريخ بني أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخراً في جنبه ، وفات القوم بالغنيمة ، وجوى[3] صخر من الطعنة ، فكان مريضاً قريباً من الحَوْل . حتى ملّه أهله ، فسمع امرأةً من جاراته تسأل سلمى امرأته كيف بعلك ؟ قالت : لا حيٌّ فيُرْجَى ، ولا ميِّتٌ فيُنْسى ، لقد لقينا منه الأمرين ! وكانت تسأل أمه : كيف صخر ؟ فتقول : أرجو له العافية إن شاء الله ! فقال في ذلك :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي ... وملَّتْ سُلَيْمَى مضجعي ومكاني
فأيُّ أمرىء ساوى بأمٍ حليلةً ... فلا عاش إلا في شقا وهوانِ
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً ... عليكِ ومَن يغترُّ بالحدثانِ
لَعَمْري لقد نبَّهتِ من كان نائماً ... واسمعتِ من كانت له أذنانِ
أهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حِيل بين العَيْرِ والنَّزَوانِ[4]

---

١ - الصفا: الحجارة والصخر الصلد. واحدتها صفاة .
٢ - هو أخو الخنساء الشاعرة. كان من فرسان بني سُليم وغزاتهم. توفي نحو سنة ١٠ ق. هـ .
٣ - جوى: مرض .
٤ - العَيْر: انسان العين أو جفنها .

فلمّا طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة، قالوا له: لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ. فقال: شأنَكم! فقطعوها فمات، فقالت الخنساء أخته ترثيه:

وقائلةٍ والنفسُ قد فات خطوُها   لتُدركه: يا لهف نفسي على صخرِ
ألا ثَكِلَت أمُّ الذين غدوْا به   إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبرِ

سلمى زوجة للوليد بعد أختها سعدى

عكف الوليد بن يزيد على البطالة وحب القيان والملاهي والشراب ومعاشقة النساء، فتعشق سُعدى بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوجها؛ ثم تعشَّق أختها سلمى فطلّق أختها سعدى وتزوج سلمى. وأقامت عنده سلمى حتى قُتل عنها، وهو القائل فيها:

شاع شعري في سُلَيْمَى وظهرْ   ورواه كلُّ بدوٍ وحَضَرْ
وتهادَتْه الغواني بينها   وتغنَّيْنَ به حتى انتشرْ
لو رأينا من سُليمى أثراً   لسجدنا ألف ألفٍ للأثرْ
واتخذناها إماماً مرتضى   ولكانت حجَّنا والمعتمرْ
إنما بنتُ سُعَيْدٍ قمرٌ   هل حَرِجْنا أن سجدنا للقمرْ

وفيها يقول قبل تزوجه لها:

حدَّثوا أنَّ سُلَيْمَى   خرجت يومَ المصَلَّى
فإذا طيرٌ مليحٌ   فوق غصنٍ يتفلّى[1]
قلتُ يا طيرُ ادْنُ مني   فدنا ثم تدلّى
قلتُ هل تعرفُ سُلْمى   قال لا ثم تولّى
فنكا في القلب كلماً   باطناً ثم تخلّى[2]

وقال في سلمى قبل تزوجه لها:

لعلّ الله يجمعني بسلمى   أليسَ الله يفعلُ ما يشاءُ

١ ـ تفلّى الطائر: احتكّ بنقر منقاره بين ريشه.
٢ ـ فنكا: أي فنكأ بالهمزة.

ويأتي بي ويطرحني عليها فيوقظني وقد قُضِي القضاءُ
ويُرسلُ ديمةً بعد هذا فتغسلنا وليس بنا عناءُ

وقال فيها بعد تزوّجه لها :

أنا في يُمنى يديها وَهْيَ في يُسرى يديَّه
أنَّ هـذا لـقضـاءُ غيرُ عدلٍ يا أُخيَّهْ
ليت من لام محبّاً في الهوى لاقى منيَّهْ
فاستراح النـاس منه ميتـةً غيـرَ سـويَّـهْ

سُلَيمى في شعر الشعراء

في رثاء كعب لأخيه :

تقول سُلَيْمَى : ما لجسمك شاحباً كـأنّك يحميك الطعـامَ طبيبُ
فقلت : شجونٌ من خطوبٍ تتابعتَ عليَّ كبـارٍ والـزمـان يُـريـبُ
لعَمْري لئن كانت أصابت منيَّةٌ أخي ، فالمنايا للرِّجال شعـوبُ
فـإني لباكِيـهِ ، وإني لصـادقٌ عليـه ، وبعضُ القائلين كـذوبُ

وقال أعرابي :

قالت سُلَيْمَى : ليتَ لي بعلاً بمَنْ يغسـلُ رأسي ويُسلّيني الحَـزَنْ
وحـاجةٍ ليس لهـا عنـدي ثمن مشهـورةٍ قضاؤهـا منـه وهَنْ
قلن جواري الحيِّ : يا سلمى وإن كان فقيراً مُعدِماً؟ قالت : وإنْ

وقال الوليد بن يزيد :

خذوا مُلكَكُم لا ثبّتَ الله مُلككُمْ ثباتاً يُساوي ما حَييتُ عقالا
دعوا لي سُلَيْمَى مع طلاءٍ وقينةٍ وكأسٍ ، ألا حسبي بذلك مالا

وقال طريف بن تميم العنبري :

لا تأْمَنَنَّ سُلَيْمَى إن أُفارقَها صرمى الظعائنُ بعد اليوم صُعفوق
أعطيتُ أعدادَهُ طوْعاً برُمَّته ثم انصرفتُ وظني غيرُ موثوق

وغنّى الأحوص :

أتنسى إذ تُودِّعُنا سُلَيْمى بعودِ بشامةٍ سُقي البشامُ[1]
بنفسي من تجنُّبه عزيزٌ عليّ ومن زيارتُه لِمامُ
ومَنْ أمسي وأصبحُ لا أراه ويطرُقني إذا هجع النيَامُ

وقال عبد الله بن همّام :

أودى بحبِّ سُلَيْمى فاتكٌ لقِنٌ كحيّةٍ برزَتْ من بين أحجارِ
إذا رأتني تغذِّيني وتجعلُه في النار، يا ليتني المجعولُ في النارِ

وقال أبو نواس في أشجع بن عمرو :

قُلْ لِمَنْ يدَّعي سُلَيْمى سفاهاً لستَ منها ولا قلامةَ ظُفْرِ
إنما أنت من سُلَيمى كواوٍ أُلحقتْ في الهجاء ظُلماً بعمرو

سُلَيمى بنت محصن في يوم الشقيق

قال أبو عبيدة : أغار أبجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة ، فسَبى سُلَيمى بنت محصن ، فولدت له أبجر . ففي ذلك يقول أبو النجم :

ولقد كَرَرتُ على طُهيَّة كرَّةً حتى طرقتُ نساءها بمساءِ

سُمَيّة أم زياد جارية تُوهب

كانت سُميّة أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة ، وكان طبيباً يعالجه ، فولدت له على فراشه نافعاً ، ثم ولدت أبا بكَرة ، فأنكر لونه . وقيل : [قيل] له : إنّ جاريتك بغيٌّ ! فانتفى من أبي بكرة ومن نافع ، وزوّجها عبيداً : عبداً لابنته ، فولدت على فراشه زياداً ، فلما كان يوم الطائف نادى منادي رسول الله ﷺ : أيُّما عبدٍ نزل فهو حرٌّ وولاؤه لله ورسوله . فنزل أبو بكرة وأسلم ولَحِق بالنبي ﷺ ؛ فقال الحارث بن كلدة لنافع : أنت ابني فلا تفعلْ كما فعل هذا . يريد أبا بكرَة ؛ فلحق به ، فهو ينتسب إلى الحارث بن كلدة . وكانت البغايا في الجاهلية لهنّ رايات يُعرفن بها وينتحيها[1] الفتيان ،

---

١ ـ البشامة: شجرة طيبة الرائحة، ورقها يسوّد الشعر وتتخذ عيدانها لاخراج ما دخل بين الأسنان من طعام .

١ ـ ينتحيها: يقصدها .

وكان أكثر الناس يُكرِهون إماءهم على البغاء والخروج إلى تلك الرايات ، يبتغون بذلك عرَضَ الحياة الدنيا ، فنهى الله تعالى في كتابه عن ذلك بقوله جلّ وعزّ : ﴿ **ولا تكْرهوا فتياتِكُمْ على البَغاءِ إن أردْنَ تَحَصُّناً لتبتغوا عَرَضَ الحياةِ الدنيا ومَن يُكرِهْهُنَّ** ﴾ يريد في الجاهلية ﴿ **فإن الله من بعد إكراههنَّ غفورٌ رحيمٌ** ﴾ يريد في الإسلام[٢] . فيقال إن أبا سفيان خرج يوماً وهو ثملٌ إلى تلكَ الرايات ، فقال لصاحبة الراية : هل عندَكِ من بغيّ ؟ فقالت : ما عندي إلا سُميَّة . قال : هاتيها على نتن إبطيها ! فوقع بها ، فولدت له زياداً على فراش عُبيد ووجّه عاملٌ من عمال عمر بن الخطاب زياداً إلى عمر بفتح فتحه الله على المسلمين ؛ فأمره أن يخطبَ الناسَ به على المنبر ، فأحسن في خطبته وجوّد ، وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب وعليّ بن أبي طالب ، فقال أبو سفيان لعليّ : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إنه ابن عمك ! قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفتُه في رحِم أمه سميّة . قال : فما يمنعك أن تدّعيه ؟ قال : أخشى هذا القاعد على المنبر ـ يعني عمر بن الخطاب ـ أن يفسد عليّ إهابي .

فبهذا الخبر استلحق معاوية زياداً وشهد له الشهود بذلك ، وهذا خلاف حكم رسول الله ﷺ في قوله : « الولد للفراش وللعاهر الحجرَ » والعتبي عن أبيه قال : لما شهد الشهود لزياد ، قام في أعقابهم ، فحمَدَ الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

هذا أمرٌ لم أشهد أوله ، ولا علمَ لي بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما سمعتم ؛ فالحمد لله الذي رفع منّا ما وضع الناس وحفِظ منّا ما ضيّعوا ، وأما عُبيد فإنما هو والدٌ مبرور ، أو ربيبٌ مشكور . ثم جَلس .

وقال زياد : ما هُجيت ببيتٍ قطّ أشدّ عليّ من قول الشاعر :

فكِّرْ ففي ذاك إن فكَّرت مُعتَبرُ ... هل نِلتَ مكرُمةً إلاّ بتأميرِ

---

٢ ـ سورة النور آية ٣٣ .

عاشتْ سُمَيّةُ ما عاشتْ وما عَلمتْ إنَّ ابنَها من قريشٍ في الجماهيرِ
سُبحان من مُلكٍ عبّادٍ بقدرته لا يدفعُ الناسُ أسباب المقاديرِ

سَوْدَة بنت زمعة (أم المؤمنين)

من فواضل نساء عصرها . كانت قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ تحت ابن عم لها يقال له : السكران بن عمرو . ولما أسلمت وبايعت النبي ﷺ أسلم زوجها معها وهاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة . فلما توفي عنها ، جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ فقال : ومن ؟ قالت : سَوْدة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك . فقال النبي ﷺ : أذكريها عليّ . فانطلقت خولة إلى سودة ، وأبوها شيخ قد جلس على الموسم ، فحيّته بتحية الجاهلية. فقال لها: أنعمتِ صباحاً من أنتِ؟فقالت: خولة بنت حكيم. فرحّب بها . ثم قالت له : إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر سودة ابنة زمعة . فقال : هو كريم . فما تقول صاحبتك ؟ فقالت : هي تحب ذلك . فقال لها : قولي له فليأتِ . فأتى رسول الله ﷺ فتزوّجها .

ولمّا كبرت سودة وعلمت مكان عائشة من رسول الله ﷺ ، قالت : يا رسول الله جعلتُ يومي الذي يصيبني لعائشة وأنت منه في حل . فقبله النبي ﷺ ، وكان ﷺ يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة . وبقيت في عصمته ﷺ حتى توفي عنها . وكانت سودة ذات أخلاق حميدة فقد قالت عائشة أم المؤمنين : ما من الناس أحد أحب إليَّ من أن أكون في مسلاخه من سودة بنت زمعة إلاّ أن بها حدة . وفي رواية إلا أنها امرأة فيها حسد .

سودة بنت عمارة تهدد معاوية بقومها

قال عامر الشعبي : وفدتْ سودةُ بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذِن لها ، فلما دخلت عليه سلّمت عليه ، فقال لها : كيف أنتِ يا ابنةَ الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمِّرْ كفعلِ أبيك يا ابن عمارةٍ يومَ الطِّعانِ ومُلْتقى الأقرانِ

وانصر عليّاً والحسينَ ورهطَه واقصِدْ لهندٍ وابنها بهَوانِ
إن الإمامَ أخا النبيّ محمدٍ عَلَمُ الهدى ومنارة الإيمانِ
فَقُدِ الجيوشَ وسِرْ أمامَ لوائه قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسِنانِ

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبُتِر الذَنَب ، فدَعْ عنك تذكارَ ما قد نُسي . قال : هيهات ، ليس مثلُ مقامِ أخيكِ يُنْسى . قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان أخي خفيَّ المقام ، ذليلَ المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإنَّ صخراً لتأتَمُّ الهُداةُ بِهِ كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ

وبالله أسألُ يا أميرَ المؤمنين إعفائي مما استعفيتُه . قال : قد فعلتُ ، فقولي حاجَتَك . قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك للناس سيّدٌ ، ولأمورهم مقلَّد ، والله سائلُك عما افترض عليك من حقّنا ، ولا تزال تُقدم علينا مَن ينهض بعزِّك ، ويَبسط سلطانَك ، فيحصدنا حِصادَ السُّنبل ، ويدوسنا دِياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابنَ أرطاةَ قدم بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومَنَعة ، فإمّا عزلتَه فشكرناك ، وإمّا لا فعرفناك ! فقال معاوية : إيّاي تهدّدين بقومك ؟ والله لقد هممتُ أن أردَّك إليه على قَتَب[1] أشرسَ فينفِّذَ حكمه فيك . فسكتت . ثم قالت :

صلّى الإِلَه على روحٍ تضمّنَهُ قبرٌ فأصبح فيه العدلُ مدفونا
قد حالَفَ الحقّ لا يبغي به ثمناً فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

قال : ومَن ذلك ؟ قالت : عليّ بن أبي طالب رحمه الله تعالى . قال : ما أرى عليك منه أثراً ! قالت : بلى ، أتيتُه يوماً في رجلٍ ولاّه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغَث والسمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فانفتل من الصلاة ثم قال برأفةٍ وتعطّف : ألكِ حاجة ؟ فأخبرته خبرَ الرجل فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : أللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقّك . ثم أخرج من جيبه قطعةً من جراب فكتب فيه :

---
١ ـ القتب: الرحل. واقتتب البعير: شدّ عليه القتب .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جاءتكم بيّنةٌ من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثَوْا في الأرض مفسدين ، بقيةُ الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك . والسلام » . فعزله يا أمير المؤمنين . ما خزمه بخِزام ، ولا خَتَمه بخِتام .

فقال معاوية : أكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها . فقالت : ألي خاصّةً أم لقوميَ عامةً ؟ قال : وما أنتِ وغيرك ؟ قالت : هي والله إذاً الفحشاءُ واللؤم ، إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا يَسَعني ما يسَعُ قومي . قال : هيهات ! لَمَّظكُم[1] ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تُفطمون ، وغرّكم قوله :

فلو كنتُ بوّاباً على بابِ جنَّةٍ لَقُلْتُ لهمـدانَ ادخُلوا بسـلامِ

وقوله :

نـاديتُ هَمذانَ والأبـوابُ مغلقةً ومثلُ هَمدانَ سنَّى فتحةَ الباب
كـالهنـدُواني لم تُفللْ مضـاربُـه وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ[2]

أكتبوا لها بحاجتها .

شفيع « جارية سعيد بن حميد »

قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج بالرقة : « ودّعت جاريةً لي تُسمّى شفيعاً وأنا أضحك وهي تبكي ، وأقول لها : إنما هي أيام قلائل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بي السفر واتصلت بي الأيام كتبتُ إليها كتاباً ، وفي أسفله :

ودّعتُها والدّمعُ يقطر بينَنـا وكذاكَ كلُّ مُلذَّعٍ بفـراقِ
شُغِلَتْ بتفييض الدموعِ شِمالُها ويمينُهـا مشغـولـةٌ بعنـاقِ

---

١ ـ لمظكم: أعطاكم. ولمّظه من حقه: اعطاه شيئاً قليلاً منه .
٢ ـ غير وجّاب: غير جبان. وقلب وجّاب: كثير الخفوق .

قال : فكتبتْ إليّ في طومار كبير ليس فيه إلاّ : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ [في أوله] وفي آخره : يا كذاب ، وسائر الكتاب أبيض ، قال : فوجهتُ الكتاب إلى ذي الرياستين الفضل بن سهل[1] . وكتبتُ إليها كتاباً على نحو ما كتبتْ ، ليس فيه إلاّ ، بسم الله الرحمن الرحيم ، في أوله وفي آخره أقول :

فودّعتُها يومَ التفرُّق ضاحكاً إليها ولم أعلمْ بأن لا تلاقيا
فلو كنتُ أدري أنه آخرُ اللقا بكَيْتُ وأبكيتُ الحبيبَ المُصافيا

قال : فكتبت إليَّ كتاباً آخر ليس فيه إلاّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، في أوله ، وفي آخره : أعيذك بالله أن يكون ذلك ! فوجهتُه إلى ذي الرياستين الفضل بن سهل فأشخصني إلى بغداد وصيّرني إلى ديوان الضياع .

ماذا كتبت شُعب على قلنسوة جاريتها « شكل »

قال الحسن بن وهب : كتبتْ شُعب على قلنسوة جاريتها شكل :

لم ألقَ ذا شجنٍ يبوح بحبِّه إلاّ حسِبْتُكَ ذلك المحبوبا
حَذراً عليك ، وإنني بك واثقٌ ألاّ ينال سوايَ منك نصيبا

صفية بنت الحارث وابنها طلحة

حدّث يعلى الهذلي قال : كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أرَ أحداً كان أسخى منه ولا أشرف نفساً ؛ فكتب إليّ عمي من البصرة : إني قد كبرت ، ومالي كثير ، وأكره أن أُوكله غيرك فاقدمْ أزوّجك ابنتي وأصنع بك ما أنت أهله .

قال : فخرجت على بغلة لي تركية ، فأتيتُ البصرة في ثلاثين يوماً ، ووافيته في صلاة العصر ، فوجدته قاعداً على دكانه ، فسلمت عليه ، فقال لي

---

١ ـ الفضل بن سهل: وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في صباه وأسلم على يده (سنة ١٩٠ هـ) وكان مجوسياً. وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً. فلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) توفي في سرخس (بخراسان) سنة ٢٠٢هـ . (وفيات الأعيان[1] ٤١٣).

من أنت ؟ قلت له : أبن أخيك يعلى ، قال : وأين ثقلك ؟ قلت : تعجَّلت إليك حين أتاني كتابُك وطربت[1] نحوكم . قال : يا بن أخي ، أتدري ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب : شرُّ الفتيان المُفلس الطروب ! قال : فقمت إلى بغلتي فأعددتُ سرجي عليها ، فما قال لي شيئاً ، ثم قال : إلى أين ؟ قلت : إلى سجستان ! قال : في كنف الله .

قال : فخرجت فبتُّ في الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفتُ أسأل عنها حتى أتيتُ منزلها ـ وكان طلحة أبرَّ الناس بها ـ فقلت : رسول طلحة ، فقالت : آئذنوا له . فدخلت ، فقالت : ويحك ! كيف ابني ؟ قلت : على أحسن حال . قالت : فللّه الحمدُ ! وإذا بعجوز قد تحدرت ، قالت : فما جاء بك ؟ قلت : كيت وكيت . قال : يا جارية . آئتيني بأربعة آلاف درهم ! ثم قالت : آئتِ عمك فَابتنِ بابنته ، ولك عندنا ما تحب ! قلت : لا والله لا أعود إليه أبداً ، قالت : يا جارية آئتيني ببغلة رحالتي . ثم قالت : راوح بين هذه وبغلتك حتى تأتي سجستان قلت : أكتبي بالوصاة بي والحالة التي استقبلتُها .

فكتبتْ بوجعها التي كانت فيه ، وبعافية الله إياها ، وبالوصاة بي ؛ فلم تدعْ شيئاً . ثم دفعتُ حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت للحاجب : رسول صفية بنت الحرث . وأنا عابس باسر[2] ، فدخل ؛ فخرج طلحة متوشّحاً ، وخلفَه وصيف يسعى بكرسي ، فقمتُ بين يديه ، فقال : ويلك ! كيف أمي ؟ قلت : بأحسن حالة . قال : أنظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها . قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : إقرأ كتاب وصيِّتها . قال : ويحك ! ألم تأتني بسلامتها ؟ حسبُك ! فأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال لحاجبه : أكتبْه في خاصة أهلي ، قال : فوالله ما أتى عليّ الحَوْل حتى تمّ لي مائة ألف .

قال ابن عياش : فقلت له : هل لقيت عمّك بعد ذلك ؟ قال : لا والله ولا ألقاه أبداً .

---

١ ـ طربت نحوكم : تحرّكت نحوكم .
٢ ـ باسر : مقطّب الوجه .

صفية بنت حُيَيّ (أم المؤمنين) تُعيّر باليهودية

تسرّى[1] النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم ، ولما صارت إليه صفية بنت حُيَيّ ، كان أزواجُه يعيِّرْنَها باليهودية ، فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنكِ لو شئتِ لقلتِ فصدَقْتِ وصُدِّقتِ : أبي إسحاقُ ، وجَدّي إبراهيم ، وعَمي اسماعيل ، وأخي يوسف .

ويُروى أن رسول الله ﷺ لمّا قدِم من خيبر ومعه صفية ، أنزلها في بيت من بيوت حارثة بن النعمان فسمع بها نساء الأنصار وبجمالها فجئن إليها . وجاءت عائشة أم المؤمنين متنقبة[2] حتى دخلت عليها . فعرفها فلما خرجت خرج رسول الله ﷺ على أثرها فقال : كيف رأيتها يا عائشة ؟ قالت : رأيت يهودية . قال : لا تقولي هذا يا عائشة ، فإنها قد أسْلَمتْ فحُسن إسلامها .

وبكتْ صفية لما بلغها أن حفصة أم المؤمنين قالت : بنت يهودي . فدخل عليها رسول الله ﷺ وهي تبكي فقال : ما يبكيكِ ؟ قالت : قالت لي حفصة بنت عمر : إني ابنة يهودي . فقال النبي ﷺ : إنك لابنة نبيّ، وعمُك لنبيّ ، وإنك لتحت نبيّ ، ففيمَ تفخر عليك ؟ ثم قال : اتَّقِ الله يا حفصة .

وجاءت جاريةٌ لصفية عمرَ بن الخطاب فقالت له : إن صفية تحب السبت وتصل اليهود . فبعث إليها عمر فسألها عن ذلك . فقالت : أما السبت فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها . ثم قالت للجارية : ما حملك على هذا ؟ قالت : الشيطان ، قالت : إذهبي فأنت حرّة .

وجاءت صفية لما حوصر عثمان بن عفان على بغلة لتردَّ عنه ، فلقيها الأشتر فضرب وجه البغلة . فقالت : ردني لا تفضحني ، ثم وضعت حسناً بين منزلها ومنزل عثمان فكانت تنقل إليه الطعام والماء .

واختلف في سنة وفاتها ، فمنهم من قال : توفيت في خلافة معاوية /سنة ٥٠ هـ ، ومنهم من روى أنها توفيت سنة ٥٢ هـ .

---

١ ـ تسرّى : اتخذ جارية له . والسرية هي الجارية التي تلد من سيدها وتقيم معه في البيت .
٢ ـ تنقّبت المرأة: شدّت النقاب وهو القناع تجعله على مارن أنفها وتستر به وجهها .

ضباعة بنت الزبير حجّة للهجناء

مما احتجّت به الهجناء : أن النبي ﷺ زوّج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود . وهي مهاجرة من المهاجرات الأول . روت عن النبي ﷺ وعن زوجها المقداد أحدَ عشرَ حديثاً ، وروى عنها ابنَ عباس وعائشة أم المؤمنين وابنتها كريمة بنت المقداد وابن المسيّب وعروة بن الزبير والأعرج وغيرهم .

ظلّامة في هجاء والدها..

سأل هشام بن عبد الملك أبا النجم العجلي : ما لك من الولد ؟ قال : ابنتان . قال : أزوجتهما ؟ قال : زوّجت إحداهما . قال : فَبِمَ أوصيتها ليلةَ أهديتها ؟ قال : قلت لها :

سُبِّي الحماةَ وابهتي عليها وإن أَبَتْ فازدلفي إليها[١]
ثم اقرعي بالعود مِرفَقَيْها وجدِّدي الخُلْف به عليها[٢]
لا تخبري الدهرَ بذاك ابنَيْها

قال : فهل أوصيتها بعد هذا ؟ قال : نعم :

أوصيتُ من برّة قلباً برًّا بالكلب خيراً والحماةِ شرّا[٣]
لا تسأمي خنْقاً لها وجرّا والحيَّ عُمِّيهم بشرٍّ طُرّا[٤]
وإن كسَوْك ذهباً ودُرّا حتى يَرَوْا حُلوَ الحياةِ مُرّا

قال هشام : ما هكذا أوصى يعقوب ولده . قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوب ، ولا ولدي كولده . قال : فما حال الأخرى ؟ قال : هي ظلّامة التي أقول فيها :

كأن ظلّامة أختَ شَيْبَانْ يتيمةٌ ووالداها حيّانْ

---

١ ـ بهته : افترى عليه الكذب . ازدلفي : تقرّبي .
٢ ـ اقرعي : اضربي . الخُلف : الخلاف .
٣ ـ برّاً : مطيعاً .
٤ ـ طراً : كافةً .

الـرأسُ قملٌ كلُّه وصئبان وليس في الرجلين إلا خيطان

فَهْيَ التي يُـذعَـرُ منهـا الشيـطانْ

قال هشام لحاجبه : ما فعلتَ بالدنانير التي أمرتُك بقبضِها ؟ قال : هي عندي ، وهي خمسمائة دينار . قال له : إدْفَعْها لأبي النجم ليجعلها في رِجلَيْ ظلامة مكان الخيطين .

ظلمة والزنى

يقال : أقْود من ظلمة ، أو أزنى من ظلمة . وظلمة : امرأة من هُذَيل زَنَتْ أربعين عاماً ، فلما عجزت عن الزنا والقَوْد[1] ، اتّخذت تيساً وعنزاً ، فكانت تُنزي التيس على العنز ، فقيل لها : لِمَ تفعلين ذلك ؟ قالت : حتى أسمعَ أنفاس الجماع .

عاتكة «أم خالد بن يزيد» تقتل مروان

لمّا قتل الضحّاك بن قيس في وقعة مرج راهط وانهزم الناس ؛ نادى مروان بن عبد الملك أن لا يتّبع أحدٌ ، ثم أقبل إلى دمشق فدخلها ، ونزل دارَ معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة ؛ ثم جاءته بيعة الأجناد فقال له أصحابه : إنا لا نتخوّف عليك إلا خالدَ بن يزيد ، فتزوَّجْ أمّه، فإنك تكسره بذلك ـ وأمُّه ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ـ فتزوّجها مروان ، فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد : أعِرْني سلاحاً إن كان عندك ، فأعاره سلاحاً . وخرج إلى مصر ، فقاتل أهلها وسبى بها ناساً كثيراً ، فافتَدَوْا منه ثم قَدِم الشام ، فقال له خالد بن يزيد ، رُدَّ عليَّ سلاحي . فأبى عليه ، فألحَّ عليه خالد ، فقال له مروان ، وكان فحاشاً[2] : يا بن رَطبة الإست ! قال : فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما قاله مروان على رؤوس أهل الشام ، فقالت له : لا عليك ، فإنه لا يعود إليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً ، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطرحن عليه الشوادك[3] ، ثم غطته حتى قتلته ، ثم

١ ـ القود: مهنة تعاطي الزنى .
٢ ـ فحاشاً: بذيء الكلام والفعل .
٣ ـ الشوادك: فارسية وتعني الأغطية والأوسدة .

خرجنَ فَصُحْنَ وشققن ثيابهن : يا أمير المؤمنين ! يا أمير المَؤمنين ! .

ثم قام عبد الملك بالأمر بعده ، فقال لعاتكة أم خالد : والله لولا أن يقول الناس إني قتلت بأبي امرأة لقتلتك بأمير المؤمنين .

عاتكة بنت عبد المطلب من الشواعر:

شاعرة من شواعر العرب . قالت تبكي أباها عبد الملك :

أعينيّ جودا ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيام
أعينيّ واستعبرا واسكبا ... وشوبا بكاءكما بالسدام[1]
أعينيّ واستخرطا واسجُما ... على رجلٍ غير نكس كهام[2]
على الجحفل الغَمر في النائبات ... كريم المساعي وفيِّ الذمام[3]
على شيبة الحمد واري الزناد ... وذي مَصْدق بعد ثبت المقام[4]
وسهل الخليقة طلق اليدين ... وفٍ عُدْ مُليٍّ صميم لهام[5]
تبنّك في باذخٍ نبته ... رفيع الذؤابة صعب المرام[6]

واختُلف في إسلامها ، فقد قال ابن عبد البر : اختُلف في إسلام عاتكة والأكثر يأبون ذلك . واستدل على إسلامها بشعرٍ لها تمدح النبي ﷺ وتصفه بالنبوّة . وقال الدار قطني في كتاب الأخوة : لها شعرٌ تذكر فيه تصديقها . وقال ابن سعد : أسلمت عاتكة بنت عبد المطلب بمكة وهاجرت إلى المدينة .

عاتكة بنت يزيد أعرق الناس في الخلافة

من ربات السؤدد والمجد والرفعة والعظمة والحسن الباهر والجمال البارع . شغلت في قلوب بني أمية مكاناً رفيعاً ، وأحبها زوجها عبد الملك بن مروان حباً عظيماً . قال أبو عبيد : لما قدم مصعب بوجوه أهل العراق على أخيه

---

١ ـ السدام: الحزن والهم مع الندم .
٢ ـ كهام: كليل .
٣ ـ الذمام: العهد .
٤ ـ وَرِي الزناد: خرجت ناره، فهو وارٍ .
٥ ـ لهام: كثير الخير .
٦ ـ تبنّك: أقام .

عبد الله بن الزبير فلم يُعطِهم شيئاً ، أبغضوا ابن الزبير ، وكاتبوا عبد الملك بن مروان ، فخرج يريد مصعب بن الزبير ، فلمّا أخذ في جهازه وأراد الخروج ، أقبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية في جواريها ، وقد تزيّنت بالحلي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو قعدت في ظلال مُلكِك ووجهتَ إليه كلباً من كلابك لكفاك أمره ! فقال : هيهاتِ ، أما سمعت قول الأوّل :

قومٌ إذا ما غَزَوْا شدّوا مآزرَهُم دونَ النساء ولو بانتْ بأطهار

فلما أبى عليها وعزم بكتْ وبكى معها جواريها ، فقال عبد الملك : قاتل الله ابن أبي ربيعة ، كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزوَ لم يثنِ همَّهُ حصانٌ عليها نظمُ درٍّ يَزينُها[1]
نَهَتْه فلما لم تَرَ النهيَ عاقَهُ بَكتْ فبكى مِما دهاها قطينُها[2]

وقال الأصمعي : أعرقُ الناس في الخلافة عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : أبوها خليفة ، وجدُّها معاوية خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وأربّاؤها : الوليد وسليمان وهشام خلفاء .

ومن قول عبيد الله بن قيس ، المعروف بالرقيات ، يشبّب بعاتكة بنت يزيد بن معاوية :

أعاتِكَ يا بنتَ الخلائفِ عاتكا أنيلي فتى أمسى بحبِّك هالكا
تَبـدَّتْ واتـرابـاً لهـا فقتلتني كـذلك يُقتِلن الرجـالَ كـذلكـا
يُقلِّبْنَ ألحـاظـاً لهنَّ فـواتـرا ويحملن ما فوق النعالِ السبائكا
إذا غفَلت عنّا العيون التي نرى سلكْنَ بنا حيث اشتهينَ المسالكا
وقُلْنَ لنا لو نستطيعُ لـزاركم طبيبـانِ منا عـالمـانِ بـدائكـا
فهـل من طَبيبٍ بالعراق لعله يُـداوي سقيماً هـالكاً مُتهالكـا

---

١ ـ حصان : عفيفة شريفة .
٢ ـ القطين : أهل الدار . وتقال أيضاً للخدم والأتباع .

عالج جارية تكتب على طرّتها

قال علي بن الجهم : خرجت علينا عالج جارية خالصة ، كأنها خوط[1] بان وهي تميس في رقة ، وعلى طرّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

يا هلالاً من القصور تجلّى ... صام طرْفي لمُقلتيك وصلّى
لست أدري أطال ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلّى[2]
لو تفرَّغت لاستطالة ليلي ... ولِرَعي النجوم كنتُ مُجِلاّ

أخبار عائشة أم المؤمنين

هي الصدِّيقةُ بنت الصّديق ، العتيقةُ بنت العتيق ، البريئة المبرّأة في كتاب الله ، حبيبةُ حبيب الله ، وزوجة رسول الله ﷺ . والدُها أبو بكر الصديق ، وهو مَن هو إسلاماً وإيماناً ، وفقهاً وعلماً ، وزهداً وتواضعاً ، وصدق صحبةٍ لرسول الله ﷺ وأمُّها « أم رومان » التي أُثر عن الرسول قولُه فيها حين دفنها : « مَنْ سرَّه أن يرى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان » .

قيل : إن رسول الله تزوّج عائشة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة ، وهي ابنة ست سنين أو سبع ، وبنى بها بعد أن هاجر إلى المدينة بثمانية أشهر ، وقيل : بسبعة أشهر ، في شوال ، ثم توفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوّج رسول الله ﷺ بكراً غيرَها . وروى عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال ، وبنى بي في شوال ، فأيُّ نساء رسول الله كانت أحظى عنده مني ! وكانت عائشة تستحب أن يُدخَل بالنساء في شوال وحدّث يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة أنها قالت : لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص ، امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة : أيْ رسولَ الله ، ألا تزوّج ؟ فقال : ومَن ؟ فقالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . فقال : فَمَن البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله إليك عائشةُ ابنة

---

١ ـ الخوط: الغصن الناعم .
٢ ـ تقلّى على فراشه: تململ ولم يستطع النوم .

أبي بكر . قال : ومن الثيِّب ؟ قالت : سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنتْ بك واتبعتك على ما أنت عليه .

قال : فاذهبي فاذكريهما عليَّ . فجاءت فدخلت بيت أبي بكر ، فوجدت أمَّ رومان ، أمّ عائشة ، فقالت : ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله أخطب عليه عائشة .

قالت : ودِدتُ ! إنتظري أبا بكر . فإنه آتٍ ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلني رسول الله أخطب عليه عائشة قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخيه ! .

فرجعتْ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ذلك ، فقال : إرجعي إليه ، فقولي له : أنت أخي في الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لي . فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال لها : إنتظريني حتى أرجع .

فقالت أم رومان : إن المُطعم بن عديّ كان ذكرها ـ عائشة ـ على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئاً قطُّ فأخلف .

فدخل أبو بكر على مطعم ، وعنده امرأته أمُّ ابنه الذي كان ذكرها عليه . فقالت العجوز : يا ابن أبي قحافة ، لعلنا إن زوّجنا ابننا ابنتك إن تُصبِئَه(١) وتُدخلَه في دينك الذي أنت عليه ! فأقبل ـ أبو بكر ـ على زوجها المُطعم ، فقال : ما تقول هذه ؟ فقال : إنها تقول ذاك .

قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العِدَةَ التي كانت في نفسه من عِدتهِ التي وعدها إياه ، وقال لخولة : ادعي لي رسول الله ، فدعَتْهُ فجاء فأنكحه ، وهي يومئذٍ ابنةُ ست سنين .

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فنزل أبو بكر السُّنح في بني الحارث بن الخزرج ، قالت : فجاء رسول الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وأنا في أرجوحة بين عَذقين(٢) يُرَجِّحُ بي ، فأنزلتني وقد

١ ـ صبأ : خرج من دين إلى آخر أو تديّن بدين الصابئين .
٢ ـ العذق : كل غصن له شعب .

وفت جُمَيْمَة[1] كانت لي، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني، حتى إذا كنت عند الباب وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي، ثم أُدخِلت ورسول الله جالس على سرير في بيتنا.

قالت: فأجلستني في حِجره، فقالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهنّ، وبارك لهنّ فيك! ووثب القوم والنساء، فبنى بي رسول الله في بيتي، ما نُحرت جَزورٌ، ولا ذُبِحَتْ شاة، وأنا يومئذٍ ابنة تسع سنين، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة[2] كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ.

« أقوال وأحاديث ومواقف لعائشة أم المؤمنين »

● كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحزمَ الخلفاء، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا ذُكر عُمر تقول: كان والله أحوذياً[3] نسيجَ وَحْده، قد أعدّ للأمور أقرانها.

● كتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: أما بعد فإنه من يعملْ بمساخط الله يصرْ حامدُه من الناس ذامّاً له. والسلام.

● وقالت عائشة رضي الله عنها يوم الجمل، وسمعت منازعَة أصحابها وكثرة صياحهم: المنازعة في الحرب خَوَر. والصياح فيها فَشَل، وما بِرأيي خَرَجْت مع هؤلاء.

● وقال أبو بكر بن أبي شيبة: أعطت عائشةُ الذي بشّرها بحياة ابن الزبير إذ التقى مع الأشتر عشرة آلاف.

● سمع النبي ﷺ عائشة رضي الله تعالى عنها تنشد أبيات زهير بن خباب[4]:

---

١ ـ الجميمة: تصغير الجمّة، وهي مجتمع شعر الرأس.

٢ ـ الجفنة: القصعة الكبيرة.

٣ ـ الأحوذي: الحَسَن السياقة، والحاذق والسريع في كل ما أخذ فيه.

٤ ـ زهير بن خباب: خطيب قضاعة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك، في الجاهلية. كان يرعى « الكاهن » لصحة رأيه، وعاش طويلاً، وهو أحد الذين شربوا الخمر صرفاً حتى ماتوا. توفي نحو سنة ٦٠ ق. هـ. (الأعلام٣ ٥١).

ارفع ضَعْفَكَ لا يُحْرِفك ضعفُهُ   يوماً فَتُدْرِكَه عواقبُ ما جنى
يَجزيك أو يثني عليك فإنَّ مَنْ   أثنى عليك بما فعلتَ كمَنْ جزى

فقالَ النبي عليه الصلاة والسلام : صدق يا عائشة ، لا شكرَ الله مَن لا يشكر الناس .

● وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله ﷺ ، فنحفظ حلالَها وحرامها وأمرها وزجرَها ، قبل أن نحفظها .

● وقالت عائشة رضي الله عنها : كلُّ كرمٍ دونَه لؤم ، فاللؤم أوْلى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرمُ أوْلى به ، تريد أن أوْلى الأمور بالإنسان خصالُ نفسه ، وإن كانَ كريماً وآباؤه لئام لم يَضُره ذلك ، وإن كان لئيماً وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك .

● قالت عائشة رضي الله عنها : نزلت آية في الثقلاء : ﴿ فإذا طَعِمتُمْ فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ﴾[1] .

● كانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذين البيتين :

إذا ما الدهر حرَّ على أناس   حــوادثَــه أناخ بآخرينـا
فقُـلْ للشامتين بنـا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

● هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : رحم الله لبيدا[2] ، كان يقول :

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم   وبقيتُ في خَلَف كَجِلْدِ الأجربِ

فكيف لو أبصر زماننا هذا ؟

قال عروة : ونحن نقول : رحم الله عائشة ، فكيف لو أدركتْ زماننا هذا ؟ .

● من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : الدَّيْنُ ينقص ذا الحسب .

---

١ ـ سورة الأحزاب: آية ٥٣ .
٢ ـ هو لبيد بن ربيعة العامري توفي سنة ٤١ هـ .

● ومن حديث عائشة ، قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ يُجلُّ أحداً تبجيلَه لعمِّه العباس .

● وقال رجل لعائشة : كيف أصبحتِ؟ قالت : بنعمةٍ من الله .

● وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : المغزِل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله .

● روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة رضي الله عنها : إن من أصدق الأحاديث حديثُ خُرافة ، وكان رجلاً من بني عُذرة سبته الجن ، وكان معهم ، فإذا استرقوا السمع أخبروه ، فيخبِرُ به أهل الأرض فيجدونه كما قال .

● قالت عائشة رضوان الله عليها لعليّ بن أبي طالبَ كرّم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس ، فدنا من هودجها وكلَّمها فأجابته ملَكتَ فأسجح . أي ظفرتَ فَأَحْسِنْ ، فجهَّزَها بأحسن الجهاز . وبعث معها أربعين امرأة ، وقال بعضهم : سبعين - حتى قدمت المدينة .

● يقال : «خَلاَ لكِ الجوُّ فبيضي واصفري» ومنه : رُميَ بريشك على غاربِك وهذا المثل قالته عائشة لابن أخت ميمونة زوج النبي ﷺ . ذهبت والله ميمونة ورُمي بريشك على غاربكْ .

● قدَّمت عائشة رضي الله عنها إلى النبيّ ﷺ صَحْفة فيها خبزُ شعير وقطعةُ من كرِش ، وقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أمسكنا منها غير هذا فقال : بل كلّها أمسكْتم غير هذا .

● لمّا قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال أصحاب رسول الله ﷺ : تعالوا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبي ﷺ فننظرَ حزنَها على ابن عم رسول الله ﷺ ، فقام الناس جميعاً حتى أتوا منزل عائشة رضي الله عنها ، فاستأذنوا عليها ، فوجدوا الخبر قد سبق إليها ، وإذا هي في غمرة الأحزان وعَبرة الأشجان ، ما تفتر عن البكاء والنحيب منذ وقتِ سمعت بخبره ، فلمانظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا ؛ فلما كان من غدٍ قيل إنها غدتْ إلى قبر

رسول الله ﷺ ، فلم يبق في المسجد أحدٌ من المهاجرين إلا استقبلها يسلّم عليها ، وهي لا تسلم ولا تردّ ولا تطيق الكلام ؛ من غزرة الدمعة ، وغمرة العَبرة ، تختنق بعَبرتها ، وتتعثر في أثوابها ، والناس من خلفها ، حتى أتت إلى الحجرة ، فأخذت بعضادتي الباب ، ثم قالت :

السلام عليك يا نبيّ الهدى ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا رسول الله وعلى صاحبيك ، يا رسول الله ؛ أنا ناعيةٌ إليك أحظى أحبابك ، وذاكرةٌ لك أكرمَ أودّائك عليك ، قُتل والله حبيبُك المجتبى[1] ، وصفيُّك المرتضى ، قتل والله مَن زوجتُه خيرُ النساء ، قُتل والله من آمن ووفى ، وإني لنادبةٌ ثَكْلى ، وعليه باكيةٌ حرّى ، فلو كشف عنك الثرى لقلت أنه قتل أكرمهم عليك ، وأحظاهم لديك ؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك مني ما تعرضتُ له منذ اليوم ، والله يُجري الأمور على السداد .

● هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنتُ نائمة مع رسول الله ﷺ ليلة النصف من شعبان ، فلما لصق جلدي بجلده أغفيت ؛ ثم انتبهت ، فإذا رسول الله ﷺ ليس عندي ، ؛ فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فلففت مرطي ـ أما والله ما كان خزّاً ولا قزّاً[2] ، ولا ديباجاً ولا قطناً ولا كتاباً ، قيل : فما كان يا أُمَّ المؤمنين ؟ قالت : كان سداه من شعر ، ولحمته من أوبار الإبل ـ قالت : فحَنَوْتُ عليه أطلبه حتى ألفيتُه كالثوب الساقط على وجهه في الأرض وهو ساجدٌ يقول في سجوده :

« سجد لك خيالي وسَوادي ، وآمن بك فؤادي ؛ هذه يدي وما خبيت بها على نفسي . ؟تُرجَى لكلّ عظيم ، فاغفر لي الذنبَ العظيمَ » فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنك لفي شأن وإني لفي شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجداً فقال : أعوذ بوجهك الذي أضاءتْ له السمواتُ السبعُ والأرضون السبع ، من فجأة نِقمتك ، وتحوُّلِ عافيتك ؛ ومن شر كتاب قد سبق ؛ وأعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

---

١ ـ المجتبى : المختار .

٢ ـ ما كان مزّاً : ما كان ذا قدرٍ وفضلٍ

فلما انصرف من صلاته تقدمتُ أمامه حتى دخلتُ البيت ولي نفسٌ عال، فقال: ما لك يا عائشة؟ فأخبرته الخبر، فقال: ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة! ومسح عليهما؛ ثم قال: أتدرين أيّ ليلةٍ هذه يا عائشة؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فقال ﷺ: هذه الليلةُ ليلةُ النِّصفِ من شعبان، فيها تؤقت الآجال وتثبَّت الأعمال..

● مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهذه الكلمات: أُعيذُكما بكلمات الله التّامة، من كل عينٍ لامّة، ومن كل شيطان وهامَّة.

● قالت عائشة أم المؤمنين: ما رأيتُ من خلق الله أشبَهَ حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها ورحَّب بها وأجلسها في مجلسه؛ وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحّبت به وأخذت بيده فقبّلتها. فدخلتْ عليه في مرضه الذي توفي فيه، فأسرّ إليها فبكت، ثم أسرّ إليها فضحكت، فقلت: كنتُ أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء، فإذا هي واحدة منهن؛ بينما هي تبكي إذ هي تضحك! فلما توفي رسول الله ﷺ سألتُها؛ فقالت: أسرَّ إلي فأخبرني أنه ميت فبكيْت؛ ثم أسرَّ إليّ أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكْت.

● وقال القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه، فقالت له: يا أبت، اعهد إلى خاصتك، وأنفذ رأيك في عامتك، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك؛ وإنك محضور ومتصل بقلبي لوعتُك، وأرى تخاذُل أطرافك، وانتفاع لونك، فإلى الله تعزيتي عنك، ولديه ثوابُ حزني عليك، أرقأُ[1] فلا أَرْقَأ وأشكو فلا أُشكَى.

● وقالت عائشة رضي الله عنها وأبوها يُغمَّض:

وأبيضُ يُسْتسْقى الغمامُ بوجهِهِ ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

---

١ ـ أرقأ الدمع: جفّفه. ورقأ بينهم: اصلح أو أفسد (ضدّ).

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله ﷺ . ثم أغمي عليه فقالت :

لَعَمْرُك ما يُغني الثراءُ عن الفتى   إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصـدرُ

قالت : فنظر إليَّ كالغضبان وقال لي : قولي : ﴿ وجاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحقّ ذلك ما كنت فيه تَحيد[1] ﴾ . ثم قال : أنظروا ملاءتيَّ فاغسلوهما وكفِّنوني فيهما ؛ فإن الحيَّ أحوج إلى الجديد من الميت .

● ووقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت : نضَّر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت مُذلاً بإدبارك عنها ، وكنتَ للآخرة مُعزّاً بإقبالك عليها ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رُزْؤك ، وأعظمَ المصائب بعدَه فقدُك ـ أن كتاب الله ليعِدُ بحُسن الصبر فيك ، وحُسنِ العِوَض منك ؛ فأنا أتنجزُ موعودَ الله بحسنِ العزاء عليك ، وأستعيضه منك بالاستغفار لك ؛ فعليك السلام ورحمة الله ، توديعَ غيرِ قالية[2] لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

● دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها :

حَصَـانٌ رزانٌ مـا تُـزَنُّ بـريبـةٍ   وتُصبحُ غرْثى من لحوم الغوافِلِ[1]

قالت له : لكنك لستَ كذلك ! وكان حسان من الذين جاؤوا بالإفك .

● قيل لعائشة : صفي لنا أباك . قالت : كان أبيض ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، أجنأ[3] ، لا يستمسك إزاره ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عاري الأشاجع[4] ، أفرع[5] .

● رَوتْ عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ قال في مرضه : « مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس » فقلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع

---

١ ـ تحيد : تفرّ .
٢ ـ غرثى : جائعة .
٣ ـ جنيء : أكبّ وحدُب أي أشرف كاهله على صدره فهو أجنأ .
٤ ـ الأشاجع : اصول الأصابع ، التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، أو هي عروق ظاهر الكف .
٥ ـ افرع : طويل .

الناس من البكاء ، فمُرْ عمر فليصلِّ بالناس . قال : مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس ، قالت عائشة : فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمِع الناسَ من البكاء ، فمُرْ عمر . ففعلت حفصة ، فقال رسول الله ﷺ : مه ! إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس .

● ومن حديث عروة عن عائشة قالت : لم يبايع عليٌّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة ، وذلك لستة أشهر من موت أبيها ﷺ ، فأرسل عليّ إلى أبي بكر ، فأتاه في منزله فبايعه ، وقال : والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير ، ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبددت به دوننا ، وما نُنكر فضلك .

● وقالت عائشة : تُوُفِّي رسول الله ﷺ بين سَحري ونحري[1] ، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهدّها ، أشرأبَّ النفاق ، وارتدّت العرب ؛ فوالله ما طاروا في نقطة إلّا طار أبي بخطها وغَنائها في الإسلام . وبلغ عائشة أن أناساً ينالون من أبيها ، فأرسلت إليهم ، فلما حضروا قالت : إنّ أبي والله لا تعطُوه الأيدي ، ذاكَ طودٌ منيف وظل ممدود ، أنجحَ إذ أكْدَيتُم[2] ، وسبقَ إذ ونَيْتُم[3] ، سبْق الجوادِ إذا استولى على الأمدِ ، فتى قريش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش مملقُها[4] ، ويرأب صدْعَها ويلُمُّ شَعْثها ، فما برحت شكيمته في ذات الله تشتد ، حتى اتخذ بفنائه مسجداً يُحيي فيه ما أمات المبطلون ، وكان وقيد الجوانح غزير الدمعة ، شجيَّ النشيج ، وأصفَقَتْ إليه نسوان مكة وولِدانُها يسخرون منه ويستهزئون به ، والله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، فأكبرت ذلك رجالاتُ قريش فما فلوا له صفاة[5] ، ولا قصفوا قناة ، حتى ضرب الحق بجِرانه[6] ، وألقي بركه ، ورست أوتاده . فلما

---

١ ـ يقال : «مات فلان بين سحري ونحري» أي وهو مستند إلى صدري .
٢ ـ اكديتم : بخلتم في العطاء .
٣ ـ ونيتم : تباطأتم .
٤ ـ المملق : الفقير المحتاج .
٥ ـ الصفاة : الحصى .
٦ ـ الجران : مقدم العنق . وضرب الحق بجرانه : ثبت واستقر .

قبض الله بنيّه ضرب الشيطان رواقه ، ومدّ طنبه[7] ؛ ونصب حبائله ، وأجلب بخيله ورجله ؛ فقام الصّدّيق حاسراً مشمّراً ، فردَّ نشرَ الإسلام على غرّه وأقام أودَه بثقافه ، فابذعرَّ[8] النفاق بوطئه[9] ، وانتاش الناس بعدله ، حتى أراح الحقَّ على أهله ، وحقَن الدماءَ في أُهُبِها[10] ، ثم أتته منيته ، فسدّ ثلمته نظيره في المرحمة ، وشقيقه في المعدلة ؛ ذلك ابن الخطاب ، لله درُّ أم حفَلَت له ودرّت عليه ! ففتح الفتوح ، وشرّد الشرك ، وبعج الأرض فقاءت[11] أُكلُها ، ولفظت خباها ، ترأمه[12] ويأباها ، وتريده ويصدِف عنها ، ثم تركها كما صحبها ، فأروني ما ترتابون ؟ وأي يَومَيْ أبي تنقمون ؟ أيومَ إقامته إذ عدل فيكم ، أم يومَ ظعنه إذ نظر لكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

● خرجت عائشة باكية يوم مقتل عثمان وهي تقول : قُتل عثمان مظلوماً ! فقال لها عمار : أنت بالأمس تحرِّضين عليه ، واليوم تبكين عليه ! .

وقالت عائشة في قتلة عثمان : قتل الله مُذَمَّماً بسعيه على عثمان ـ تريد محمداً أخاها ـ وأهرق دم ابن بديل على ضلالته ، وساق إلى أعْيَن بني تميم هواناً في بيته ، ورمى الأشتر بسهمٍ من سهامه لا يشوى . قال العتبي : فما منهم أحد إلا أدركته دعوة عائشة .

● قال أبو الحسن : ذُكِر عليٌّ عند عائشة فقالت : ما رأيت رجلاً أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منه ، ولا رأيت امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته .

● وقالت عائشة : رَوُّوا أولادكم الشعر تعذُبْ ألسنتُهم .

● ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وهاجر أصحابه ، مسَّهم وباء المدينة ، فمرض أبو بكر وبلال . قالت عائشة : فدخلت عليهما فقلت : يا

---

٧ ـ الطنب : الحبل الطويل .
٨ ـ ابذعر النفاق : اختفى وانعدم .
٩ ـ بوطئه : بمجيئه .
١٠ ـ الأهب : جمع إهاب وهو الجلد .
١١ ـ قاءت : ألقت .
١٢ ـ ترأمه : تعطف عليه وتحضنه .

أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال ، كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذتْه الحمّى يقول :

كـلُّ امـرىءٍ مصبَّحٌ في أهله والمـوتُ أدنى من شِراكِ نَعْله

قالت : وكان بلال إذا أقلعتْ عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليلُ
وهل أرِدن يوماً مياه مجنّةٍ وهل يَبدُوَنْ لي شامة وطفيلُ

قالت عائشة : وكان عامر بن فهيرة يقول :

وقـد رأيتُ الموتَ قبـل ذوقِـهِ إنَّ الجبـان حتفُـهُ من فـوقِـهِ
كـالثـور يَحْمى جلدَه بـروْقـهِ[1]

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته : فقال : أللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبِّنا مكة وأشدّ ، وصححها ، وبارك لنا في صاعِها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحفة[2] .

● روت عائشة عن رسول الله ﷺأنه قال : « كل شراب أسكر فهو حرام » .

● كانت سويداء لبعض الأنصار تختلف إلى عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها ، وربما دخل النبي ﷺ على عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعاً ؛ ثم إن النبي ﷺ فقدها ، فقال : يا عائشة ما فعلت السويداء ؟ قالت له : إنها مريضة ! فجاءها النبي ﷺ يعودُها ، فوجدها في الموت ؛ فقال لأهلها : إذا توفيت فآذنونني. فلما توفيت آذنوه ، فشهدها وصلى عليها وقال : أللهم إنها كانت حريصة على أن تُضحكني ، فأضحِكْها فرحاً .

● ذكر رجل من أهل المدينة أنّ ابن أبي عتيق ـ وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـ دخل على عائشة أم المؤمنين ـ وهي عمتُه ـ

١ ـ الروق من الثيران والخيل: الحسن الخلق يعجب الناظر .
٢ ـ الجحفة: بقية الماء في جوانب الحوض .

فوضع رأسه في حجرها ـ أو على ركبتها ـ ثم رفع عقيرته يتغنى .

ومُقَيَّـر حَجل جَـرَرْت بـرجلِهِ بعدَ الهـدوّ لـه قـوائم أربـعُ
فاطرَبْ زمانَ اللهو من زمن الصِّبا وانـزِعْ إذا قالـوا أبى لا ينزِعُ
فليـأتينَّ عليـك يـومـاً مَـرّة يبكي عليك مُقَنّعاً لا تسمـعُ

قالت عائشة : يا بُنيّ ، فاتّقِ ذلك اليوم .

● كان في المدينة في الصدر الأول مغنٍّ يقال له قند ، وهو مولى سعد بن أبي وقاص ، وكانت عائشة رضي الله عنها تستظرفه ، فضربه سعد ، فحلفت عائشة لا تكلّمه حتى يرضى عنه قند ، فدخل عليه سعد وهو وجِعٌ من ضربه ، فاسترضاه ، فرضي عنه ، وكلّمته عائشة .

● قالت عائشة رضي الله عنها : النكاح رقٌّ ؛ فلينظر أحدُكم عند من يُرِقُّ كريمته .

● كان بهلول المجنون[1] يتشيّع ، فقيل له : أشتُم فاطمة وأعطيك درهماً ! فقال : بل أشتم عائشة وأعطني نصف درهم ! .

● قال عليه الصلاة والسلام لعائشة : « ما لي أراكِ شعثاء ، مرهاءَ ، سلتاء ؟ » .

قالت : يا رسول الله ، أولسْنا من العرب ؟ .

قال : بلى ، ربما أُنْسِيَتِ العرب الكلمة فيُعلمُنيها جبريل .

الشعثاء : التي لا تدهن . والمرهاء : التي لا تكتحل . والسلتاء : التي لا تختضب.

● من حديث عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي ﷺ قال : خلقَ الله الملائكةَ من نور ، والجانَّ من نار ، وآدم من تراب .

● دخل أبو بكر على عائشة وهي تشكو ، ويهودية ترقيها ، فقال لها : أرقيها بكتاب الله .

---

١ ـ هو بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب: من عقلاء المجانين. له أخبار ونوادر وشعر. ولد ونشأ في الكوفة، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه. كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون (الأعلام[2] ٧٧).

يوم الجمل

أبو اليقظان قال : قدم طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعائشة أم المؤمنين البصرة ؛ فتلقاهم الناس بأعلى المِربد ، حتى لو رموا بحجر ما وقع إلا على رأس إنسان ؛ فتكلم طلحة ، وتكلمت عائشة وكثر اللغط ، فجعل طلحة يقول : أيها الناس ، أنصتوا ! وجعلوا يُرهِجُون ولا ينصتون ، فقال : أف ! أف ! فراشُ نار وذُبابُ طمع ! .

وكان عثمان بن حنيف الأنصاري عامل عليّ بن أبي طالب على البصرة ، فخرج إليهم في رجاله ومن معه ؛ فتواقفوا حتى زالت الشمس ، ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً : أن يكفوا عن القتال حتى يقدم عليٌّ بن أبي طالب ، ولعثمان ابن حنيف دار الإمارة ، والمسجد الجامع ، وبيت المال ؛ فكفُّوا .

ووجه علي بن أبي طالب الحسن ابنَه ، وعمار بن ياسر ، إلى أهل الكوفة يستنفرانهم ، فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة ؛ فقال عمار : أما والله إني لأعلم أنها زوجتُه في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعوها .

وخرج علي في أربعة آلاف من أهل المدينة ، فيهم ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبي ﷺ . وراية علي مع ابنه محمد بن الحنفية ، وعلى ميمنته الحسن ، وعلى ميسرته الحسين ، وعلى الخيل عمار بن ياسر ، وعلى الرجَّالة محمد بن أبي بكر ، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس ؛ ولواء طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام ، وعلى الخيل طلحة بن عبيد الله وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير ؛ فالتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة يوم الخميس ، وكانت الوقعة يوم الجمعة .

وقالوا : لما قدم علي بن أبي طالب البصرة ، قال لابن عباس : آئت الزبير ولا تأت طلحة ؛ فإن الزبير ألين ، وأنت تجد طلحة كالثور عاقصاً بقرنه يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ؛ فأقرئه السلام وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتَني بالحجاز ، وأنكرتني بالعراق ! فما عدا ما بدا ؟ .

قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته ، فقال : قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودمُ خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأُمٌّ مبرورة ، ومشاورة العشيرة ، ونشر المصاحف ، نُحِلُّ ما أَحَلَّتْ ، ونُحرِّمُ ما حَرَّمَتْ .

وقال علي بن أبي طالب : ما زال الزبيرُ رجلاً منا أهلَ البيت حتى أدركه ابنُه عبد الله فلفته عنا .

وقال طلحة لأهل البصرة وسألوه عن بيعة علي ، فقال : أَدْخَلوني في حَشٍّ ثم وضعوا اللجَّ على قَفَيَّ فقالوا بايع وإلا قتلناك . قوله اللج : يريد السيف ، وقوله قفيٍ : لغة طي ، وكانت أمه طائية .

وخطبت عائشة أهل البصرة يوم الجمل فقالت : أيها الناس ، صه صه ! .

فكأنما قُطعت الألسُن في الأفواه . ثم قالت : إن لي عليكم حرمةَ الأمومة ، وحقَّ الموعظة : لا يتّهمني إلا من عصى ربَّه ؛ ومات رسول الله ﷺ بين سَحْري ونحرِي ؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة ، [له] ادّخرني ربي وسلّمني من كل بُضع ، وبي ميز بين منافقكم ومؤمنكم . وبي أرخص لكم في صعيد الأبواء ؛ ثم أبي ثالثُ ثلاثة من المؤمنين ، وثاني اثنين في الغار ، وأول من سُمِّي صِدِّيقاً ، مضى رسول الله ﷺ راضياً عنه ، وطوّقه طوْقَ الإمامة ؛ ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بطرفيه ، ورتق لكم أثناءه ، فوقم النفاق ، وأغاض نبع الردة وأطفأ ما حشّت يهود ؛ وأنتم يومئذ جحْظُ العيون ، تنظرون ، وتسمعون الصيحة ، فرأب الثّأى ، وأوْذم العَطِلَة، وانتاش من الهوّة ، وآجتحى دفينَ الداء ، حتى أعطن الوارد ، وأورد الصادر ، وعلَّ الناهل ، فقبضه الله واطئاً على هامات النفاق مذكياً نار الحرب للمشركين ، فانتظمت طاعتكم بحبله ، ثم ولَّى أمركم رجلاً مُرعياً إذا رُكن إليه ، بعيد ما بين اللابتين ، عُرَكة للأذاة بجنبه ، يقظان الليل في نصرة الإسلام ؛ فسلك مسلك السابقة ، ففرق شمل الفتنة وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نصْب المسألة عن مسيري هذا ، لم ألتمس إثماً ، ولم أُوَرِّث فتنة أُوطئكموها ، أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً وإعذاراً وإنذاراً ، وأسأل الله أن يُصلي على محمد ، وأن يخلفه فيكم

بأفضل خلافة المرسلين .

وكتبت أُمُّ سلمة زوج النبي ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين إذ عزمتْ على الخروج إلى الجمل :

من أم سلمة زوج النبي ﷺ ، إلى عائشة أم المؤمنين : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو : أما بعد ، إنك سُدَّةٌ بين رسول الله ﷺ وأمته ، وحجاب مضروب على حرمته ، قد جمع القرآن ذَيْلك فلا تَنْدَحيه وسكّر خفارتك فلا تبتذليها . فالله من وراء هذه الأمة ، ولو علم رسول الله ﷺ أن النساء يحتملن الجهاد عهد إليك ، أما علمت أنه قد نهاك عن الفَراطة في البلاد فإن عمود الدين لا يثبتُ بالنساء إن مال ، ولا برُأب بهن إن انصدع ؟ جهاد النساء : غض الأطراف ، وضم الذيول ، وقِصر الوَهازة ، ما كنتِ قائلة لرسول الله ﷺ لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصّة قعوداً من منهل إلى منهل ؟ وغداً تَرِدين على رسول الله ﷺ ؛ وأقسم لو قيل لي : يا أُمَّ سلمة آدخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله ﷺ هاتكةً حجاباً ضربه عليَّ فاجعليه سِترك ، ووِقاعَة البيت حِصنَك ؛ فإنك أنصحُ ما تكونين لهذه الأمة ما قعدْتِ عن نصرتهم ؛ ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشْتني نهش الرقشاء المطرقة . والسلام .

فأجابتها عائشة :

من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فما أقْبلَني لوعْظِك ، وأَعْرَفني لحق نصيحتك ، وما أنا بمعتمرة بعد تعريج ، ولنعم المطلعُ مطلعٌ فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين ، فإن أقْعُدْ ففي غير حرج ، وإن أمض فإلى ما لا غنى بي عن الازدياد منه ، والسلام .

وكتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان إذ قدمت البصرة :

من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإن أباك كان رأساً في الجاهلية ، وسيدا في الإسلام وإنك من أبيك بمنزلة المصلّي من السابق ، يقال : كاد أو لحق ، وقد بلغك الذي

كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان ؛ ونحن قادمون عليك ، والعيان أشفى لك من الخبر . فإذا أتاك كتابي هذا فثبِّط الناس عن علي بن أبي طالب ، وكن مكانك حتى يأتيك أمري ، والسلام .

فكتب إليها :

من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين ؛ سلام عليك ؛ أما بعد ؛ فإنك أُمرتِ بأمر وأُمرْنا بغيره : أُمرت أن تقرّي في بيتك ، وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة : فتركت ما أُمِرتْ به ؛ وكتبت تنهيننا عما أُمرنا به ، والسلام .

وخطب علي رضي الله عنه بأهل الكوفة يوم الجمل إذا أقبلوا إليه مع الحسن بن علي ، فقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ؛ أما بعد ؛ فإن الله بعث محمداً ﷺ إلى الثقلين كافة ، والناسُ في اختلاف ، والعرب بشرِّ المنازل ، مستضعَفون لما بهم ، فرأب الله به الثأي ، وَلأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمّن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة المُوغرة للقلوب ، والضغائن المُشحنة للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيُه . مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبُه ، كريماً عند الله نُزُله ؛فيا لها مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الأقربين ، ووليَ أبو بكر ، فسار فينا بسيرة رِضا ، رضيَ بها المسلمون ، ثم وليَ عمر ، فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما ، ثم ولي عثمان ، فنال منكم ونلتم منه ، ثم كان من أمره ما كان ، فأتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقلتم : لو بايعتَنا ! فقلت : لا أفعل ، وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم كفي فجذبتموها ، وقلتم لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ، وتداككتم عليَّ تداكُك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتليَّ وأن بعضكم قاتلٌ بعضاً فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم ما لبث أن استأذناني إلى العمرة ، فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين ، وفعلا بها الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست بدون مَن مضى . ولو أشاء أن أقول لقلت: أللهم إنهما قطعا قرابتي ، ونكثا بيعتي وألّبا عليَّ عدوِّي ؛ أللهم

فلا تُحْكِم لهما ما أبرما ، وأرِهِما المساءة فيما عملا وأمّلا ! .

وأملى علي بن محمد عن مَسلمة بن محارب ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي حرب ، عن أبي الأسود عن أبيه ، قال : خرجت مع عمران بن حصين وعثمان بن حنيف إلى عائشة فقلنا : يا أُمّ المؤمنين ، أخبرينا عن مسيرك هذا : عهدٌ عَهِدَه إليك رسول الله ﷺ ، أم رأي رأيته ؟ قالت : بل رأيٌ رأيتُه حين قُتل عثمان بن عفان ، إنا نقمنا عليه ضربة بالسوط ، ومواضع من الحِمى حماها ، وإمرة سعيد والوليد ، فعدوتم عليه فاستحللتم منه الثلاث الحُرَم : حرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام ؛ بعد أن مُصتموه كما يُماص الإناء فغضبنا لكم من سوط عثمان ؛ ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟! قلنا : ما أنت وسيفنا وسوط عثمان ، وأنت حبيسُ رسول الله ﷺ ؟ أمرك أن تَقَرّي في بيتك ، فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض ! قالت : وهل أحد يقاتلني أو يقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومن يفعل ذلك ؟ هل أنت مبلغ عني يا عمران ؟ قال : لست مبلغاً عنك حرفاً واحداً . قلت : لكنني مُبلِّغ عنك ، فهات ما شئت قالت: أللهم اقتل مذمماً قِصاصاً بعثمان، وآرم الأشتر بسهم من سهامك لا يشوى، وأدرك عماراً بِخَفَره بعثمان.

أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عبد الله بن إدريس عن حصين عن الأحنف بن قيس ، قال قدمنا المدينة ونحن نريد الحج ، فانطلقت فأتيت طلحة والزبير ، فقلت : إني لا أرى هذا إلا مقتولاً ، فمن تأمراني به كما ترضيانه لي ؟ قالا : نأمرك بعليٍّ . قلت : فتأمراني به وترضيانه لي ؟ قالا : نعم . قال : ثم انطلقت حتى أتيت مكة ، فبينما نحن بها إذ أتانا قتل عثمان ، وبها عائشة أم المؤمنين فانطلقت إليها فقلت : من تأمريني أن أبايع ؟ قالت : علي ابن أبي طالب . قلت : أتأمريني به وترضَيْنه لي ؟ قالت : نعم . قال : فمررت على عليّ بالمدينة فبايعته ، ثم رجعت إلى البصرة وأنا أرى أن الأمر قد استقام ، فما راعنا إلا قدوم عائشة أمِّ المؤمنين ، وطلحة والزبير ، قد نزلوا جانب الخريبة ، قال : فقلت : ما جاء بهم ؟ [قالوا] : قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان : إنه قتل مظلوماً . قال : فأتاني أفظع أمر لم يأتني

قط ؛ قلت : إن خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ لشديد ! وإن قتال ابن عم رسول الله ﷺ بعد أن أمروني ببيعته لشديد ، قال : فلما أتيتهم قالوا : جئناك نستصرخك على دم عثمان ، قتل مظلوماً ! قال : فقلت : يا أم المؤمنين ، أَنشدُك الله أقلت لك : من تأمريني به وترضَيْنه لي ؟ فقلت : عليّ ! قالت بلى ، ولكنه بدل . قلت : يا زبير ، يا حواريّ رسول الله ، ويا طلحة ، نشدْتكما بالله ، أقلت لكما من تأمراني به وتَرضَيانه لي ؟ فقلتما : عليّ ! قالا : بلى ، ولكنه بدَّل . قال : والله لا أقاتلكم ومعكم أُمُّ المؤمنين ، ولا أقاتل علياً ابن عم رسول الله ﷺ ولكن اختاروا مني إحدى ثلاث خصال : إما أن تفتحوا لي باب الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضيَ الله من أمره ما يقضي وإما أن ألحق بمكة فأكون بها ، أو أعتزل فأكون قريباً . قالوا : نأتمر ثم نرسل إليك قال : فائتمَروا . وقالوا : نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والخاذل ، أو يلحق بمكة فيفحشكم في قريش ويخبرهم بأخباركم ! اجعلوه ههنا قريباً حيث تنظرون إليه . فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين ، واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بني تميم .

مقتل طلحة

أبو الحسن قال : كانت وقعة الجمل يوم الجمعة في النصف من جمادى الأخرة ، التقوا فكان أول مصروع فينا طلحة بن عبيد الله ، أتاه سهم غَرْب فأصاب ركبته فكان إذا أمسكوه فتر الدم ، وإذا تركوه انفجر ؛ فقال لهم : أتركوه ، فإنما هو سهم أرسله الله ! .

حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحة يوم الجمل :

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ لَمَّا طلبت رضا بني حَزْمٍ برغمِي

اللهم خذ مني لعثمان حتى يرضى ! .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : لما رأى مروان بن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيد الله ، قال : لا أنتظر بعد اليوم بثأري في عثمان ! فانتزع له سهماً فقتله .

ومن حديث سفيان الثوري قال : لما انقضى يوم الجمل خرج عليُّ بن

أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحة بن عبيد الله في بطن واد متعفرا، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول: أعْزِزْ عليَّ يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية، إنا لله وإنا إليه راجعون! أشقيت نفسي، وقتلت معشري! إلى الله أشكو عجَري وبُجَري! ثم قال: والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿ ونَزَعْنا ما في صُدورِهِمْ مِن غِلٍّ إخْواناً على سُرُرٍ مُتقابلين ﴾. وإذا لم نكن نحن فمن هم؟.

أبو إدريس عن ليث بن طلحة عن مطرف أن علي بن أبي طالب أجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه!.

ومن حديث سفيان، أن عائشة ابنة طلحة كانت ترى في نومها طلحة، وذلك بعد موته بعشرين يوماً؛ فكان يقول لها: يا بنية، أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني! فلما آنتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشته، فوجدته صحيحاً كما دفن لم تنحسر له شعرة، وقد اخضر جنبه كالسلق من الماء الذي كان يسيل عليه، فلفته في الملاحف واشترت له عرصة بالبصرة فدفنته فيها وبَنَت حوله مسجداً. قال: فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تُقْبِل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها، فلم يزلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكاً أذفر.

ومن حديث الخشني قال: لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل، وجدوا في تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة ـ والبهار مزود من جلد عجل.

وقع قوم في طلحة عند عليّ بن أبي طالب، فقال: أما والله لئن قلتم فيه إنه لكما قال الشاعر:

فتى كان يُدْنيه الغِنَى مِن صديقه ... إذا ما هو آستغنَى، ويُبْعِدُهُ الفقْرُ
كأنَّ الثُريَّا عُلِّقتْ في يَمينِه ... وفي خدِّه الشِّعْرَى وفي الآخرِ البدرُ

مقتل الزبير بن العوّام

شريك عن الأسود بن قيس قال: حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصاً، فنوّه به عليٌّ: أبا عبد الله، أتذكر يوماً أتانا

النبي ﷺ وأنا أناجيك فقال : أتناجيه ، والله ليقاتلنَّك وهوظالم لك ! قال : فصرف الزبير وجه دابته وانصرف .

قال أبو الحسين : لما انحاز الزبير يوم الجمل ، مرّ بماء لبني تميم ؛ فقيل للأحنف بن قيس : هذا الزبير قد أقبل . قال : وما أصنع به أن جَمَع بين هذين الغَزِيَّين وترك الناس وأقبل ؟ ـ يريد بالغزيّين : المعسكرين ـ وفي مجلسه عمرو بن جُرْموز المجاشعي ؛ فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادي السباع نائماً فقتله، وأقبل برأسه إلى علي بنِ أبي طالب فقال عليّ: أبشِرهُ بالنار ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : بشروا قاتل الزبير بالنار ! فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول :

أتيتُ عليّاً بِرأسِ الزُّبَيْرِ ... وكنتُ أَحْسِبُهَا زُلْفَهْ
فبشَّرَ بالنَّارِ قبلَ العِيانِ ... فبِئْسَ بِشارَةُ ذي التُحْفَهْ

ومن حديث ابن أبي شيبة قال : أقبل رجل بسيف الزبير إلى الحسن بن علي فقال : لا حاجة لي به ، أدخلْه إلى أمير المؤمنين ، فدخل به إلى عليّ فناوله إياه وقال : هذا سيف الزبير . فأخذه عليّ ، فنظر إليه ملياً ، ثم قال : رحم الله الزبير ! لطالما فرّجَ الله به الكَرْبَ عن وجه رسول الله ﷺ .

وقالت امرأة الزبير ترثيه :

غدرَ ابنُ جُرْموزٍ بفارس بُهْمةٍ ... يومَ الهَياج وكان غيْرَ مُعَرَّدِ
يا عمرُو لو نبَّهْتَهُ لوجَدْتَهُ ... لا طائِشاً رعِشَ الجنانِ ولا الْيَدِ
ثكِلَتْكَ أمُّك إن قتلْتَ لمسْلِماً ... حلَّتْ عليك عقوبة المُتعمِّدِ

وقال جرير ينعي على ابن مُجاشع قتل الزبير رضي الله تعالى عنه :

إني تُذَكِّرُني الزبيْرَ حمامَة ... تدْعُو بِبَطْنِ الوادِيَيْنِ هديلَا
قالت قريشٌ ما أذلَّ مُجاشِعاً ... جاراً وأكْرَم ذا القتيلَ قتيلا
لو كنت حُرّاً يا ابنَ قَين مُجاشِعٍ ... شيَّعْت ضيْفَك فرْسخاً أو ميلا
أفبعْدَ قتْلِكم خليلَ مُحَمَّدٍ ... تَرْجو القُيون مَع الرسولِ سبيلَا

هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : دعاني أبي يوم الجمل فقمت عن يمينه ، فقال : إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وما أراني إلا سأُقتل مظلوماً ، وإن أكبر همي دَيْني ، فبعْ مالي ثم آقضِ ديني ، فإن فضل شيء فثلثه لولدك ، وإن عجزتَ عن شيء يا بُني فاستعن مولاي . قلت : ومن مولاك يا أبت ؟ قال : الله ! .

قال عبدُ الله بن الزبير : فوالله ما بقيتُ بعد ذلك في كربة من دينه أو عسرة إلا قلت : يا مولى الزبير ، آقض عنه دينه ! فيقضيه : قال : فقتل الزبير ونظرت في دَيْنه ، فإذا هو ألف ألف ومائة ألف ، قال : فبعت ضيعة له بالغابة بألف ألف وستمائة ألف ، ثم ناديت : من كان له قِبَلَ الزبير شيء فليأتنا نقضِه . فلما قضيت دينه أتاني إخوتي فقالوا : آقسِمْ بيننا ميراثنا . قلت : والله لا أقسم حتى أُناديَ أربع سنين بالمواسم : من كان له على الزبير شيءٌ فليأتنا نقْضِه . فلما مضت الأربعُ سنين أخذت الثلث لولدي ؛ ثم قسمت الباقي . فصار لكل امرأة من نسائه ـ وكان له أربع نسوة ـ في ربع الثمن ألف ألف ومائة ألف ، فجميع ما ترك مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف .

ومن حديث ابن أبي شيبة قال : كان عليٌّ يخرج مناديه يوم الجمل يقول : لا يُسْلَبَنَّ قتيل ، ولا يُتَّبعُ مُدْبر ، ولا يُجهَزُ على جريح .

قال : وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف في عنقه ؛ فجعل ينشره بين الصفين ويناشد الناس في دمائهم ، إذ أتاه سهمٌ فقتله وهو في تلك الحال ، لا يدري من قتله .

وقال علي بن أبي طالب يوم الجمل للأشتر ـ وهو مالك بن الحرث ـ وكان على الميمنة : آحمل . فحملَ فكشف مَن بإزائه ، وقال لهاشم بن عقبة أحد بني زهرة بن كلاب ، وكان على الميسرة ، آحْمِل . فحمل فكشف من بإزائه ؛ فقال علي لأصحابه : كيف رأيتم ميسرتي وميمنتي؟

ومن حديث الجمل

الخشني عن أبي حاتم السجستاني قال : أنشدني الأصمعي عن رجل شهد الجمل يقول :

شَهِدْتُ الحرُوب وَشَيَّبْنني   فلم تَرَ عيْني كيَوْمِ الجَمَلْ
أضرّ على مُؤْمِنٍ فِتْنة   وأفْتك منهُ لخرْقِ بطلْ
فليْت الظَعينَةَ فِي بيْتِها   وليْتَكَ عسْكَرُ لم ترتحِلْ

وكان جملها يدعى عسكراً ، حملها عليه يَعْلى بن مُنْبه ، وهبه لعائشة وجعل له هودجاً من حديد ، وجهز من ماله خمسمائة فارس بأسلحتهم وأزودتهم وكان أكثر أهل البصرة مالاً . وكان بن أبي طالب يقول : بُليت بأنضّ الناس ، وأنطق الناس وأطوع الناس في الناس ، يريد بأنضّ الناس : يعلى بن مُنبه ، وكان أكثر الناس ناضاً ، ويريد بأنطق الناس : طلحة بن عبيد الله ، وأطوع الناس في الناس : عائشة أم المؤمنين .

أبو بكر بن أبي شيبة عن مخلد بن عبيد عن التميمي قال : كانت راية عليّ يومَ الجمل سوداء ، وراية أهل البصرة كالجمل .

الأعمش عن رجل سماه قال : كنت أرى علياً يوم الجمل يحمل فيضرب بسيفه حتى ينثني ، ثم يرجع فيقول : لا تلوموني ولوموا هذا ! ثم يعود ويقوِّمه .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : قال عبد الله بن الزبير : التقيتُ مع الأشتر يوم الجمل ، فما ضربته حتى ضربني خمسة أو ستة ، ثم جرَّ برجلي فألقاني في الخندق ، وقال : والله لولا قُرْبُك من رسول الله ﷺ ما اجتمع فيك عضوٌ إلى آخر .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : أعطت عائشة الذي بشَّرها بحياة ابن الزبير إذ التقى مع الأشتر يوم الجمل ، أربعة آلاف .

سعيد عن قتادة قال : قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً ، منهم ثمانمائة من بني ضبة .

وقالت عائشة : ما أنكرت رأس جملي حتى فقدت أصوات بني عديّ .

وقتل من أصحاب عليّ خمسمائة رجل ، لم يعرف منهم إلا عِلْباء بن الهيثم وهند الجملي ، قتلهما اليثربي ، وأنشأ يقول :

إني لِمَنْ يَجْهَلُنِي آبنُ اليَثْرِبِيْ قتلْتُ علبـاءَ وهِنـدَ الجَمَـل

عبد الله بن عون عن أبي رجاء قال : لقد رأيت الجمل حينئذ وهو كظهر القنفذ من النبل ، ورجل من بني ضبة آخذ بخُطامه وهو يقول :

نَحْنُ بَنُو ضبَّةَ أَصحابُ الجمَلْ الموْتُ أَحْلَى عِندنا مِنَ العَسَلْ

نَنْعى آبن عفَّـان بأَطـرافِ الأَسَلْ

غنْدَر قال : حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة وكان مع علي بن أبي طالب يوم الجمل ـ والحارث بن سويد ـ وكان مع طلحة والزبير ـ وتذاكرا وقعة الجمل ؛ فقال الحارث بن سويد : والله ما رأيت مثل يوم الجمل لقد أشرعوا رماحهم في صدورنا ، وأشرعنا رماحنا في صدورهم ولو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت ؛ يقول هؤلاء : لا إلّه إلا الله والله أكبر ويقول هؤلاء : لا إلّه إلا الله والله أكبر ، فوالله لوددت أني لم أشهد ذلك اليوم وأني أعمى مقطوعُ اليدين والرجلين .

وقال عبد الله بن سلمة : والله ما يسرني أني غبت عن ذلك اليوم ، ولا عن مشهدٍ شهده عليٌّ بن أبي طالب ، بحُمْر النَّعم .

علي بن عاصم عن حصين قال : حدثني أبو جُميلة البكاء قال : إني لفي الصف مع علي بن أبي طالب . إذ عُقر بأم المؤمنين جمَلُها ، فرأيت محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين الصفين أيهما يسبِقُ إليها ، فقطعا عارضة الرحل واحتملاها في هودجها .

ومن حديث الشعبي قال : من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعةً فكذِّبْه : كان عليٌّ وعمار في ناحية ، وطلحة والزبير في ناحية .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر

ابن أبي المغيرة عن ابن أبْزَى قال : إنتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج ، فقال : يا أم المؤمنين ، أنشدك بالله ، أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان ، فقلت لك : إن عثمان قد قتل فما تأمرينني ؟ فقلتِ لي آلزَمْ علياً ! فوالله ما غير ولا بدل ، فسكتت ثم أعاد عليها فسكتت ، ثلاث مرات فقال : أعقروا الجمل ! فعقروه ، فنزلتُ أنا وأخوها محمد بن أبي بكر فاحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدي عليّ فسُرّ به ، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل .

وقالوا : لما كان يومَ الجمل ما كان وظفر علي بن أبي طالب حتى دنا من هودج عائشة ، كلمها بكلام ، فأجابته ، مَلَكْتَ فأَسْجِحْ ! فجهزها عليّ بأحسن الجهاز ، وبعث معها أربعين امرأة ، وقال بعضهم : سبعين امرأة ، حتى قدمت المدينة .

عكرمة عن ابن عباس قال : لما انقضى أمرُ الجمل ، دعا علي بن أبي طالب بآجُرَّتين فعلاهما ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أنصارَ المرأة ، وأصحاب البهيمة ، رغا فجئتم ، وعُقِر فهربتم ، نزلتم شرَّ بلاد ، [أقربها من الماء] وأبعدَها من السماء ، بها مغيض كل ماء ، ولها شر أسماء ، هي البصرة ، والبصيرة ، والمؤتفكة ، وتدمر . أين ابنُ عباس ؟ قال : فدعيتُ له من كل ناحية ، فأقبلتُ إليه ، فقال : إيتِ هذه المرأة فلترجع إلى بيتها التي أمرها الله أن تقرّ فيه . قال : فجئت فاستأذنت عليها ، فلم تأذن لي ، فدخلت بلا إذن ، ومددتُ يدي إلى وسادة في البيت فجلست عليها ، فقالت : تالله يابن عباس ما رأيتُ مثلك ، تدخل بيتنا بلا إذننا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا ! فقلتُ : والله ما هو بيتُكِ ، وما بيتُكِ إلا الذي أمَركِ الله أن تقَرّي فيه فلم تفعلي ! إنّ أمير المؤمنين يأمُرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه . قالت : رحم الله أمير المؤمنين ذاك : عمرَ بن الخطاب ! قلت : نعم ، وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . قالت : أبيتُ أبيت ! قلت : ما كان إباؤكِ إلا فواقَ ناقة بكيئة ، ثم صرتِ ما تُحلين ولا تُمرِّين ، ولا تأمرين ولو تنهين ! قال : فبكت حتى علا نشيجها ، ثم قالت : نعم أرجع ، فإنّ أبغض البلدان إليّ بلدٌ أنتم فيه ! فقلت : أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك

للمؤمنين أمّاً ، وجعلنا أباك لهم صدّيقاً . قالت : أتمنّ علي برسول الله يابن عباس ؟ قلت : نعم نمنّ عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننتِ به علينا ! .

قال ابن عباس : فأتيت علياً فأخبرته ، فقبّل بين عيني وقال : بأبِي ذُرِّيَّة بعضُها من بعض والله سميع عليم .

ومن حديث ابن أبي شيبة عن ابن فُضيل عن عطاء بن السائب : أنَّ قاضياً من قضاة أهل الشام أتى عمرَ بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت رؤيا أفظعتْني . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين . قال : فمَعَ أيهما كنت ؟ قال : مع القمر على الشمس . قال عمر بن الخطاب ﴿ وجعلْنا الليلَ والنَّهارَ آيتيْنِ فمحَوْنا آيَةَ الليلِ وجعلْنا آيَةَ النهارَ مُبْصِرةً ﴾ . فانطلِق ، فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً . قال : فبلغني أنه قُتِل مع معاوية بصِفِّين .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : أقْبل سليمان بن صُرَد ، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ ، إلى عليّ بن أبي طالب بعد وقعة الجمل ؛ فقال له : تَنَأنَأتَ وتزحزحت وتربصت ، فكيف رأيت الله صنع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشَّوْط بَطِين ، وقد بقي من الأمور ما تعرف به عدوَّك من صديقك .

وكتب عليٌّ بن أبي طالب الأشعث بن قيس بعد الجمل ، وكان والياً لعثمان على أذربيجان :

سلام عليك ؛ أما بعد ، فلولا هنات كنّ منك لكنت أنت المقدَّم في هذا الأمر قبْل الناس ، ولعل أمرك يحمل بعضُه بعضاً إن اتقيت الله ، وقد كان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك ، وقد كان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نكثا بيعتي من غير حدث ولا سبب ، وأخرجا أُمّ المؤمنين فساروا إلى البصرة وسرْتُ إليهم فيمن بايعني من المهاجرين والأنصار ، فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا ، فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البُقْيا ، وأمرت أن لا يُذَفَّ على جريح ، ولا يُتْبَع منهزم ، ولا يُسْلَب قتيل ، ومن ألقى سلاحه وأغلق بابه فهو آمن . واعلم أنّ عملك ليس لك بطعْمة ، إنما هو أمانة في عنقك ،

وهو مال من مال الله وأنت من خُزَّاني عليه حتى تُؤدّيه إليَّ إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله .

فلما بلغ الأشعث كتاب عليّ قام فقال:

أيها الناس ؛ إنّ عثمان بنَ عفان ولأني أذربيجان ، فهلك وقد بقِيَتْ في يدي ؛ وقد بايع الناسُ عليّاً ، وطاعتُنا له واجبة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان ، وهو المأمون على ما غاب عن ذلك المجلس ، ثم جلس .

قولهم في أصحاب الجمل

أبو بكر بن أبي شيبة قال : سئل عليّ عن أصحاب الجمل : أمشركون هم ؟ قال : مِن الشرك فرّوا . قال : فمنافقون هم ؟ قال : إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا . قال : فما هم ؟ قال : إخوانُنا بغَوْا علينا ! .

ومرّ علي بقتلى الجمل فقال : أللهم أغفر لنا ولهم ، ومعه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر ؟ فقال أحدهما لصاحبه : أما تسمع ما يقول ؟ قال : آسكت لا يزيدك . وكيع عن مِسْعد عن عبد الله بن رباح عن عمار قال : لا تقولوا : كفَر أهلُ الشام ؛ ولكنَ قولوا : فسَقوا وظلَموا .

وسئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجمل ، فقال : أما والله إنا لنعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتتبعونه أم تتبعونها ! .

وقال عليّ بن أبي طالب يوم الجمل : إن قوماً زعموا أن البغي كان منا عليهم ، وزعمنا أنه منهم علينا ؛ وإنما اقتتلنا على البغي ولم نقتل على التكفير .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : أول ما تكلمتْ به الخوارج يوم الجمل قالوا : ما أحلَّ لنا دماءهم وحرَّم علينا أموالهم ! فقال عليّ : هيَ السّنة في أهل القبلة . قالوا : ما ندري ما هذا ؟ قال : فهذه عائشة رأسُ القوم ، أتتساهمون عليها ؟ قالوا : سبحان الله ! أُمنا . قال : فهي حرام ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه يحرم من أبنائها ما يحرم منها .

قال : ودخلت أمّ أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها : يا أمّ المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلتْ ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وجبتْ لها النار ! قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد ؟ قالت : خذوا بيد عدوّة الله ! .

وماتت عائشة في أيام معاوية وقد قاربت السبعين ؛ وقيل لها : تُدْفَنين مع رسول الله ﷺ؟ قالت: لا، إني أحدثت بعده حدثاً ، فادفنوني مع إخوتي بالبقيع .

وقد كان النبي ﷺ قال لها : يا حُميراء ، كأني بك ينبحك كلاب الحوأب ، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة .

والحوأب : قرية في طريق المدينة إلى البصرة ، وبعض الناس يسمونها الحُوَّب ، بضم الحاء وتثقيل الواو ، وقد زعموا أنَّ الحوأب : ماء في طريق البصرة قال في ذلك بعض الشيعة :

إني أدينُ بحبِّ آلِ محمدٍ ونبي الوصيِّ شهودِهِمْ والغُيّبِ
وأنا البَريءُ من الزُّبَيْر وطلِحة ومِن التي نَبَحتْ كلابِ الحوْأَب

أخبار عليّ ومعاوية

كتب علي بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله ، وكان وجَّهه إلى معاوية في أخذ بَيْعته ، فأقام عنده ثلاثة أشهر يماطله بالبيعة ، فكتب إليه عليّ :

سلامٌ عليك ؛ فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل ، وخيِّره بين حرب مُجْلِية أو سلم مُخزية ، فإن اختار الحرب فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين ، وإن اختار السِّلْمَ فخذ بيْعَته وأقبِل إليّ .

وكتب عليّ إلى معاوية بعد وقعة الجمل:

سلامٌ عليك ؛ أمّا بعد ، فإنّ بيْعتي بالمدينة لزِمتْك وأنت بالشام ؛ لأنه بايعني [القومُ] الذين بايعوا أبا بكر ، وعمرَ ، وعثمان ، على ما بويعوا عليه ؛ فلم يكن للشاهد أن يختارَ ولا للغائب أن يَرُدّ ، وإنّما الشورى للمهاجرين .

عائشة أم هشام حمقاء

كانت عائشة أمّ هشام حَمقاء ، فطلّقها عبد الملك لحمقها ، وولدت هشاماً وهي طالق ، ولم يكن في ولد عبد الملك أكملُ من هشام .

عائشة بنت هشام تقطع رأس عبد الملك

قال أبو الحسن المدائني : كان عبد الملك بن مروان رأى في منامه أن عائشة بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلَقَتْ رأسه فقطعته عشرين قطعة ، فغمّه ذلك ، فأرسل إلى سعيد[1] بن المسيّب فقصّها عليه ، فقال سعيد : تَلد غلاماً يملك عشرين سنة .

عائشة بنت الرشيد تنشط الشعراء

من فواضل نساء عصرها . كانت تنشط الشعراء والأدباء ، فخرج رسول عائشة يوماً إلى الشعراء ، فقال : تُقرئكم سيدتي السلام وتقول : من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار! فقالوا : وما هو؟ فأنشد :

أنيلي نوالاً وجودي لنا ... فقد بلغت نفسي الترقوه

فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال :

وإني لكالدلو في حبِّكم ... هوَيْتُ إذا انقطعت عرقوه

فخرجت له المائة دينار .

عائشة بنت طلحة لا تحتجب من الرجال

هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، من بني تميم بن مرّة ، أمّها أم كلثوم بنت أبي بكر الصدّيق . كانت أديبة ، عالمة بأخبار العرب ، فصيحة ، وهي من أندر نساء عصرها حسناً وجمالاً وهيئةً ومتانة وعفة وأدباً ، كانت لا تحتجب من

---

١ ـ سعيد بن المسيّب (١٣ هـ ـ ٩٤ هـ) : سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه. والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءً . وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمّي راوية عمر. توفي بالمدينة. (طبقات ابن سعد° ٨٨).

الرجال فتجلس وتأذن لهم بالدخول عليها . فقد حدّث ابن اسحاق عن أبيه فقال : دخلتُ على عائشة بنت طلحة وكانت لا تحتجب من الرجل ، تجلس وتأذن كما يأذن الرجل . فعاتبها [زوجها] مصعب في ذلك فقالت : إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم ، فما كنت لأستره ، ووالله ما فيَّ وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد .

وقال أنس بن مالك لعائشة بنت طلحة : إن القوم يريدون أن يدخلوا إليك فينظروا إلى حسنك ؟ قالت : أفلا قلت لي فألبس ثيابي وكانت من أحسن الناس وجهاً في زمنها .

ورآها أبو هريرة فقال : سبحان الله كأنها من الحور العين .

وكانت عائشة تمتنع على مصعب في غالب الأوقات . فدخل عليها يوماً وهي نائمة ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت : نومتي كانت أحبّ إليّ من هذا اللؤلؤ .

وقدُمت عائشة مكة تريد العمرة فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولا يمكنه كلامها حتى خرجت ، فأنشأ يقول :

يا دار أقفر رسمها ... بين المحصّب والحجونِ[1]
أقْوَت وغير آيها ... مرّ الحوادث والسنينِ[2]
يا بُسر إني فاعلمي ... بالله مجتهداً يميني
ما إن صرمت حبالكم ... فَصِلي حبالي أو ذريني

[وبُسرة هي حاضنة عائشة بنت طلحة] .

ولم يزل عمر بن أبي ربيعة ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها ، وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها[3] وهي ترمي الجمار سافرةً ، فنظر إليها فقالت : أما والله ، لقد كنت لهذا منك كارهةً يا فاسق . فقال :

---

١ ـ جبلان بأعلى مكة .
٢ ـ أقوت: خلت. الآي: جمع آية أي الأثر والعلامة .
٣ ـ وافقها: صادفها .

إني وأولُ ما كلفتُ بحبها	عجبٌ وهل في الحبّ من متعجّبِ
نعت النساء فقلت لست بمبصرٍ	شبهاً لها أبداً ولا بمقربِ
فمكثن حيناً ثم قلن توجهتْ	للحج موعدها لقاء الأخشبِ
أقبلتُ أنظر ما زعمنَ وقلن لي	والقلبُ بين مصدِّقٍ ومكذِّبِ
فلقيتها تمشي بها بغلاتُها	ترمي الجمار عشية في موكبِ
غرّاء يعشي الناظرين بياضها	حوراء في غلواء عيش معجبِ
إن التي من أرضها وسمائها	جلبت لحينك ليتها لم تجلبِ

ومن حديث سفيان ، أن عائشة ابنة طلحة كانت ترى في نومها طلحة ، وذلك بعد موته بعشرين يوماً [في وقعة الجمل] ؛ فكان يقول لها : يا بنيّة ، أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني ! فلما انتبهتْ من نومها ؛ جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشته ، فوجدته صحيحاً كما دُفن لم تنحسر له شعرة ، وقد اخضرَّ جنبُه كالسلق من الماء الذي كان يسيل عليه ، فلفّته في الملاحف واشترت له عرصة[1] بالبصرة فدفنته فيها وبنت حوله مسجداً . قال : فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تُقبل بالقارورة من البان[2] فتصبها على قبره حتى تفرغها ، فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكاً أذفر[3] .

ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة فقال : سبحان الله ! ما أحسن ما غذاك أهلُكِ ! والله ما رأيت وجهاً أحسنَ منك ، إلا وجه معاوية على منبر رسول الله ﷺ .

وكان معاوية من أحسن الناس وجهاً .

ونظر ابن أبي ذئب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت :

من اللاءِ لم يحجُجْنَ يَبغينَ حسبةً	ولكن لِيَقتُلْنَ البـريءَ المُغفّـلا

---

١ ـ العرصة: كل بقعة ليس فيها بناء .
٢ ـ البان: ضرب من الشجر معتدل القوام. ورقه ليّن. ويؤخذ من حبّه دهن طيب ويشبّه به القدّ لطوله .
٣ ـ أذفر: طيب الرائحة .

فقال لها : صان الله ذلك الوجه عن النار ! فقيل له : أفتنتْك أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن الحسْن مرحوم .

وقال يونس : أخبرني محمد بن إسحاق ، قال : دخلتُ على عائشة بنت طلحة ، فوجدتها متكئة ولو أن بختية[1] نوّحت خلفها ما ظهرت ! .

وقال السري بن إسماعيل عن الشعبي : إني لفي المسجد نصف النهار ، إذ سمعت باب القصر يُفتح ، فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة ، فقال : يا شعبي اتبعْني . فاتبعته ، فأتى دار موسى بن طلحة ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبي اتبعني . فاتبعته ؛ فإذا امرأة جالسة ، عليها من الحليّ والجواهر ما لم أرَ مثله ، ولهيَ أحسن من الحلي الذي عليها ؛ فقال : يا شعبيّ هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زلتُ من ليلى لدُن طرَّشاربي[2] إلى اليوم أُخفي حبَّها وأداجِنُ
وأحملُ في ليلى لقومٍ ضغينةً وتُحملُ في ليلى عليّ الضغائنُ

هذه عائشة ابنة طلحة ، فقالت له : أما إذ جلوتَني عليه فأحسِنْ إليه ! فقال : يا شعبي رُحْ العشية، [إلى المسجد] فرُحْتُ ، فقال : يا شعبي ، ما ينبغي لمن جُليتْ عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف ، فأمر لي بها ، وبكسوة ، وقارورة غالية[3] ، فقيل للشعبي في ذلك اليوم : كيف الحال ؟ قال : وكيف حال مَن صدَر عن الأمير ببدرة[4] ، وكسوة ، وقارورة غالية ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة .

وقال الحسن بن علي لأمرأته عائشة بنت طلحة : أمرُك بيدك ! فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنتَ حفظه ، فلم أُضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة ، وقد صرفته إليك ! فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

---

١ ـ البختيّة: الناقة .
٢ ـ لدن طرّ شاربي: أي اصبحت راشداً .
٣ ـ الغالية: نوع من الطيب .
٤ ـ البدرة: كميّة عظيمة من المال، وقيل عشرة آلاف درهم .

وقالت امرأة كوفية : دخلت على عائشة بنت طلحة ، فسألت عنها ، فقيل هي مع زوجها في القيطون ؛ فسمعتُ زفيراً ونخيراً لم يُسمعْ قط مثله . ثم خرجتْ وجبينها يتفصّد عرقاً ؛ فقلت لها : ما ظننت أن حرّة تفعل مثل هذا ! فقالت : إن الخيل العتاق تشرب بالصفير .

عائشة بنت عثمان ومعاوية

قدم معاوية المدينة بعد عام المجاعة ، فدخل دار عثمان بن عفان ، فصاحت عائشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباها ؛ فقال معاوية : يا ابنة أخي ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً ، وأظهر لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا ذلّاً تحته حقد ، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكوني ابنةَ عمّ أمير المؤمنين ، خيرٌ من أن تكوني امرأة من عرَض الناس ! .

عائشة بنت معاوية في شعر ابن الرقيات

يمدح ابن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان فيقول :

انت ابن عائشة التي ... فَضلتْ أرومَ نسائها
لم نلتفتِ لِلداتها ... ومضت على غلوائها
ولدت أغرَّ مباركاً ... كالشمس وسط سمائها

عائشة بنت المهدي شاعرة

شاعرة من شواعر العصر العباسي . خرج رسول عائشة بنت المهدي[1] إلى الشعراء وفيهم صريع الغواني[2] ، فقال : تقرئكم سيدتي السلام وتقول لكم : من أجاز هذا البيت فله مائة دينار . فقالوا : هاتِه . فأنشدهم :

أنيلي نوالاً وجودي لنا ... فقد بلغتْ نفسي التَّرْقُوَه

١ ـ ورد في بعض المراجع « بنت الرشيد ».
٢ ـ هو الشاعر مسلم بن الوليد الأنصاري. لقّبه الرشيد بصريع الغواني بعد إنشاده:
وما العيش إلا أن تروح مع الصبا ... وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

فقال صريع :

وأنّي كـالـدّلـو في حُـبِّـكـم هـويتُ إذ انقـطعت عَـرْقُـوَهْ

فأخذ المائة الدينار .

عَزةُ «صاحبة كثيّر» أقدمُ من غنّى الغناءَ الموقّع

كانت عَزّة مولاةً للأنصار ، ومسكنها المدينة ، وهي أقدم من غنّى الغناء الموقّع من النساء بالحجاز ، وماتت قبل جميلة ، وكانت من أجمل النساء وجهاً ، وأحسنهن جسماً . وقيل : سُمّيت «بالميلاء» لأنها كانت مغرمة بالشراب ، وكانت تقول : خُذْ مِلئاً واردُدْ فارغاً . والصحيح أنها سُمّيت الميلاء لميلها في مشيتها .

كيف تعرّف كثيّر على عَزّة ؟

إن أول علاقة كثيّر بعزّة ، أنه خرج من منزله يسوق غنماً إلى الجـار[1] ، فلما كان بالخبث[2] وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهن عن الماء ؛ فقلن لعزّة وهي جارية حين كعب[3] ثدياها : أرشديه إلى الماء ، فأرشدته وأعجبته . فبينما هو يسقي غنمه إذ جاءته عَزّة بدراهم ، فقالت : يقلن لك النسوة : بِعْنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك . فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً وقال :

رُدِّي الـدراهـم وقـولي لـهـنّ إذا رُحتُ بكُنَّ اقتضيتُ حقـي

فلما راح بهنّ ، فقلن له : هذا حقك فَخُذْه ، قال : عَزّة غريمي ، ولست أقتضي حقي إلّا منها ، فمزحْنَ معه وقُلْن : ويحك ! عَزّة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقّك فأَحِلْه على إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرعُ له أداء . فقال : ما أنا بمحيلٍ حقي عنها .

ومضى لوجهه ، ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبه فأنشدهنّ فيها :

---

١ ـ الجار: موضع بينه وبين المدينة يوم وليلة .
٢ ـ الخبث: ماء بين مكة والمدينة .
٣ ـ كعب: نهد وبرز.

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شبّتْ وبان نهُودُها[1]
وقد درّعوها وهي ذات مؤصَّدٍ مجوبٍ ولمّا يلبس الدرعَ ريدُها[2]
قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفّى غريمه وَعَزَّة ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها[3]

فقلن له : أبيت إلاّ عَزّة ، وأبرزْنَها إليه وهي كارهة . ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدَّ من حبّه إيّاها .

أخبارها مع كثيّر :

يذكر كثيّر عَزّة فيقول :

رُهبان مَدْيَنَ والذين عَهِدْهُمْ يبكون من حَذَرِ العذابِ قُعودا
لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خَرّوا لِعَزّة راكعين سجودا

وقيل لكثيّر عزّة : لِم تركتَ الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أعجب ، وماتت عزّة فما أطرب ، ومات ابن أبي ليلى فما أرغب ، يريد عبد العزيز بن مروان .

وقال كثيّر في عزّة :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما تمثَّل لي ليلى بكلِّ سبيل

وقال :

فإنْ تسلُ عنك النفس او تدعِ الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتجلُّدِ

ودخل كثيّر عَزّة على سكينة بنت الحسين ، فقالت له : يا ابن أبي جمعة ، أخبرني عن قولك في عزّة :

وما روضةٌ بالحَزَنِ طيّبةُ الثرى يمُجُّ الندى جثجاثُها وعرارُها[4]
بأطيبَ من أردانِ عزّة موهِنا وقدت بالمندلِ الرطبِ نارُها[5]

---

١ ـ العاتق: الجارية أول ما أدركت .
٢ ـ درّعوها: حجّبوها .
٣ ـ معنّى: معذّب والغريم: العاشق .
٤ ـ العرار: النرجس البرّي .
٥ ـ الأردان: جمع الردن وهو طرف الكمّ الواسع .

ويحك ! وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين ، توقدُ بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّبِ

وسمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثيّر عَزّة ، فقال له : أنشدني بعض ما قلتَ في عزَّة . فأنشده إلى هذا البيت :

هَمَمْتُ وهمَّت، ثم هابت وهِبْتُها حياءً، ومثلي بالحياء حقيقٌ[1]

فقال له عبد الملك : أما والله لولا بيتٌ أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك! قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنك شركتَها معك في الهيبة ، ثم استأثرت بالحياء دونها . قال : فأيّ بيتٍ عفوتَ عني به يا أمير المؤمنين ؟ قال : قولك :

دعوني ولا أريد بها سواها دعوني هائماً فيمنْ يهيمُ

ودخلت عزّة صاحبة كثيّر على أم البنين زوج عبد الملك بن مروان ، فقالت لها : أخبريني عن قول كثيّر :

قضَى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفّى غريمه وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنّى غريمُها

ما هذا الدّينُ الذي طَلَبك به ؟ قالت : وعدتُه بقُبلة فتحرّجتُ منها . قالت : أنجزيها وعليّ إثمها .

عصام خاطبة تمتحن الفتيات

كان عمرو بن حُجْر ملك كندة ـ وهو جدّ امرىء القيس ـ أراد أن يتزوج ابنة عوف بن محلّم الشيباني ، الذي يقال فيه : « لا حُرّ بوادي عوف » لإفراط عزّة ، وهي أم إياس ، وكانت ذات جمال وكمال ؛ فوجّه إليها امرأة يقال لها عصام ، لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها ؛ فدخلت على أمها أمامة ابنة الحرث ، فأعملتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها [فقالت] : أي بنية ، هذه خالتك أتت إليكِ لتنظر إلى بعضِ شأنك ، فلا تستري عنها شيئاً أرادت النظر

---

١ ـ حقيق : جدير .

إليه ، من وجه وخلق ، وناطقيها فيما استنطقتك فيه . فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم تَرَ عينُها مثله قطّ ، بهجة وحسناً وجمالاً ، وإذا هي أكمل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهي تقول : « تركَ الخداعَ من كشفَ القناعَ » فذهبت مثلاً ، ثم أقبلت إلى الحرث ، فقال لها : « ما وراءكِ يا عصامُ » ؟ فأرسلها مثلاً قالت : « صرّح المخض عن الزبد » فذهبت مثلاً . قال . أخبريني قالت : أخبرك صدقاً وحقاً : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ، إن أرسلتْه خلْتَه السلاسل ، وإن مشطتْه قلت عناقيد كرْم جلاها الوابل[1] ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خُطّا بقلم ، أو سُوّدا بحُمَم ، قد تقوّسا على مثل عين العبْهرة[2] التي لم يَرُعْها قانص ، ولم يُذعرها مَسورة[3]، بينهما أنف كحدّ السيف المصقول ، لم يخنسْ به قصر ، ولم يُمعنْ به طول ، حفَّت به وجنتان كالأرجوان ، في بياضٍ محضٍ كالجُمان ، شُقَّ فيه فمٌ كالخاتم ، لذيذ المبسَم ، فيه ثنايا[4] غُرٌ ، ذواتُ أشر ، وأسنان تبدو كالدُر ، وريق كالخمر ، له نشر الروض بالسحَر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يقلّبه به عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد ، يجلبان ريقاً كالشهد ، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ، رُكِّب في صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحماً ، مكتنزان شحماً ، وذراعان ليس فيهما عظمٌ يُحس ، ولا عِرق يُجس ، رُكبَتْ فيهما كفان دقيقٌ قصبُهما ، ليّنٌ عصبُهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركّب الفصوص في حفر المفاصل ، وقد تربّع في صدرها حُقان كأنهما رمانتان ، [يخرقان عليها ثيابَها] من تحته بطنٌ طُوِيَ كطيّ القباطيّ المدمجة ،كسي عُكناً[5] كالقراطيس المدْرجة ، تحيط تلك العُكَن بسرّة كمدهن العاج المجلوّ ، خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لانخزل، تحته كفَلٌ يُقعدها إذا

١ ـ الوابل: المطر الشديد .
٢ ـ العبهرة: ضرب من المها .
٣ ـ القسورة: الأسد .
٤ ـ الثنايا: مقدم الأسنان .
٥ ـ العكن: طيات البطن. واحدتها عكنة .

نهضتْ ، وينهضها إذا قعدت ، كأنه دعِصُ[1] رمل ، لبَّده سقوط الطلّ ، يحمله فخذان لفّاوان ، كأنهما نضيد الجمان ، تحملهما ساقان خدلّجتان كالبردى وُشّيتا بشعر أسود ، كأنه حلق الزرد ، ويحمل ذلك قدمان كحذْو اللسان ، تبارك الله ، مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما ، فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظمٍ أو نثر .

قال : فأرسل إلى أبيها يخطبها .

عقيلة «جارية أبي موسى»

لما عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله وعزل أبا هُريرة عن البحرين وشاطره ماله ، وعزل الحارث بن كعب ابن وهب وشاطره ماله ، دعا أبا موسى فقال له : ما جاريتان بلغني أنهما عندك ، إحداهما تُدعى عقيلة والأخرى من بنات الملوك ؟ قال : أما عقيلة فجاريةٌ بيني وبين الناس ، وأما التي هي من بنات الملوك فإني أردتُ بها غَلاءَ الفِداء . قال : فما جفنتان تعملان عندك ؟ قال : رزقي شاةٌ في كل يوم ، فيُعمل نصفُها غُدوة ونصفها عشية . قال : فما مكيالان بلغني أنهما عندك ؟ قال : أمّا أحدهما فأُوَفّي أهلي به وديني ، وأما الآخر فيتعامل الناس به . قال : إدفعِ لنا عقيلة ، والله إنك لمؤمن لا تغُل[2] أو فاجرٌ مُبلّ[3] ؛ إرجع إلى عملك عاقصاً[4] بقَرنك مكتسعاً[5] بذنبك ؛ والله إن بلغني عنك أمرٌ لم أُعِدْك .

وقال الأحوص يوماً لمعبد : امضِ بنا إلى عقيلة حتى نتحدث إليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها . فمضيا ، فألفيا على بابها معاذاً الأنصاري وابن صياد ؛ فاستأذنوا عليها ، فأذنت لهم إلاّ الأحوص ، فإنها قالت : نحن على الأحوص غِضاب ، فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم

---

١ ـ الدعص: الكثيب .

٢ ـ تغل: تحقد .

٣ ـ بلّ يده: أعطاه .

٤ ـ العقصة من القرن وغيره: عقدته .

٥ ـ اكتسعت الخيل بأذنابها: ادخلتها بين أرجلها .

بها ، وقال :

ضَنّتْ عقيلةُ عنك اليوم بالزاد   وآثرتْ حاجةَ الثاوي على الغادي[1]
قولا لمنزلها: حُيِّيتَ من طللٍ   وللعقيق: ألا حيِّيتَ من وادِ[2]
إني وهبتُ نصيبي من مودّتها   لمعبدٍ ومعاذ وابن صيّادٍ

عكرشة بنت الأطرش تدخل على معاوية

قال أبو بكر الهذلي : دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكّئة على عُكاز لها ، فسلّمت عليه بالخلافة ثم جلست ؛ فقال لها معاوية : الآن يا عكرشةُ صرتُ عندَك أميرَ المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إذ لا عليٌّ حيّ . قال : ألستِ المقلّدة حمائل السيوف بصفّين ، وأنت واقفة بين الصَّفيْن تقولين : أيها الناس ، عليكُمْ أنفسَكُم لا يضرُّكم من ضلّ إذا اهتَدَيتُم إن الجنةَ لا يرحل عنها من أُوطَنَها ، ولا يهرم مَنْ سَكَنها ، ولا يموت مَن دَخَلها ، فابتاعوها بدارٍ لا يدوم نعيمُها ، ولا تنصرم همومُها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقِّهم ، إن معاوية دلفَ إليكم بعُجم العرب غُلفِ القلوب ، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فالله الله عبادَ الله في دين الله ؛ إيّاكم والتواكلَ ، فإن ذلك ينقض عُرَى الإسلام ، ويطفىء نور الحق . هذه بدرٌ الصغرى ، والعقبةُ الأخرى . يا معشر المهاجرين والأنصار ، أمضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأني بكم غداً ولقد لقيتم أهل الشام كالحُمُر الناهقة تصْقع صَقْع البقر ، وتروث روث العتاق .

فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة . فإن كدتِ لتقتلين أهلَ الشام لولا قَدَرَ الله ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً ، فما حملكِ على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياءَ أن تُبدَ لكم تسُؤكم** ﴾[3]

---

١ ـ الثاوي : المقيم .
٢ ـ العقيق : واد بالقرب من مكة .
٣ ـ سورة المائدة آية ١٠١ .

وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال : صدقتِ ، فاذكري حاجتك . قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتردُّ على فقرائنا ، وإنّا قد فقدنا ذلك ، فما يُجبَر لنا كسير ، ولا يُنعَش لنا فقير ؛ فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك تنبّه من الغفلة وراجع التوبة وإن كان عن غير رأيك فما مثلَك استعان بالخونة ولا استعمل الظَّلَمَة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه ينُوبُنا عن أمور رعيّتنا أمور تنبثق ، وبحور تنفهق . قالت : يا سبحان الله . والله ما فرضَ الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علاّم الغيوب .

قال معاوية : يا أهل العراق ، نبّهكم عليّ بن أبي طالب فلم تُطاقوا ! ثم أمر بردِّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

عليّة بنت المهدي أحسنُ النساء وأبرعهُنّ في قول الشعر

وُلدت سنة ١٦٠ هـ . فكانت من أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن . ذات صيانة وعِفّة وأدب بارع . تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة ، وكان بها عيبٌ في جبينها ، فضل سعة حتى تسمج ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت شيئاً ما رؤي فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه .

قال الحصري : كانت عليَة تعدل بكثير من أفاضل الرجال في فضل العقل وحسن المقال ولها شعر رائق وغناء رائع .

أنشد محمد بن يزيد المبرِّد لعلية بنت المهدي :

تمارضت كي أشجى وما بِكِ عِلّةٌ تريدين قتلي قد ظَفِرت بذلك
وقولِكِ للعــوّاد كيف تَـرَوْنَـه فقالوا قتيلاً قلت أهونُ هـالِكِ
لئن سـاءني إن نلتني بمسـاءةٍ لقد سرَّني إني خطرتُ ببالِكِ

وكانت عليّة تحب أن تراسل بالأشعار من تختصه ، فاختصت خادماً يقال له طَلّ من خدم أخيها الرشيد ، فكانت تراسله بالشعر ، فلم تره أياماً فمشت على ميزاب . . وحدّثته وقالت في ذلك :

قـد كان مـا كلفته زمنـاً يا طلُّ من وجدٍ بكم يكفي
حتى أتيتُـك زائراً عجـلاً أمشي على حتفٍ إلى حتفِ

فحلف عليها الرشيد أن لا تكلم طلاً ولا تسمّيه باسمه . فضمنت له ذلك واستمع إليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عزّ وجلّ ﴿ **فإن لم يُصِبْـهـا وابل فطلّ** ﴾ وأرادت أن تقول « فطل » فقالت : فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين ، فدخل فقبّل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طلاً ولا أمنعك بعد هذا من شيءٍ تريدينه .

وزار الرشيد يوماً عليّة فقال لها : بالله يا أختي غنّيني . فقالت : وحياتِك لأعملنّ منك شعراً ولأعملن فيه لحناً فقالت من وقتها :

تفديك اختك قد حبوت بنعمة لسنا نعد لها الزمان عديـلا
إلا الخلودَ وذاك قُربَك سيدي لا زال قُربُك والبقاء طويلا
وحمدت ربي في إجابة دعوتي فرأيتُ حمدي عند ذاك قليلا

وعملت فيه لحناً من وقتها ، فأطرَب الرشيد وشرب عليه بقية يومه .

وجزعت عليّة لما مات الرشيد جزعاً شديداً وتركت النبيذ والغناء ، فلم يزل بها الأمين حتى عادت فيهما على كره فقالت :

أطلت عـاذلتي لـومي وتفنيـدي وأنت جـاهلة شوقي وتسهيـدي
لا تشرب الراح بين المسعات وزُرْ ظبياً غريراً نقيّ الخدِّ والجيـدِ

وقالت عريب المغنية : أحسن يوم ٍ مرَّ بي في الدنيا وأطيبه يومَ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة ، فغنتهم من صنيعها في شعرها وأخوها يعقوب يزمر عليها :

تجنّب فإن الحبَّ داعية الحب وكم من بعيد الدار وهو مستوجب القربِ
تَفَكّرْ ، فإن حُدِّثْتَ أن أخا هوى نجا سالماً فارجُ النجاة من الحب
فأحسنُ أيام الفتى يومُهُ الـذي تُـرَوَّعُ بالتحـريش فيه وبـالعتب
إذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضا فأين حلاوات الرسائـل والكتب

فما سمعتُ مثل ما سمعت منها قط وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً .

وكان الناس يقولون : لم يُرَ في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته علية .

ولها ديوان شعر معروف بين الأدباء . وتوفيت سنة ٢١٠هـ، وصلّى عليها المأمون . ويُحكى من سبب وفاتها : أن المأمون ضمّها إليه وجعل يقبّل رأسها ، وكان وجهها مغطّى ، فشرقت[1] من ذلك ، وسَعَلت ، ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت .

عَمرة أم النعمان بن بشير في غناء طُويس[2]

قال الأصمعي : حدثني رجل من أهل المدينة ، قال : كان طويس يتغنى في عرس، رجل من الأنصار، فدخل النعمان بن بشير العرس، وطويس يتغنى :

أجـدَّ بعَمـرة غُتبـانـهـا فتهجر أم شأنُنا شأنُها
وعَمرةُ من سرواتِ النسـا ءتنفحُ بالمسك أردانها[3]

فقيل له : أسكت ! أسكت لأنّ عمرةَ أمّ النعمان بن بشير ؛ فقال النعمان : إنه لم يقُل بأساً ، إنما قال :

وعـمـرةُ من سـروات النـسـا ء تنفـخ بـالمسـك أردانـهـا

عَمرة بنت عامر بن الظرب وصعصعة بن معاوية

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عمرة ـ وهي أم عامر بن صعصعة ـ فقال : يا صعصعة ، إنك أتَيتني تشتري مني كبدي ، فارحمْ ولَدي ، قبلتُك أو رددتُك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتُك خشيةَ أن لا أجدَ مثلك ؛ أفرّ من السرِّ إلى العلانية . . . يا معشر عدوان ، خرجتْ بين أظهرِكم كريمتُكم ، من غير رغبةٍ ولا رهْبة ، وأقسم لولا قسمُ الحظوظ على [قدر] الجدود ما ترك الأولُ للآخر ما يعيش به .

---

١ ـ شرقت: غصّت .
٢ ـ تقدمت ترجمته .
٣ ـ الأردان: جمع ردن وهو طرف الكم الواسع .

عنان والرشيد وأبو نواس

حدّث محمدُ بن زكريا الغلابي بالبصرة قال : حدّثنا إبراهيم بن عمر قال : كان الرشيد قد استعرض عنانَ جاريةَ الناطفي ليشتريها ، وقال لها : أنا والله أحبُّك ! ثم أمسك عن شرائها ؛ فجلس ليلة مع سُمَّاره ، فغناه بعض من حضر من المغنين بأبيات جرير حيث يقول :

إنَّ الـذين غَدَوْا بلُبِّـكَ غادروا وشَـلاً بعينك لا يـزال مَعينا[1]

قال : فطرب الرشيد لها طرباً شديداً ، وأُعجب بالأبيات ، وقال لجلسائه : هل منكم أحدٌ يجيز هذه الأبيات بمثلهنّ ، وله هذه البدرة[2] ؟ - وبين يديه بدرة من دنانير- قال : فلم يصنعوا شيئاً ؛ فقال خادم على رأسه : أنا لك بها يا أمير المؤمنين . قال : شأنك . فاحتمل البدرة ؛ ثم أتى الناطفيّ فقال له : استأذن لي على عنان . فأذنت له ، فدخل وأخبرها الخبر ؛ فقالت : ويحك ! وما الأبيات ؟ فأنشدها إياها ، فقالت له : أكتب :

هيجت بالقول الذي قد قلته داءً بقلبي ما يزال كمينا
قد أينعتْ ثمراتُه في طينها وسُقينَ من ماء الهوى فرَوينا
كذَبَ الذين تقوّلوا يا سيدي إنَّ القلوبَ إذا هوينَ هَوينا

فقالت له : دونك الأبيات . فدفع إليها البدرة ورجع إلى هارون ، فقال : ويحك ! مَن قالها ؟ قال : عنان جارية الناطفي . فقال : خلعتُ الخلافة من عنقي إن باتت إلا عندي ! قال : فبعث إلى مولاها فاشتراها منه بثلاثين ألفاً ، وباتت بقية تلك الليلة عنده ! .

وقال الأصمعي : ما رأيت الرشيد متبذّلاً قط إلا مرة ، كتبتْ إليه عنان جارية الناطفي رقعة فيها :

كنتُ في ظلِّ نِعمةٍ بِهَواكا آمناً منك لا أخاف جَفاكا
فسعى بيننا الوشاة فأقـرْ تَ عيونَ الوشاة بي فهناكا

١ ـ الوشل: الكثير أو القليل من الدمع (مـن أسماء الضد).
٢ ـ البدرة: كمية عظيمة من المال. وقيل عشرة آلاف درهم .

ولَعمري لغيرُ ذا كان أولى بك في الحق يا جُعلتُ فداكا

قال : فأخذ الرقعة بيده وعنده أبو جعفر الشطرنجي ، فقال : أيكم يشير إلى المعنى الذي في نفسي فيقول فيه شعراً وله عشرة آلاف درهم ؟ فظننتُ أنه وقع بقلبه أمرُ عنان ، فبدر أبو جعفر :

مجلسٌ يُنسبُ السرورُ إليه لمحبّ ريحانُهُ ذكراها

فقال : يا غلام ، بدرة ؟ قال الأصمعي : وقلت :

لم يَنَلْك الرجاءُ أن تحضريني وتجافت أمنيّتي عن سواكا

قال : أحسنت والله يا أصمعي ، لها ولك بهذا البيت عشرون ألفاً قال جرير :

كلما دارتِ الزجاجة بالكأ سُ أعارتهُ صبوةً فبكاكا

فقال : أنا أشعركم حيث أقول :

قد تمنيْتُ أن يغشيني اللّـ ـهُ نُعاساً لعلّ عيني تراكا

قلنا له: صدقتَ والله يا أمير المؤمنين .

وقال بكر بن حماد الباهلي : لما انتهى إليّ خبر عنان ، وأنها ذُكرت لهارون وقيل إنها من أشر الناس ، خرجت معترضاً لها ؛ فما راعني إلا الناطفي مولاها قد ضرب على عضدي ، فقال لي : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عنان ؟ فقلت : ما بعد عنان مطلب ! ومضينا حتى أتينا منزله ، فعقل دابته ثم دخل فقال : هذا بكر شاعر باهلة يريد مجالستك اليوم . فقالت : لا والله ، إني كسلانة ! فحمل عليها بالسوط ؛ ثم قال لي ! أدخل فدخلتُ ودمعُها يتحدّر كالجمان في خدها ، فطمعتُ بها ؛ فقلت :

هذي عنان استلبت دمعَها كالدرّ إذ ينسل من خيطِهِ

ثم قلت : أجيزي . فقالت :

فليتَ مَن يضربُها ظالما تجفُّ كفّاه على سوْطِهِ

فقلت لها : إن لي حاجة . فقالت : هاتها ، فمن سببك أوذينا ! قلت لها : بيتٌ وجدته على ظهر كتابي ، لم أقرضه ولم أقدر على إجازته . قالت : قل . فأنشدتها :

فما زال يشكو الحبَّ حتى حسبته   تنفّس من أحشائِهِ فتكلّما

قال : فأطرقت ساعة ثم أنشدت :

ويبكي فأبكي رحمةً لبكائِهِ   إذا ما بكى دمْعاً بكيتُ له دما!

قلت لها : فما عندِك في إجازة هذا البيت :

بديعُ حُسن بديع صدٍّ   جعلتُ خدّي له ملاذا

فأطرقت ساعة ثم قالت :

فعاتبوه فعنّفوه   فأوعدوه، فكان ماذا..؟

وجلس أبو نواس إلى عنان ، فقالت : كيف علمُك بالعروض وتقطيع الشعر يا حسن؟ قال : جيد . قالت : تقطع هذا البيت :

أكلت الخَرْدلَ الشا   مي في صفحةِ خبّاز[1]

فلما ذهب يقطّعه ضحكت به وأضحكت ، فأمسك عنها وأخذ في ضروب من الأحاديث؟ ثم عاد سائلاً لها ، فقال : كيف علمك بالعروض؟ قالت : حَسَن يا حسن . فقال : قطعي هذا البيت :

حوّلوا عنا كنيسَتُكُمْ   يا بني حمّالةِ الحطب

فلما ذهبت تقطّعه ضحك أبو نواس ، فقالت : قبّحك الله ! ما برحتَ حتى أخذت بثأرك !

وكتبتْ عنان على عصابتها :

الكفرُ والسحرُ في عيني إذا نظرت   فاغْرُبْ بعينيك يا مغرورُ عن عيني

---

١ ـ الخردل: نبات عشبي من فصيلة الصليبيات حبه صغير جداً أسود مقرّح يستعمل في التوابل وله فوائد طبية. يستخرج منه الزيت .

فإن لي سيفَ لحظٍ لستُ أُغمدُه من صنعةِ الله لا من صنعةِ العَينِ[1]

عنيزة متجردة مقبلة ومدبرة

قال الفرزدق : أصابنا بالبصرة ليلاً مطرٌ جواد ، فلما أصبحتُ ركبت بغلتي وسرت إلى المربد ، فإذا أنا بآثار دواب وقد خرجتْ إلى ناحية البرية ، فظننت أنهم قوم خرجوا للنزهة ، وهم خلقاء أن يكون معهم سُفرة ، فاتبعتُ آثارهم حتى انتهيت إلى بغال عليها رحائل موقوفةٍ على غدير ، فأسرعت إلى الغدير ، فإذا فيه نسْوة مستنقعاتٌ في الماء ، فقلت : لم أرَ كاليوم قط ، ولا يوم دارة جلجل . وانصرفت مستحيياً .

فناديْنني : يا صاحب البغلة ، ارجعْ نسألْك عن شيء .

فرجعتُ إليهنّ ، فقعدن في الماء إلى حلوقهن ، ثم قلن : بالله إلا ما أخبرتنا ما كان من حديث دارة جلجل .

قلت : حدثني جدي ـ أنا يومئذٍ غلامٌ حافظ ـ أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه ، ويقال لها عنيزة ، وأنه طلبها زماناً فلم يصل إليها ، حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل ؛ وذلك أن الحيّ تحمّلوا ، فتقدم الرجال ، وتخلّف النساء والخدم والثقل ؛ فلما رأى ذلك امرؤ القيس ، تخلّف بعدما سار مع رجال قومه غَلوة ، فكمن في غيابه من الأرض ، حتى مرّ به النساء وفيهن عنيزة ، فلما وردن الغدير قلن : لو نزلنا واغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال . فنزلن في الغدير ، ونحّيْن العبيد ، ثم تجرّدن فوقعْنَ فيه ، فأتاهنّ امرؤ القيس فأخذ ثيابهنّ ، فجمعها وقعد عليها ، وقال : والله لا أعطي جارية منكنّ ثوبها ولو قعدتْ في الغدير يومَها ، حتى تخرج متجرِّدة فتأخذ ثوبها ! فأبيْنَ ذلك عليه ، حتى تعالى النهار وخشين أن يقصّرنَ عن المنزل الذي يُردْنه ، فخرجْنَ جميعاً غير عنيزة ؛ فناشدتْه الله أن يطرح ثوبها ، فأبى ، فخرجت، فنظر إليها مقبلة ومدبرة .

وأقبلن عليه فقلن له : انك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا! قال : فإن نحرتُ

---

١ ـ القين: الحدّاد .

لكنّ ناقتي أتأكلن معي ؟ قلن : نعم . فجرّد سيفه فعرقبها ونحرها ، ثم كشطها ، وجمع الخدمُ حطباً كثيراً ، فأجّجْنَ ناراً عظيمة ، فجعل يقطع أطايبها ويلقي على الجمر ، ويأكلن معهنّ ، ويشرب من فضلة كانت معه ويسقيهنّ ، وينبذ إلى العبيد من الكباب .

فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهنّ : أنا أحمل طنفسته . وقالت الأخرى : أنا أحمل رحله وأنساعه[١] . فتقسّمْن متاعه وزاده ؛ وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً ؛ فقال لها : يا بنت الكرام ، لا بدّ أن تحمليني معك ؛ فإني لا أطيق المشي ، فحملَتْه على غارب بعيرها ، فكان يجنح إليها فيدخل رأسَه في خدرها فيقبِّلها ، فإذا امتنعت مال حِدجُها ، فتقول : عقرتَ بعيري فانزل ! ففي ذلك يقول :

ألا رُبَّ يومٍ لي من البيض صالحٍ ولا سيّما يوم بدارة جُلجُلِ
ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي[٢] فيا عجباً من رحلها المتحمَّلِ
فظلّ العذارى يرقمين بلحمها وشحمَ لهُدّاب الدِّمقْس المفتَّلِ[٣]
ويوم دخلتُ الخدرَ خدر عنيزةٍ فقالت لك الويلات إنك مُرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرتَ بعيري يا أمرأ القيس فانزل[٤]
فقلت لها: سيري وأرخي زمامه ولا تُبعديني من جناك المعلَّلِ

العوراء ترد على يزيد بن الصعق

شاعرة من شواعر العرب . يُروى أن بَحير بن سلمة بن قشير أغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم [في يوم المروّت] ، فاتبعوه حتى لحقوه وقد نزل المروّت وهو يقسم المِرباع ويعطي مَن معه ، فتلاحق القوم واقتتلوا ، فطعن قعنبُ بن عتاب الهيثمَ بن عامر القشيري فصرعه فأسره ، وحمل الكدامُ ـ وهو يزيد بن أزهر المازني ـ على بحير بن سلمة فطعنه فأرداه عن فرسه ، ثم نزل إليه

١ ـ الانساع: جمع نسع وهو حبل عريض طويل تشد به الرحال .
٢ ـ المطية: الناقة وكل ما يُمتطى ويُعتلى ظهره .
٣ ـ الدمقس: نوع من الحرير .
٤ ـ الغبيط: الرحل يُشدّ عليه الهودج .

فأسره ؛ فأبصره قعنب بن عتاب ، فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله ، فانهزم بنو عامر وقُتل رجالهم ، فقال يزيد بن الصَّعق يرثي بحيراً :

أواردةٌ علَيّ بنو رَيَاحٍ بفخرهمُ وقد قتلوا بحيرا؟

فأجابته العوراء من بني سليط بن يربوع :

معيدَكَ يا يزيدُ أبا قُبَيْس أتُنْذِرُ كي تلاقينا النذورا
وتوضعُ تُخْبِرُ الركبان أنّا وُجدنا في مِراس الحرب خُورا[1]
ألم تعلمْ قعيدك يا يزيد بأنا نقمع الشيخَ الفَخورا
ونفقأ ناظرَيْه ولا نبالي ونجعل فوق هامته الدرورا[2]
فأبلغْ إن عَرضتَ بني كلابٍ فإنّا نحن أقعَصْنا بحيرا[3]
وضرّجنا عبيدةَ بالعواليّ فأصبح مُوثَقاً فينا أسيرا
أفخراً في الخلاء بغير فخرٍ وعند الحرب خوّاراً ضجورا

فاختة بنت قرظة تغلب على معاوية

من ذوات النفوذ والسلطان في خلافة زوجها معاوية بن أبي سفيان . قال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان ـ يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه ـ فقال معاوية : إنهن يغلبن الكرام ويغلبن اللئام .

وذكروا أنه لما استقامت الأمور لمعاوية ، استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ، ثم همّ أن يعزله ويولي سعيد بن العاص . فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ! قد علمتَ ما لقيتْ هذه الأمةُ من الفتنة والاختلاف ، وفي عنقك الموت ، وأنا أخاف إن حدث بك حدث أن يقع الناس في مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان ؛ فاجعل للناس بعدك علماً يفزعون إليه واجعل ذلك يزيد ابنك . فدخل معاوية على امرأته فاختة ، وكان ابنها منه

---

١ ـ الخور: الضعفاء .
٢ ـ الهامة: الرأس .
٣ ـ قعصه: قتله مكانه .

عبد الله بن معاوية ، وقد كان بلغها ما قال المغيرة ، وما أشار به عليه من البيعة ليزيد . وكان يزيد بن الكلبية. مسرورة ابنة عبد الرحمن بن بجدل الكلبي ، فقالت فاختة وكانت معادية للكلبية : ما أشار به عليك المغيرة أراد أن يجعل لك عدواً من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم . فشقّ ذلك على معاوية ثم بدا له أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة .

ودخل معاوية بن أبي سفيان ذات يوم على امرأته فاختة ومعه خصي ، وكانت مكشوفة الرأس . فلما رأت معه الخصي غطت رأسها . فقال لها معاوية : إنهُ خصي . فقالت : يا أمير المؤمنين ! أترى المَثْلَة به أحلّت له ما حرّم الله عليه . فاسترجع معاوية وعلم أن الحق ما قالته . فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادماً وإن كان كبيراً فانياً .

وسمعت فاختة ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى معاوية فقالت : تعالَ فاسمع ما في بيت هذا الرجل الذي جعلته بين لحمك ودمك . فجاء فسمع وانصرف . فلما كان آخر الليل ، سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، فأنبه فاختة وقال : إسمعي مكان ما أسمعتِني .

فارعة تتخلل فيطلقها زوجها

دخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة [أم الحجّاجِ بن يوسف الثقفي] فوجدها تتخلل حين انفلتت من صلاة الغداة ، فقال لها : إن كنت تتخللين من طعام البارحة ، فإنك قذرة ، وإن كان من طعام اليوم إنك لنهمة ؛ كنتِ فبِنْتِ[1] ! قالت : والله ما فرحنا إذ كنا ، ولا أسفنا إذ بنّا ؛ وما هو بشيء مما ظننت ، ولكني استكْتُ فأردت أن أتخلل للسِّواك[2] ! فندم المغيرة على ما بدر منه ، فخرج أسفاً ، فلقي يوسف بن أبي عقيل ، فقال له : هل لك إلى شيءٍ أدعوك إليه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : إني نزلت الساعة عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوّجها ، فإنها تنجبُ لك . فتزوّجها فولدت له الحجاج .

١ ـ الطلاق البائن : الذي لا عودة عنه .
٢ ـ السواك : عود تنظّف به الأسنان .

فاطمة أم علي بن أبي طالب

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . راوية من راويات الحديث . روت عن النبي ﷺ ستة وأربعين حديثاً . أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه . وكانت ذات صلاح ودين ؛ فكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل(1) في بيتها ويحترمها احتراماً عظيماً . وتوفيت بالمدينة وألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها . فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ؟ فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها . إنما ألبستُها قميصي لتكن من حُلَل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها .

فاطمة بنت الحسين تبكي ويداها في كُمّيْهَا

كانت فاطمة بنت الحسين بن علي عند حسن بن حسن بن علي ، فلما احتُضر قال لبعض أهله : كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتي قد جاء يتهادى في إزارٍ له موردٍ قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابن عمي ، وليس يريد إلا النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلنّ ! قال : فوالله ما هو إلا أن أغمضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو في تلك الصفة التي وصفها ، فمُنع ساعة ؛ فقال بعض القوم : لا يدخل ؛ وقال بعضهم : إفتحوا له ، فإن مثله لا يُردّ . ففتحوا له ، ودخل ؛ فلما صرنا إلى القبر قامت عليه فاطمة تبكي ، ثم اطلعت إلى القبر فجعلت تصكُّ وجهها بيديها حاسرة ؛ قال : فدعا عبد الله بن عمرو وصيفاً له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقلْ لها : يُقرئِك ابن عمك السلام ، ويقول لك : كُفّي عن وجهك ؛ فإن لنا به حاجة ! فلما بلّغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما في كميها حتى انصرف الناس .

فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ؛ وكان يُسّمى المُذّهب ، لجماله ؛ وكانت ولدت من حسن بن حسن ، عبد الله ابن‌حسن الذي حارب أبو جعفر ولديه إبراهيمَ ومحمداً ابني عبد الله بن الحسن ابن الحسن حتى قتلهما .

● قال أبو الحسن المدائني : قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته ،

والله ما كان على الأرض يومئذٍ أهل بيت يشبّهون بهم . وحَمل أهل الشام بنات رسول الله ﷺ سبايا على أحقاب الإبل . فلما أُدخلن على يزيد ، قالت فاطمة ابنة الحسين : يا يزيد ، أبنات رسول الله ﷺ سبايا ؟ قال : بل حرائر كرام ، أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلنَ ما فعلنَ ، قالت فاطمة : فدخلت إليهن ، فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلدّمة[1] تبكي ، وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين وقد أصيب معه :

عيْنيَ ابكي بعَبرةٍ وعويلِ　　واندُبي إن نَدَبْتِ آل الرسولِ

ستةٌ كلهُم لصُلب عليّ　　قد أُصيبوا وخمسةٌ لعقيلِ

● وذُكرت فاطمةُ بنت الحسين عليهما السلام عند عمر بن عبد العزيز ، وكان لها معظّماً ، فقيل : إنها لا تعرف الشر . فقال عمر : عدمُ معرفتها بالشر جنّبها الشر .

فاطمة بنت محمد ﷺ

زواجها من علي بن أبي طالب :

ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام بمكة ، وقريش تبني الكعبة والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة وذلك قبل النبوة بخمس سنين . وهي أصغر بنات الرسول ﷺ . وقال النبي ﷺ لما بُشّر بفاطمة : ريحانةٌ أشمُّها ورزقها على الله .

ثم إن أهل علي بن أبي طالب قالوا لعلي : أخطب فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقال علي : بعد أبي بكر وعمر [وكانا رحمهما الله خطباها إلى رسول الله ﷺ] . فذكروا له قرابته من النبي ﷺ . فباع علي بعيراً له وبعض متاعه فبلغ أربعمائة وثمانين . فقال له النبي ﷺ : إجعل ثلثين في الطيب وثلثاً في المتاع ، وهو لا يملك غير جلد كبش ينام عليه بالليل وذلك بعد وقعة أحد . وقيل : إنه تزوّجها بعد أن ابتنى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر . وبنى بها علي بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ، وكان سنُها يومَ تزويجها خمسَ عشرة سنة

١ ـ متلدمة : متلطمة . والتدمت النساء : ضربت وجوههن في المآتم .

وخمسةَ أشهر ونصفاً . وكان سن علي إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر . وفي رواية : إنه لما خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله ﷺ وأبى رسول الله ﷺ أن يزوجها ، قال عمر : أنت لها يا علي . فقال علي : ما لي من شيء إلا درعي أرهنها . فزوّجه رسول الله ﷺ فاطمة . فلما بلغ ذلك فاطمة بكت ثم دخل عليها رسول الله ﷺ فقال : ما لَكِ تبكين يا فاطمة ! فوالله لقد أنكحتُك أأكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأولهم سلماً . وظلت فاطمة الزهراء الزوجة الوحيدة لعلي ابن أبي طالب طيلة حياتها . ولم يتخذ علي عليها زوجة حتى توفيت . وقد ولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب . وكانت فاطمة تُرَقّص الحسين بن علي رضي الله عنهما وتقول :

وَا بأبي شِبْهُ النبيّ ... ليس شبيهاً بعلي

رثاؤها لأبيها ﷺ :

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها ﷺ فقالت :

إنا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلَها ... وغاب مُذ غِبْتَ عنّا الوحيُ والكُتُب
فليت قبلك كان الموتُ صادفنا ... لمّا نُعيتَ وحالت دونك الكُثُبُ

وقال أنس بن مالك : لما فرغنا من دَفْن رسول الله ﷺ أقبلتْ عليَّ فاطمة . فقالت : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم أن تحثُوا على وجه رسول الله ﷺ التراب ؟ ثم بكت ونادت : يا أبتاه ! أجاب ربّاً دعاه ؛ يا أبتاه ! مِنْ ربِّه ما أدناه ؛ يا أبتاه ! مَنْ ربُّه ناداه ؛ يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ؛ يا أبتاه ! جنةُ الفِردوس مأواه . ثم بكت وقال :

أغبـر أفاقُ السماءِ وكورت ... شمسُ النهار وأظلمَ العصران
فالارضُ من بعد النبي كئيبةٌ ... اسفاً عليه كثيرةُ الرجفان
فليبكه شرقُ البلاد وغربُها ... ولتبكهِ مُضرٌ وكلُّ يمانِ
وليبكهِ الطودُ العظيمُ وجوده ... والبيتُ ذو الأستار والاركانِ[1]

---

١ ـ الطود: جبل عرفات. والبيت: البيت الحرام .

يا خاتم الرسلِ المباركَ ضوؤه صلّى عليك مُنزلُ القرآن

ووقفت فاطمة على قبر النبي ﷺ ، واخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وانشأت تقول :

ماذا على من شمّ تربةَ أحمد أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا[1]

صبّت عليّ مصائب لو أنها صبّت على الأيام صرْنَ لياليا

ماذا قالوا فيها ؟

قال النبي ﷺ : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني .

وقالت عائشة أم المؤمنين : ما رأيت احداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة . وكانت اذا دخلت عليه قام إليها فقبّلها ورحّب بها ، كما كانت تصنع هي به ﷺ .

وسُئلت عائشة : أيّ الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ .

قالت : فاطمة . قيل : ومن الرجال ؟ قالت : زوجها . وقالت عائشة : ما رأيتُ قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها .

وقال ابن الجوزي : كان للنبي ﷺ بنات فَضَلتهنّ فاطمة وزوجات سَبقتهنّ عائشة .

وجاء في شرح المصابيح : ان فاطمة سميت بتولاً لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً .

وجمع النبي ﷺ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين ، فألقى عليهم كساءه وضمّهم إلى نفسه ، ثم تلا هذه الآية ﴿ **إنما يريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكم الرِّجسَ أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً** ﴾[2] .

---

١ ـ الغوالي : الدواهي .

٢ ـ سورة الأحزاب آية ٣٣ .

ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز قال : ان فدَكَ[1] كانت مما أفاء الله على رسوله فسألتْها فاطمةُ رسول الله ، فقال لها : مالك أن تسأليني ، ولا لي أن اعطيك ! فكان رسول الله ﷺ يصنع فيها حيث أمره الله .

روايتها عن النبي ﷺ:

روتْ عن النبي ﷺ ثمانية عشرَ حديثاً ، أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه في مسند عائشة . وروى لها الترمذي وابن ماجة وأبو داوود .

وروى عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما علي بن أبي طالب وعائشة أم المؤمنين وسلمى أم رافع وأنس بن مالك وأم سلمة ، وارسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها .

وفاتها :

شكت فاطمة إلى أسماء بنت عميس نحولَ جسمها وقالت : اتستطيعين ان تواريني بشيء ؟ قالت : إني رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ، ويشدون النعش بقوائم السرير . فأمرتهم بذلك وعُمل لها نعش قبل وفاتها . فنظرت إليه فقالت : سترتموني ستركم الله . وقالت قُبيل وفاتها : يا أمه اسكبي لي غسلاً . فسكبتها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم قالت : إيتيني بثيابي الجدد . فأتتها بها فلبستها . ثم قالت : يا أمه إني مقبوضةٌ الساعة وقد اغتسلت ، فلا يكشفنّ لي أحد كفناً ثم توفيت . وكانت وفاتها بعد النبي ﷺ بثلاثة أشهر . وروي إنها توفيت بعد رسول الله ﷺ بثمانية أشهر . ورُوي إنها عاشت بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر . وقيل : بشهر واحد . والصحيح المشهور إنها توفيت ليلة الثلاثاء لثلاثة خلون من رمضان سنة ١١ هـ وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها .

قال المدائني : لما دَفنَ عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه فاطمة عليها السلام ، تمثّل عند قبرها فقال :

---

١ ـ فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان. (معجم البلدان[4] مادة فدك).

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فُرقة   وكلُ الذي دونَ الممات قليلُ
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ   دليلٌ على أن لا يدومَ خليلُ

فاطمة بنت محمد «زوج المنصور»

تزوج المنصور أروى بنت منصور الحميرية ، وولدت له : محمداً وهو المهدي ، وجعفراً . وكانت شرطت عليه ألا يتزوج ولا يتسرّى[1] إلا عن أمرها ، وكان قد ابتاع جاريته أم علي وجعلها قيّماً في داره على أم موسى وأولادها ، فحظيتْ عند أم موسى وسألته التسرّي بها لِما رأت من فضلها ، فوافقها فأولدها علياً ، وتوفي قبل استكمال سنة ؛ ثم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله ، فولدت له سليمان وعيسى ويعقوب ، ورُزق من أمهات الأولاد : صالحاً والعالية وجعفراً والقاسم والعباس وعبد العزيز .

* * *

وكانت أم جعفر بن يحيى ، وهي فاطمة ابنة محمد بن الحسين بن قحطبة ، أرضعت الرشيدَ مع جعفر ؛ لأنه كان رُبِّي في حجرها وغذي برسلها ، لأن أمه ماتت عن مهده ، فكان الرشيد يشاورها مظهراً لإكرامها والتبرُّك برأيها ، وكان آلى وهو في كفالتها أن لا يحجبها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفعها ؛ وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلتْ عليه إلا مأذوناً لها ، ولا شفعت لأحد لغرض دنيا .

قال سهل : فكم أسير فكَّت ، ومبهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرَّجت . واحتجب الرشيد بعد قدومه ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومتّت بوسائلها إليه ؛ فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها ؛ فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها واضعة لثامها مختفية في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد : فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظِئرُ أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد ! فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أوَ ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية ! قال أدخلها يا عبد الملك ، فرُبَّ كبدٍ غذتها ، وكربة فرجتها ، وعورة سترتها ! قال

---

١ ـ يتسرّى: يتّخذ له جارية .

سهل : فما شككتُ يومئذ في النجاة بطلبتها ، وإسعافِها بحاجتها . فدخلت ، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقَّاها بين عَمد المجلس ، وأكب على تقبيل رأسها ومواضعِ ثدييها ؛ ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحردك عنا البهتان وقد ربيتك في حجري ، وأخذتُ برضاعك الأمان من عدوي ودهري ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قال سهل : فآيسني من رأفته ، بتركه كنيتها آخِراً ما كان أطمعَني من برِّه بها أولاً ، قالت : ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك ، ولا أصفه بأكثر مما عرَفه به أميرُ المؤمنين من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرُّضه للحتف في شأن موسى أخيه . قال لها : يا أمَّ الرشيد ، أمرٌ سَبق ، وقضاءٌ حُمَّ ، وغضبٌ من الله نَفذ ! قالت : يا أمير المؤمنين ، يمحُو الله ما يشاءُ ويُثبت وعنده أُمُّ الكتاب . قال : صدقت . فهذا ممّا لم يمنحهُ الله ! فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ قال سهل بن هارون : فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وإذا المنيَّـةُ أنشَبَتْ أظفـارَهــا ... ألفيتَ كـلَّ تميمـةٍ لا تنفـعُ

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيىَ بتميمة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول :

وإذا افتقرت إلى الذخائرِ لم تجد ... ذُخراً يكونُ كصالِحِ الأعمالِ

هذا بعد قول الله عز وجل ﴿ **والكاظِمِينَ الغيْظَ والعافِينَ عنِ النَّاسِ والله يُحِب المحسِنينَ** ﴾ . فأطرق هارونُ ملياً ، ثم قال : يا أُمَّ الرشيد ، أقول :

إذا انصرفتْ نفسِي عن الشيءِ لم تكد ... إليـهِ بوجـهٍ آخِرَ الـدَّهْـرِ تُقبِـلُ

فقالت : يا أمير المؤمنين ، أقول :

ستَقطعُ في الدُّنيا إذا ما قَطَعْتَني ... يمينَك ، فانظُر أيَّ كف تبدَّلُ

قال هارون : رضيت ! قالت : فهبه لي يا أمير المؤمنين ؛ فقد قال رسول الله ﷺ (مَن تَركَ شيئاً للهِ لم يُوجِدهُ اللهُ لِفقدِه) . فأكب هارون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : لله الامرُ من قبلُ ومن بعدُ ! قالت : يا أمير المؤمنين ، ﴿ **ويوْمَئِذٍ يَفرحُ المؤمِنون بِنصرِ الله يَنصرُ مَن يَشاءُ وهُو العزيزُ الرَّحيمُ** ﴾ ؛ واذكر يا أمير

المؤمنين أَلِيَّتك : ما استشفعتُ إلا شفعتني ! قال : واذكري يا أم الرشيد أليَّتك لاشفعتِ لمقترفٍ ذنباً . قال سهل بن هارون : فلما رأته صرَّح بمنعها ولاذ عن مطلبها ، أخرجتْ حُقاً من زبرجدة خضراء فوضعتْه بين يديه ؛ فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحتْ عنه قفلاً من ذهب فأخرجتْ منه قميصه وذوائبه وثناياه ، قد غَمست جميع ذلك في المسك ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيَى عبدِك . فأخذ هارون ذلك فلثِمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً . وبكى أهل المجلس ، ومر البشيرُ إلى يحيى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمةٌ له ورجوعٌ عنه ، فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحُقِّ ، وقال لها : لحسناً ما حفظت الوديعة ! قالت : وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين ! .

فسكت وأقفل الحق ودفعه إليها ، وقال : ﴿ **إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أَهْلِها** ﴾ . قالت : والله يقول : ﴿ **وإذا حَكَمْتُمْ بيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُوا بالعَدْلِ** ﴾ ؛ ويقول : ﴿ **وأَوْفُوا بِعَهدِ الله إذا عاهَدْتُمْ** ﴾ . قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : ما أقسمت لي به أن لا تحجبني ولا تجبهني قال : أحب يا أم الرشيد أن تشتريه محكَّمةً فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غير مستقيلةٍ لك ، ولا راجعةٍ عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يُسْخِطْك ! قال : يا أم الرشيد ، أمالي عليك من الحق مثلُ الذي لهم ؟ فتحكَّمي في تمنيَةٍ بغيرهم . قالت : بلى قد وهبتُكه وجعلتُك في حِلٍّ منه ؟ وقامت عنه ، وبقي مبهوتاً ما يُحِير لفظة . قال سهل : وخرجت فلم تعُد ، ولا والله ما رأيتُ لها عبرة ولا سمعت لها أنَّة .

قال سهل : وكان الأمين محمد بن زُبيدة رضيع يحيى بن جعفر ، فمتّ إليه يحيى بن خالد بذلك ، فوعده استيهاب أُمِّه إياهم وتكلمها فيهم ؛ ثم شغله اللهو عنهم ، فكتب إليه يحيى ، ويقال : إنها لسليمان الأعمى أخي مسلم بن الوليد ، وكان منقطعاً إلى البرامكة ـ يقول :

يا ملاذي وعِصْمَتِي وعِمَادِي　　　ومُجِيري مِنَ الخُطُوبِ الشِّدَادِ
بِكَ قام الرَّجاءُ في كلِّ قلْبٍ　　　زاد فيهِ البَلاءُ كلَّ مَزاد

إنمـا أنتَ نِعْمـةٌ أعْقَبتهـا نِعمٌ نَفْعُهـا لِكـلٍّ العِبـادِ
وعْدَموكَ أتمِمَنْهُ فأبـهى الدُّ رُّ ما زيد حُسنُهُ بانعقـادِ
ما أظَلَّتْ سَحَائِبُ اليَأْسِ إلاَّ كانَ في كشفِها عليكَ اعتمادِي
إن تراختْ يداكَ عني فُوَاقا أكلَتْنِي الأيامُ أكلَ الجرادِ

وبعث بها الأمين محمد ، فبعث بها الأمين محمدُ إلى أمه زبيدة ، فأعطتها هارون وهو في موضعٍ لذته وعند إقبال أَريَحيّته ، وتهيأت للاستشفاع لهم ، وعبَّأت جواريها ومغنياتِها وأمرتهن بالقيام معها إذا قامت ؛ فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوتَه حتى وقَّع في أسفلها : عِظَمُ ذنبكَ أماتَ خواطِرَ العفو عنك ورمى بها إلى زبيدة ، فلما رأت توقيعه علمت أنه لا يرجع عنه .

فاطمة بنت يحيى بن خالد في شِعر أبيها

كتب يحيى بن خالد في الحبس إلى هارون الرشيد :

قُلْ للخليفة ذي الصّنيـ ـعة والعطايا الفاشيَـهْ
وابن الخلائفِ من قريـ ـشٍ والملوك العـاليَـهْ
إنّ البـرامكـة الـذيـ ـن رُمُوا لديْك بداهيَهْ
صُفـرُ الـوجـوهِ عليهمُ خِلَعُ المـذلّة بـادَيـهْ
فكـأنهم ممّـا بهـم أعجازُ نخلٍ خـاوِيَـهْ
عمَّتْهم لـك سخـطةٌ لم تُبقِ منهم بـاقيَـهْ
بعـد الإمـارةِ والـوزا رة والأمـورِ السـاميـهْ
ومنـازلٍ كـانت لـهمْ فـوق المنـازلِ عـاليهْ
أضْحَـوا وجُـلُّ مناهُـمُ منـك الرضـا والعـافيـهْ
يا مَنْ يودُّ لي الرّدى يكفيك مني ما بيَهْ[1]
يكفيك ما أبصرْتَ من ذُلّـي وذلّ مكـانيَـهْ
وبكـاءُ فـاطمـة الكئيـ ـبةِ والمدامِعُ جاريَـهْ

---

١ ـ الردى: الهلاك والموت .

ومقـالـهـا بتـوجُّـعٍ يـا سـوأتي وشقـائيـهْ
مَن لي وقد غضب الزما نُ على جميع رجاليَهْ
يـا لهف نفسي لهفَهـا مـا للزمـان ومـا لِيَـهْ
يا عطفةَ الملكِ الرِّضا عـودي علينـا ثـانيَـهْ

فلم يكن له جواب من الرشيد .

فاطمة بنت يزيد أفضل عقائل الوليد بن عبد الملك

قال العتبي : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل : لبابة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث ؛ فكُنّ يجتمعنَ على مائدته ويفترقن فيفخرن ، فاجتمعن يوماً ، فقالت لبابة : أما والله إنك لتسويني بهنّ وإنك تعرف فضلي عليهن ! وقالت بنت سعيد : ما كنت أرى أنّ للفخر عليّ مجازاً ، وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها ! وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أحبُّ بأبي بدلاً ، ولو شئت لقلت فصدقْتُ وصُدِّقتُ ! وكانت [فاطمة] بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن ، فلم تتكلم ؛ فتكلم عنها الوليد فقال : نَطق مَن احتاج إلى نفسه ، وسكَت مَن اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقالت : أنا ابنةُ قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحدِّث به في مجلس ابن عباس ، فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

الفُريعة « أم حسان بن ثابت » في هجاء الأخطل

قال الأخطل يهجو الأنصار :

ذهبتْ قُرَيْشٌ بالمكارمَ كلِّها واللؤمُ تحتَ عمائِم الأنصارِ
قومٌ إذا حضَرَ العصيرُ رأيتَهم حُمراً عيونُهُمُ من المسطارِ[1]
وإذا نسبتَ إلى الفُريعةِ خلتَه كالجحش بين حمارةٍ وحمارِ
فدعُوا المكارمَ لستُمْ من أهليها وخذوا مساحيَكم بني النجّار[2]

١ ـ المسطار: الخمر .
٢ ـ بنو النجار: هم قوم حسان بن ثابت الأنصاري شاعر الرسول ﷺ.

قهدم «أم منظور بن زبان»

أقبل منظور بن زبّان بن سيّار الفزاري إلى الزبير فقال : إنما زوّجناك ولم نزوّج عبد الله ! قال : ما له ؟ قال : إنها تشكوه . قال : يا عبد الله طلّقها ! قال عبد الله : هي طالق ! قال ابن منظور : أنا ابن قهدم . قال الزبير : أنا ابن صفية ! أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ قال : لا ، تلك راضية بموضعها .

قُتَيلة بنت الحارث ترثي اخاها

قال ابن إسحاق صاحب المغازي : لمّا نزل رسول الله ﷺ الصفراء ـ وقال ابن هشام : الأُثَيل ـ أمر عليَّ بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً بين يدي رسول الله ﷺ ؛ فقالت اختُه قُتيلة بنت الحارث ترثيه :

يا راكباً إنَّ الأثيلَ مَظِنَّةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنت موفَّقٌ[1]
أبلِغْ بها ميتاً بأنَّ تحيّةً ... ما إن تَزالُ بها النجائبُ تخفقُ
مني إليك وعَبرةً مسفوحةً ... جادتْ بواكفِها وأخرى تخنُقُ[2]
هل يَسْمَعَنّي النضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ ميتٌ لا ينطقُ
أمحمدُ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... من قومِه والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحنقُ
فالنضرُ أقربُ من أسَرْتَ قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتْقاً يُعتقُ
ظلّت سيوفُ بني أبيه تَنوشُه ... للهِ أرحامٌ هناك تشقّقُ[3]
صبراً يُقادُ إلى المنيّةِ مُتعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ مُوثَقُ[4]

قال ابن هشام : قال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشعر : لو بلغني قبل قتله ما قتلتُه .

---

١ ـ الأثيل: الأصل الشريف .
٢ ـ العبرة: الدمعة . الواكف: هطول الدمع . ووكف الدمع: سال .
٣ ـ تنوشه: تتناوله
٤ ـ رسف: مشى مشية المقيّد .

قَيلة تُرعَد في مجلس رسول الله ﷺ

خرجت قيلة بنت مخرمة التميمية تبغي الصُّحبة إلى رسول الله ﷺ ،وكان عمُّ بناتها ، وهو أثوب بن أزهر ، قد انتزع منها بناتها ، فبكت جويرية[1] منهن حديباء قد اخذتها الفرصة[2] ، عليها سُبيِّج من صوف ، فرحمتْها فذهبت بها . فبينما هما تُرتكان الجمل إذا انتفجت منه الأرنب ؛ فقالت الحُديباء : الفَصْية . والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب . ثم سنح الثعلب ، فسمّته اسماً غير الثعلب نَسِيَه ناقلُ الحديث . ثم قالت فيه مثل ما قالت في الأرنب ، فبينما هما تَرتكان الجمل إذ برك الجمل وأخذته رِعدة . فقالت الحديباء : أخذتك والأمانة إخذةَ أثوب . قالت قيلة ؛ فقلت لها : فما أصنع ، ويحك ! قالت : قلِّبي ثيابك ظهورَها لبطونها ، وادّحرجي ظهركِ لبطنك ، وقلِّبي أحلاسَ جَملك . ثم خلعت سُبَيِّجها فقلبته ، ثم ادّحرجت ظهرها لبطنها ، فلما فعلتُ ما أمرتْني به انتفض الجمل ، ثم قام فنأج وبال ، فقالت : أعيدي عليه أداتك . ففعلتُ ، ثم خرجنا نُرتك ، فإذا أثوب يسعى وراءنا بالسيف صَلْتاً ، فَوأَلْنا[3] إلى جواء[4] ضخم فداراه ، حتى ألقى الجمل إلى رُواقه الأوسط ، وكان جملاً ذلولاً ، واقتحمتُ داخله وأدركني بالسيف ، فأصابت ظبتُه طائفةً من قرون (رأسِيَهْ)[5] ؛ ثم قال : أَلقي إليّ ابنةِ أخي يا دَفارِ . فألقيتُها إليه . فجعلها على مِنكبه وذهب بها . وكنتُ أعلمَ به من أهل البيت ، وخرجتُ إلى أخت لي ناكحٍ في بني شيبان ابتغي الصحبة إلى رسول الله ﷺ . فبينما أنا عندها تحسَب إني نائمة ، إذا جاء زوجها من السامر ، فقال لها : وأبيك لقد وجدتُ لقيلة صاحب صدق . قالت اختي : مَن هو ؟ قال : حُريث بن حسّان الشَّيباني ، وافد بكر بن وائل عاوياً ذا صياح . فقالت اختي : الويل لي ، لا تخبرها فتتبعَ أخا بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها ، ليس معها أحد من قومها . قال : لا ذكرتُه .

---

١ ـ جويرية: تصغير جارية .

٢ ـ الفرصة: الخوف .

٣ ـ وأل: طلب النجاة .

٤ ـ الحواء: جماعة البيوت المتدانية .

٥ ـ رأسيه: رأسي .

قالت : وسمعت ما قالا ؛ فغدوتُ إلى جملي فشددت عليه ، ثم نشدت عنه فوجدتُه غير بعيد . فسألته الصُّحبة فقال : نَعَم وكرامة ، وركابه مُناخة عنده

قالت : فسرتُ معه صاحبَ صِدق ؛ حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو يصلي بالناس صلاة الغداة : قد أُقيمت حين شقّ الفجر ، والنجوم شابكة في السماء ، والرجالُ لا تكاد تعارفُ من ظلمة الليل ؛ فصففتُ مع الرجال ؛ وأنا امرأة قريبةُ عهدٍ بجاهلية ؛ فقال الرجل الذي يليني من الصف : امرأة انتِ أم رجل ؟ فقلت : لا بل امرأة ، فقال : إنك كدت تَفْتنيني ، فصلي في النساء وراءك . فإذا صفٌ من نساء قد حدث عند الحُجرات لم اكن رأيته إذْ دخلت ؛ فكنت فيهن ؛ حتى إذا طلعت الشمس دنوتُ ، فجعلت إذا رأيت رجلاً ذا رُواءٍ[1] وذا قشرٍ طَمَح إليه بصري لأرى رسول الله فوق الناس ، حتى جاء رجل ؛ فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال : وعليك السلام ورحمة الله . وعليه - تعني النبي ﷺ - أسمالُ مُلَيّتَيْن ، كانتا مزعفرتين[2] وقد نفضتا ؛ ومعه عُسَيِّب نخلة مقْشُوٌّ غيرَ خُوصتين من أعلاه ؛ وهو قاعد القُرفصاء . فلما رأيت رسول الله ﷺ متخشّعاً في الجلسة أرعدت من الفَرَق ، فقال جليسُه : يا رسول الله ، أرعدت المسكينة . فقال رسول الله ﷺ ، ولم ينظر إليّ وأنا عند ظهره : يا مسكينة ، عليك السكينة . قالت : فلما قالها ﷺ أذهب الله ما كان دخل في قلبي من الرعب . وتقدّم صاحبي أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه ، ثم قال : يا رسول الله ، اكتب بيننا وبين تميم كتاباً بالدَّهناء[3] لا يُجاوزها إلينا منهم إلا مسافرٌ أو مجاوز .

قال : يا غلام ، اكتب له بالدهناء.

قالت : فلما رأيته أمر بأن يُكتب له ؛ شخِصَ بي ، وهي وطني وداري ؛ فقلت يا رسول الله ؛ إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك ؛ إنما هذه

---

١ - الرواء: حسن المنظر .

٢ - مزعفرتين: مصبوغتين بالزعفران وهو نبت أصفر يستخرج منه صباغ .

٣ - الدهناء: ديار في بني تميم معروفة .

الدهناء مُقيَّدُ الجمل ومَرعى الغنم ، ونساء بني تميم وابناؤها وراء ذلك . فقال : إمسك يا غلام ، صدقت المسكينة : المسلم أخو المسلم ، يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتّان .

فلما رأى حُريث أن قـد حيل دون كتابه ، قال : كنت أنا وأنت كما قال في المثل : حتفَها تحملُ ضأنٌ بأظلافها : فقلت : أمَا والله ما علمت إن كنتَ لدليلاً في الظلماء ، جواداً لدى الرَّحل ، عفيفاً عن الرفيقة حتى قدمنا على رسول الله ﷺ ، ولكن لا تلمني أن أسأل حظي إذ سألت حظَّك . قال : وأيّ حظٍ لك في الدهناء لا أبا لك.

قلت مقيّد جملي ـ تريده لجمل امرأتك ـ! فقال: لا جرم إني أُشهد رسول الله أني لك أخٌ ما حييت ؛ إذ اثنيتِ عليّ عنده . فقلت : أمّا إذ بدأتها فلن اضيّعها . فقال رسول الله ﷺ : أَيُلامُ ابنُ هذه أن يفصل الخُطة ، وينتصر من وراء الحَجَزة . فبكيتُ ثم قلت : فقد والله ولدته يا رسول الله حراماً ، فقاتل معك يوم الرَّبذة ، ثم ذهب يمتري من خيبر ، فأصابته حُمّاها فمات فقال : لو لم تكوني مسكينة لجررناك على وجهك . أيُغلب أحَيْدُكم على أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً ، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع ثم قال : ربِّ آسِني لما امضيت ، وأعنّي على ما أبقيت . فوالذي نفسَ محمد بيده إنَّ احدكم ليبكي فيستعبر له صويحبه ؛ فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم ثم كتب لها في قطعة أدم أحمر : لقَيلة والنسوة من بنات قيلة يُظلمن حقاً ، ولا يُكرهن على مَنكح ، وكل مؤمن مسلم لهنّ نصير . أحْسِنَّ ولا تُسِئْنَ .

* * *

قريبة يخطبها أربعة عشر رجلاً

قال العتبي : خطبَ قريبةَ ابنةَ حرب أخت أبي سفيان بن حرب، أربعة عشر رجلاً من أهل بدر، فأبتهم وتزّوجت عقيل بن أبي طالب. قالت: إن عقيلاً كان مع الأحبة يومَ قُتلوا، وإن هؤلاء كانوا عليهم! ولاحَتْه يوماً فقالت: يا عقيل، اين أخوالي؟ أين أعمامي؟ كأنَّ أعناقهم أباريق الفضة! قال لها: إذا دخلت النار فخذي على يسارك .

لُبانة ترثي زوجها قبل أن يبني بها

قال الهلالي : تزوّج محمد بن هارون الرشيد لُبانة بنت عليّ بن ريطة ، وكانت من أجمل النساء ، فقُتل محمد عنها ولم يبنِ بها[1] ، فقالت:

أبكيكَ لا للنّعيم والأُنسِ ... بل للمعالي والرُّمح والفرسِ
يا فارساً بالعراء مُطّرحاً ... خانتْه قُوّادُه مع الحرسِ
أبكي على سيّدٍ فُجعت به ... أرملني قبل ليلةِ العرسِ
أم مَن لِبِرٍّ أم مَن لعائدةٍ ... أم مَن لذِكرِ الإلّه في الغَلسِ[2]
مَن للحروبِ التي تكون لها ... إن أُضْرِمت نارها بلا قبسِ

لبابة بنت عبد الله تميط الأذى عن التفاحة

كان عليّ بن عبد الله بن عباس سيّداً شريفاً عابداً زاهداً ، وكان يُصلّي في كل يوم ألفَ ركعة ، وقد ضربه الوليد لأنه تزوّج لبابة بنت عبد الله بن جعفر ؛ وكانت عند عبد الملك بن مروان ، فعضّ تفاحة ورمى بها إليها ، وكان أبخر[1] ؛ فدعتْ بسكين ، فقال لها [عبد الملك] : ما تصنعين به ؟ قالت : أُميط عنها الأذى ! فطلّقها ، فتزوّجها علي بن عبد الله بن عباس ، فضربه الوليد وقال : إنما تتزوّج أمهاتِ أولاد الخلفاء لتضع منهم ـ لأن مروان بن الحكم إنما تزوّج أم خالد بن يزيد ليضع منه ـ فقال علي بن عبد الله بن عباس : إنما أرادت الخروج من هذه البلدة ، وأنا ابن عمّها ، فتزوجتُها لان أكون لها محرماً .

لبنى يطلقها قيس بن الذريح وتتبعها نفسه

طلّق قيس بن الذريح امرأته لبنى وتبعتها نفسه ، وكان أبوه أمره بطلاقها فطلّقها وندم ؛ فقال في ذلك :

فواكَبِدي على تسريح لُبْنَى ... فكان فراقُ لُبْنى كالخِداعِ

---

١ ـ لم يبن بها: لم يواقعها .
٢ ـ الغلس: ظلمة آخر الليل .
١ ـ بخر الفمُ: أنتن ريحه فهو أبخر .

تكنّفني الوشاةُ فأزعجوني   فيا للناس للواشي المطاعِ
فأصبحت الغداةَ ألوم نفسي   على أمرٍ وليس بمستطاعِ
كمغبونٍ يَعضُّ على يديه   تبيَّن غَبنُهُ بعد البياعِ

ولُبنى هي بنت الحباب الكعبية ، صاحبة قيس بن ذُريح . وكانت امرأةً مديدة القامة شهلاء[1] حلوة المنظر والكلام . فلما رآها قيس وقعتْ في نفسه وسأل أباه ان يزوّجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بنيّ ، عليك بإحدى بنات عمّك فهنّ احق بك . فأتى قيس الحسينَ بن علي فشكا إليه ، فأتى الحسين رضي الله عنه ذَريحاً وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له . فقال لذَريح : أقسمتُ عليك إلاّ خطبتَ لُبنى لابنك قيس . قال : السمعَ والطاعة لأمرك . فخرج معه في وجوهٍ من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوّجه إيّاها ، وزُفّت إليه بعد ذلك .

فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحد من صاحبه شيئاً ، وكان ابرَّ الناس بأمّه ، فألهتْه لُبنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمُّه في نفسها وقالت : لقد شغلتْ هذه المرأة ابني عن برّي ؛ ولم يَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض مرضاً شديداً . فلما برأ من علّته قالت أمُه لأبيه : لقد خشيتُ ان يموت قيس وما يترك خلَفاً وقد حُرِم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذو مالٍ فيصير مالك إلى الكلالة[2] ، فزوِّجه بغيرها لعلّ الله ان يرزقه ولداً ، وألحّت عليه في ذلك .

فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع دعاه فقال : يا قيس ، إنك اعتللتَ هذه العلّة فخفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك . وهذه المرأة ليست بوَلود ؛ فتزوَّج إحدى بنات عمّك لعلّ الله ان يهبَ لك ولداً تَقرُّ به عينُك وأعينُنا .

فقال قيس : لستُ متزوّجاً غيرها ابداً . فقال له أبوه : فإن في مالي سعةً فتَسَرُّ بالإماء . قال : ولا أسوءها بشيءٍ ابداً والله . قال أبوه : فإني أقسم عليك إلاّ طلّقتها . فأبى . وقال : الموتُ واللهِ عليّ أسهلُ من ذلك ، ولكني أخيِّرك

١ ـ عين شهلاء: يخالط سوادها زرقة .
٢ ـ الكلالة: الزوال .

خصلةً من ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوّج أنت لعلّ الله ان يرزقك ولداً غيري . قال : فما فيَّ فضلة لذلك . قال : فدَعني أرتحلْ عنك بأهلي واصنعْ ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علتي هذه . قال : ولا هذه . قال : فأدَعُ لُبنى عندك وارتحلُ عنك فلعلّي أسلوها فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي . قال : لا أرضى أو تطلّقها ، وحلَف لا يكُنُّه سقفُ بيتٍ أبداً حتى يطلّق لبنى .

فكان يخرج فيقف في حرّ الشمس ، ويجيء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيُظلّه بردائه ويَصْلى هو بحرٍّ الشمس حتى يفيءَ الفيءُ فينصرف عنه ، ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له : يا قيس ، لا تُطعْ أباك فتهلكَ وتهلكني . فيقول : ما كنت لأطيعَ احداً فيك ابداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنةً وقيل : أربعين يوماً ثم طلّقها .

ندمه على طلاقه لبنى:

ورووا في خبر طلاقه أنه لما بانت لبنى بطلاقها إيّاه ، وفُرغ من الكلام . لم يلبث حتى استُطير عقلُه وذُهبَ به ولحقه مثل الجنون . وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحرَّ نشيج . وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها ، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدّتُها وقيس يدخل عليها .

فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبإبل تحمل أثاثها . فلمّا رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : ويحك ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني وسَلْ لبنى . فذهب ليُلمَّ بخبائها فيسألها فمنعه قومها . فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل ! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً ، فَسَقَطَ مغشياً عليه . فلما ارتحل قومها ، وعلم أن أباها يمنعه من المسير معها ، وقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكرَّ راجعاً ونظر إلى اثر خُفِّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبّله ورجع يقبّل موضعَ مجلسها وأثر قدميها . فَلِيمَ على ذلك وعنّفه قومُه على تقبيل التراب . فقال :

وما أحببتُ أرضَكم ولكن ... اقبِّلُ إثرَ مَن وطىءَ الترابا
لقد لاقيتُ من كَلَفي بلبُنى ... بلاءً ما أُسيغُ به الشرابا

إذا نادى المنادي باسم لبنى عَييتُ فما اطيق له جوابا

نهاية قيس ولبنى:

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولبنى ؛ فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها .

وقيل : ماتت لُبنى ، فخرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال :

ماتت لبنى فموتُها موتي هل تنفعَنْ حسْرتي على الفَوتِ
وسوف أبكي بكاء مكتئبٍ قضى حياةً وجْداً على ميتِ

ثم اكبّ على القبر يبكي حتى أغمي عليه ؛ فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلّماً ثلاثاً حتى مات فدُفن إلى جنبها .

لؤلؤة يعتقها صاحبها

قال شبيب بن شيبة : لقيت أعرابياً في طريق مكة ، فقال لي : تكتب ؟ قلت : نعم . قال : ومعك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كُمّه ، ثم قال : اكتب ولا تزِدْ حرفاً ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عُقيل الطائي لأمَية لؤلؤة : إني أعتقتُك لوجه الله واقتحام العقبة ، فلا سبيل لي ولا لأحدٍ عليكِ إلا سبيل الولاء ، والمنةُ عليّ وعليك من الله وحدَه ، ونحن في الحق سواء . ثم قال : اكتب شهادتك .

ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن حُمَير(١)

هي ليلى بنت عبد الله بن الرّحال ـ وقيل ابن الرحّالة ـ بن شدّاد بن كعب ابن معاوية ، وهو الأخْيَلُ وهو فارس الهرّار ، ابن عُبادة بن عُقيل بنَ كعب بن

١ ـ توبة بن الحُميِّر: أبو حرب، شاعر من عشاق العرب المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية، وخطبها ، فردها أبوها، وزوجها غيره. فانطلق يقول الشعر مشبباً بها، واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره. قتله بنو عوف بن عقيل سنة ٨٥ هـ (الأغاني ١٠ طبعة دار الكتب العلمية).

ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدّمات في الشعر من شعراء الإسلام . وكان توبة بن الحُمَيِّر يهواها .

قال أنيس العامري : كان توبة بن الحُمَيِّر احد بني الأسدية ، وكان يتعشّق ليلى بنت عبد الله ويقول فيها الشعر ، فخطبها إلى أبيها فأبى ان يزوّجه إيّاها وزوّجها في بني الأدلع . فجاء يوماً لما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم يَر منها إليه بشاشةً ، فعلم أن ذلك لأمرٍ ما كان ، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى ، وبلَغ بني الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتْك بليلى دارُها لا تزورُها وشطَّتْ نواها واستمرّ مريرُها[1]

وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنتُ اذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقد رابني منها الغداة سفورُها[2]

ليلى ومعاوية :

قال أبو عمرو بن العلاء : سأل مُعاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيليّة عن توبة بن الحُمَيِّر فقال : ويحكِ يا ليلى ! أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً ، والناس شجرةُ بَغْيٍ يحسدون أهل النعَم حيث كانوا وعلى من كانت . ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنان[3] ، حديدَ اللسان ، شجا للأقران[4] ، كريم المَخبر ، عفيفَ المئزر ، جميلَ المنظر . وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتِ له ؟ قالت : قلت ولم أتعدَّ الحقَّ وعلمي فيه :

بعيدُ الثّرى لا يبلغُ القومُ قعرَه ألدُّ مُلِدٌّ يغلب الحقَّ باطلُه[5]
إذا حلّ ركبٌ في ذَراه وظلِّهِ ليمنَعَهم ممـا تُخافُ نـوازلُهُ

---

١ - شطَّت: بعُدت .
٢ - تبرقعت: لبست البرقع وهو ما تستر به المرأة وجهها .
٣ - سبط البنان: طويله .
٤ - الأقران: جمع قرين وهو الصاحب والشريك .
٥ - الألدُّ: شديد الخصومة .

حماهم بنصل السَّيف من كلّ فادحٍ يخافونه حتى تموتَ خصائلُه[1]

فقال لها معاوية : ويحك ! يزعمُ الناس أنه كان عارهاً خارباً[2]. فقالت من ساعتها :

معاذَ إلّهي كان واللهِ سيداً جواداً على العِلّات جمّاً نوافلُه[3]
عفيفاً بعيدَ الهمِّ صُلباً قناتُه جميلاً محيّاهُ قليلاً غوائله
وقد عَلم الجوعُ الذي بات سارياً على الضيف والجيران انّك قاتله

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى ! لقد جُزْتِ بتوبةَ قدره . فقالت : والله يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أني مقصّرة في نعته وأني لا أبلغُ كُنه ما هو أهله . فقال لها معاويةُ : من ايِّ الرجال كان ؟ قالت :

أتتْه المنايا حين تَمَّ تمامُه وأقصر عنه كلُّ قِرنٍ يطاولُه
وكان كليث الغاب يحمي عرينَه وترضى به أشبالُه وحلائلُه
غضوبٌ حليمٌ حين يُطلبُ حِلمُه وسُمٌّ زعافٌ لا تُصابُ مَقَاتلُه

قال : فأمر لها بجائزة عظيمة .

رثاؤها لتوبة:

وقالت ترثيه :

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ يا توْبُ للضيف إذ تُدعى وللجار
وتوبُ للخصم إن جاروا وإن عدلوا وبدّلوا الأمرَ نقضاً بعد إمرار
إن يُصدروا الأمرَ تُطلعْه موارده أو يوردوا الأمر تُحللْه بإصدار

وقالت :

هراقت بنو عوفٍ دماً غيرَ واحدٍ له نبأٌ نَجْدِيُّه سَيَغُورُ[4]
تداعتْ له أَمَناء عوفٍ ولم يكن له يوم هَضبِ الردهتين نصيرُ

---

١ ـ الفادح: الصعب المثقل .
٢ ـ خارباً: جباناً .
٣ ـ النوافل: جمع نافلة أي العطاء .
٤ ـ هراقت: أراقت .

وقالت :

يا عينُ بَكِّي بدمعٍ دائم السَّجَمِ وابكي لتوبةَ عند الرَّوْع والبُهَمِ[1]

ليلى والحجاج:

دخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته :

إذا وردَ الحَجاجُ أرضاً مريضةً تتبَّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضالِ الذي بها غلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها

فقال لها: لا تقولي غلام، ولكن قولي: همام. ثم قال: أي النساء أحبُّ إليك أُنزِلُك عندها؟ قالت: ومَن نساؤك أيها الأمير؟ قال: أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية. قالت: القيسية أحبّ إليّ. فلما كان من الغد دخلت عليه. قال: يا غلام، أعطيها خمسمائة. قالت: أيها الأمير، أحسبها أُدْماً. قال قائل: إنما أمر لك بشاء. قالت: الأمير اكرمُ من ذلك. فجعلها إبلاً على استحياء، وإنما كان أمر لها بشاءٍ أولاً.

وفاة ليلى الأخيلية:

قالوا: إن ليلى الأخيلية أقبلتْ من سفر، فمرّت بقبر توبةَ ومعها زوجُها وهي في هودج لها. فقالت: والله لا أبرح حتى اسلّم على توبة، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلاّ أن تُلمَّ به. فلما كثُر ذلك منها تركها، فصعدتْ أكمةً عليها قبرُ توبة، فقالت: السلام عليك يا توبةُ، ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفتُ له كِذبةً قطّ قبل هذا. قالوا: وكيف؟

ولو أن ليلى الأخيليّة سلّمتْ عليّ ودوني تُربةٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائحُ
وأُغبَطُ من ليلى بما لا أنالُه ألاَ كلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالحُ[2]

---

١ ـ البُهم: جمع بهمة، وهو الشجاع الذي يُستبهم مأتاه على أقرانه.
٢ ـ أغبط: أحسد.

فما بالُه لم يُسلِّم عليّ كما قال ؟ . . . وكانت إلى جانب القبر بومةٌ كامنةٌ ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابه فزِعتْ وطارت في وجه الجمل ، فنفر فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفنتْ إلى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

ليلى العامريّة والمجنون

[هي ليلى بنت مهدي بن سعد ، أم مالك ، العامرية ، من بني كعب بن ربيعة] .

قالوا : كان سبب عشق المجنون ليلى ؛ انه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها جماعةُ نسوة يتحدّثن ، فيهنّ ليلى ، فأعجبهنّ جمالُه وكمالُه ، فدعَوْنه إلى النزول والحديث ، فنزل وجعل يحدّثهن وأمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقتَه ، وظلَّ يحدّثهنَّ بقية يومه ، فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم فتىً عليه بُردةٌ من بُرَد الأعراب يقال له « مُنَازِل » يسوق معزىً له ، فلما رأيْنَه أقبلْنَ عليه وتركْنَ المجنون وخرج من عندهنّ .

فلمّا أصبح عاد فألفى ليلى قاعدة بفناء بيتها وقد عَلق حبُّه بقلبها وهَوِيَتْه . فبينا هي تحدّثه ، إذ أقبل فتًى من الحي فَدَعَتْه وسارّته سراراً طويلاً ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيّر وانتُقِعَ لونُه وشقَّ عليه فعلُها فأنشأت تقول :

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً   وكلٌّ عند صاحِبه مكينُ(1)
تبلِّغُنا العيونُ بما أردنا   وفي القلبين ثَمَّ هوىً دفينُ

فلما سمع البيتين شَهَقَ شهقةً شديدة وأُغميَ عليه ، فمكث على ذلك ساعةً ، ونضحوا الماءَ على وجهه [حتى أفاق] وتمكّن حبُّ كل واحدٍ منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مَبلغ .

ولمّا شُهِر أمر المجنون وليلى وتناشد الناسُ شِعرَه فيها ، خطبها وبذل لها

١ ـ مكين : متين وراسخ .

خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيْلي وبذل لها عشراً من الإبل وراعيَها ، فقال أهلُها : نحن مخيِّروها بينكما ، فمن اختارت تزوّجته ، ودخلوا إليها فقالوا : واللهِ لئن تختاري وَرْداً لَنُمثِّلَن[1] بك ، فاختارت ورداً وتزوجته على كرهٍ منها .

قال يونس النحوي : لما اختلط عقلُ قيس بن الملّوح وترك الطعام والشرابَ ، مضت أمُّه إلى ليلى فقالت لها : إن قيساً قد ذهب حبُّكِ بعقله ، وترك الطعام والشراب ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ ان يثوب إليه بعض عقله ، فقالت ليلى : أمّا نهاراً فلا ، لأنني لا آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً ، فأتته ليلاً فقالت له : يا قيس ، إنَّ امّك تزعمُ إنك جُنِنتَ من أجلي وتركت المطعَمَ والمشرب ، فاتقِ الله وأبقِ على نفسك ، فبكى وأنشأ يقول :

قالت جُنِنْت على أيشٍ فقالت لها ... الحبُّ اعظمُ ممّا بـالمجانينِ[2]
الحبُّ ليس يُفيقُ الدَّهرَ صاحبُه ... وإنّما يُصرعُ المجنونُ في الحينِ

قال : فبكت معه ، وتحدّثنا حتى كاد الصبح أن يُسفر ، ثم ودّعتْه وانصرفت ، فكان آخر عهده بها .

وبلغ قيساً أن ليلى بالعراق مريضة ، فقال :

يقـولون ليلى بـالعراق مـريضـةٌ ... فما لك تجفوها وأنت صـديقُ
شفى الله مرضى بالعراق فإنني ... على كـلّ شاكٍ بـالعراق شفيقُ

خبر ماردة والرشيد

ذكر محمد بن عامر الحنفي قال : إن فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد ، كلهم ابن نعمة ، وكلهم قد شَرَدَ عن أهله وقنع بأصحابه ، فذكر ذاكر منهم قال :

كنا قد اكترينا داراً شارعة على أحد طرق بغداد المعمورة بالناس ، وكنا نُفْلِس أحياناً ونُوسر أحياناً ، على مقدار ما يمكن الواحدَ من أهله ؛ وكنا لا ننكر

١ ـ مثّل به : نكّل به .
٢ ـ أيش : أي شيء .

أن تقع مئونتُنا على واحد منا إذا أمكنه ، ويبقى الواحد منا لا يقدر على شيء ، فيقوم به أصحابهُ الدهرَ الأطول ، وكنا إذا أيسرنا أكلنا من الطعام أليَنه ، ودعونا المَلْهِينَ والملهيات ، وكان جلوسنا في أسفل الدار ، فإذا عدمنا الطربَ جلسنا في غرفة لنا نتمتع منها بالنظر إلى الناس ؛ وكنا لا نَخلّ بالنبيذ في عسر ولا يسر ؛ فإنا لَكذلك يوماً إذا بفتى يستأذن علينا ، فقلنا له : اصعد . فإذا رجل نظيف ، حلو الوجه ، سريّ الهيئة ، ينبيء روَاؤه على أنه من أبناء النعم ؛ فأقبل علينا فقال : إني سمعت مجتمَعَكم ، وحُسْنَ منادمتكم ؛ وصحة ألفتكم ، حتى كأنكم أدرجتم جميعاً في قالب واحد : فأحببت أن أكون واحداً منكم فلا تحتشموا .

قال : وصادف ذلك منا إقتاراً من القوت ؛ وكثرة من النبيذ ، وقد كان قال لغلام له : أول ما يأذنون لي أن أكون كأحدهم ، هات ما عندك . فغاب الغلام عنا غير كثير ، ثم أتانا بسلة خيزران ، فيها طعام المطبخ ، من جدي ، ودجاج ، وفراخ ، ورقاق ، وأشنان ، ومحلب ، وأخلة ؛ فأصبنا من ذلك ، ثم أفضْنا في شرابنا .

وانبسط الرجل ، فإذا هو أحلى خلق الله إذا حدّث ، وأحسنهم استماعاً إذا حُدِّث ، وأمسكهُم عن ملاحاةٍ إذا خولف ؛ ثم أفضينا منه إلى أكرمِ مخالقة ، وأجمل مساعدة ؛ وكنا ربما امتحناه بأن ندعوه إلى الشيء الذي نعلم أنه يكرهه ، فيُظهر لنا أنه لا يحب غيره ، ويُرى ذلك في إشراق وجهه ؛ فكنا نَغني به عن حسن الغناء ، ونتدارس أخباره وآدابه ؛ فشغلنا ذلك عن تعرُّف اسمه ونسبه ، فلم يكن منا إلا تعرّف الكنية ، فإنا سألناه عنها فقال : أبو الفضل .

فقال لنا يوماً بعد اتصال الأنس : ألا أخبركم بِمَ عرفتكم ؟ قلنا : إنا لنحب ذلك . قال : أحببت جارية في جواركم ، وكانت سيدتها ذات حبائب ؛ فكنت أجلس لها في الطريق ألتمس اجتيازها ، فأراها ؛ حتى أخلقَني الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه ، فسألت عن خبرها ، فخُبرت عن ائتلافكم وتمالُئكم ، ومساعدة بعضكم بعضاً ؛ فكان الدخول فيما أنتم فيه أسرّ عندي من الجارية . فسألناه عنها فخبرنا ، فقلنا له : نحن نختدعها حتى نظْفِرَك بها !

فقال : يا إخواني ، إني والله على ما تَرْونَ مني من شدة الشغف والكلف بها ، ما قدّرت فيها حراماً قط ولا تقديري إلا مطاولتها ومصابرتها إلى أن يَمُنَّ الله بثروة فأشتريها ! .

فأقام معنا شهرين ، ونحن على غاية الاغتباط بقربه ، والسرور بصحبته ، إلى أن اختُلس منا ، فنالنا بفراقه ثكل مُمضّ ، ولوعة مؤلمة ، ولم نعرف له منزلاً نلتمسه فيه ؛ فكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، وقُبح عندنا ما كان حُسنَ بقربه ، وجعلنا لا نرى سروراً ولا غمّاً إلا ذكرناه ، لاتصال السرور بصحبته وحضوره ، والغمِّ بمفارقته ؛ فكنا فيه كما قال الشاعر :

يُـذكِّرُنيهم كـلُّ خيـر رأيتـه وشرّ، فما أنفَك منهم على ذكر

فغاب عنا زهاء عشرين يوماً ، فبينما نحن مجتازون يوماً من الرصافة ، إذا به قد طلع في موكب نبيل ، وزيٍّ جليل ؛ فلما بصُر بنا انحط عن دابته وانحط غِلمانه ، ثم قال : يا إخواني ، والله ما هَنأني عيش بعدكم ، ولست أُماطلُكم بخبري حتى آتي المنزل ، ولكن ميلوا بنا إلى المسجد . فملنا معه ، فقال : أُعرِّفكم أولاً بنفسي ، أنا العباس بن الأحنف ؛ وكان من خبري بعدكم أني خرجت إلى منزلي من عندكم ؛ فإذا المسوِّدة محيطة بي ، فمُضِيَ بي إلى دار أمير المؤمنين الرشيد فصرت إلى يحيى بن خالد ، فقال لي : ويحك يا عباس ! إنما اخترتك من ظرفاء الشعراء ، لقرب مأخذك ، وحُسن تأتِّيك ؛ وإن الذي ندبتك له من شأنك ؛ وقد عرفت خطرات الخلفاء ، وإني أخبرك أنّ ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين اليوم ، وأنه جرى بينهما عتب ؛ فهي بدالة المعشوق تأبى أن تعتذر ، وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ؛ وقد رُمت الأمر من قِبلها فأعياني ، وهو أحرى أن تستعزّه الصبابة ؛ فقل شعراً يسهِّل عليه هذه السبيل . فقضى كلامه .

ثم دعاني إلى أمير المؤمنين ، فصرت إليه وأُعطيت قرطاساً ودواة ، فاعتراني الزَّمَع وأذهب عني ما أريد الاستحثاثُ ؛ فتعذرت عليّ كلُّ عَروض ، ونفرَتْ عني كل قافية ؛ ثم انفتح لي شيء ، والرسل تعنتني ؛ فجاءتني أربعة أبيات رضيتُها ، وقعتْ صحيحةَ المعنى ، سهلة الألفاظ ، ملائمة لما طُلب

مِني ؛ فقلت لأحد الرسل : أبلغ الوزير أني قلت أربعة أبيات ، فإن كان بها مَقنع وجهتُ بها . فرجع إليّ الرسول بأن هاتِها ، ففي أقل منها مقنع . وفي ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الرويّ ، فكتبت الأبيات الأربعة في صدر الرقعة ، وعقّبت بالبيتين ، فقلت :

العاشِقَانِ كلاهما مُتغضِّبُ وكلاهما مُتوجِّدٌ مُتعتِّبُ
صدّت مُغاضبةً وصد مُغاضباً وكلاهما مما يعالج مُتْعبُ
راجع أحِبّتك الذين هجرْتَهُم إن المُتيَّمَ قلما يتجنّب
إنّ التجنُّبَ إن تطاول مِنكما دَبّ السُّلوُّ لهُ فعزّ المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لا بُدّ للعاشِقِ من وقفةٍ تكونُ بين الهَجْرِ والصرمِ
حتى إذا الهجرُ تَمادى به راجَعَ من يهوى على رغم

ثم وجهت بالكتاب إلى يحيى بن خالد ، فدفعه إلى الرشيد ، فقال : والله ما رأيت شعراً أشبهَ بما نحن فيه من هذا ، والله لكأني قصِدْتُ به ! فقال له يحيى : وأنت والله يا أمير المؤمنين المقصود به ؛ هذا يقوله العباس بن الأحنف في هذه القصة . فلما قرأ البيتين وأفضى إلى قوله :

* راجَعَ مَن يَهوى على رغمِ *

استغرب ضاحكاً حتى سمعت ضَحِكه ، ثم قال : إي والله ، أراجع على رغم ! يا غلام ، هات نعلي . فنهض ، وأذهله السرور عن أن يأمر لي بشيء ؛ فدعاني يحيى وقال : إن شعرك قد وقع بغاية الموافقة ، وأذهل أمير المؤمنين السرر عن أن يأمر لك بشيء . قلت : لكن هذا الخبر ما وقع مني بغاية الموافقة ! .

ثم جاء غلام فساره ، فنهض وثبت مكاني ثم نهضت بنهوضه ؛ فقال لي : يا عباس ، أمسيت أنبل الناس ؛ أتدري ما سارّني به هذا الرسول ؟ قلت لا . قال : ذَكر لي أن ماردة تلقّت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، كيف كان هذا ؟ فناولها الشعر ، وقال : هذا أتى بي إليك !

قالت : فمن يقوله ؟ قال : عباس بن الأحنف . قالت : فبِمَ كوفىء ؟ قال : ما فعلت شيئاً بعدُ . قالت : إذاً والله لا أجلس حتى يكافأ ! قال : فأمير المؤمنين قائم لقيامها وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين ، وهما يتناظران في صلتك ، فهذا كله لك . قلت : ما لي من هذا إلا الصلة ! هذا أحسنُ من شعرك .

قال : فأمر لي أمير المؤمنين بمال كثير ، وأمرت لي ماردة بمال دونه ، وأمر لي الوزير بمال دون ما أمرت به وحُملتُ على ما ترون من الظَّهر ؛ ثم قال الوزير : من تمام اليدِ عندك أن لا تخرج من الدار حتى يؤهِّل لك هذا المال ضياعاً . فاشتريتْ لي ضياعٌ بعشرين ألف درهم ، ودُفع إليّ بقية المال .

فهذا الخبر الذي عاقَني عنكم ، فهلموا حتى أُقاسمكم الضِّياع ، وأفرق فيكم المال قلنا له : هنأك الله ، فكل منا يرجع إلى نعمةٍ من أبيه . فأقسم وأقسمنا فقال : فتكونون أُسْوتي فيه . فقلنا : أما هذه فنَعم . قال : فامضوا بنا إلى الجارية حتى نشتريها . فمشينا إلى صاحبها ، وكانت جارية جميلة حلوة ، لا تحسن شيئاً ، أكثر ما فيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل ، وكانت تساوي على وجهها خمسين ومائة دينار ؛ فلما رأى مَولاها ميل المشتري ، استام بها خمسمائة ، فأجبناه بالعجب فحطّ مائة ، ثم قال العباس : يا فتيان ، إني والله أحتشم أن أقول بعد ما قلتم ، ولكنها حاجة في نفسي ، بها يتم سروري ، فإن ساعدتم فعلت . قلنا له : قل قال هذه الجارية أنا أعاينها منذ دهر ، وأريد إيثارَ نفسي بها ؛ فأكره أن تنظر إليّ بعين مَن قد ماكس في ثمنها ! دعوني أعطيه بها خمسمائة دينار كما سأل ! قلنا له : وإنه قد حط مائتين . قال : وإن فعل . قال : فصادفت من مولاها رجلاً حرّاً ، فأخذ ثلثمائة وجهزها بالمائتين ! .

فما زال إلينا محسناً حتى فرق الموت بيننا .

مارية القبطية هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت أمها روميّة ، وكانت مارية بيضاء جميلة ، فأهداها صاحب الاسكندرية إلى رسول الله ﷺ سنة ٧ هـ . ومعها أختها سيرين وألفُ مثقالٍ ذهباً وعشرون ثوباً ليناً وبغلته وحماره ومعهم خصي . وبعث كل ذلك مع حاطب

ابن أبي بلتعة . عرض حاطب على مارية الإسلام ورغّبها فيه فأسلمت وأسلمت اختها وأقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ . أعجبَ رسول الله بمارية وأنزلها بالعالية[1] ، وكان ﷺ يختلف إليها هناك ، وَضرب عليها الحجاب . ولدت مارية إبراهيم فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن النجار ، فكانت ترضعه . وقال ابن عباس : لما ولدت أمُّ إبراهيم ، قال رسول الله ﷺ : أعتَقَها ولدُها .

وغارت نساء رسول الله ﷺ واشتدت عليهن الغيرة حين رزقت منه الولد . فقالت عائشة أم المؤمنين : ما غرتُ على امرأة إلاّ دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة واعجب بها رسول الله ﷺ ، وكان أنزلها أولَ ما قدِم بها في بيتٍ لحارثة بن النعمان ، فكانت جارتَنا ، فكان رسول الله ﷺ يقضي عامة النهار والليل عندها ، حتى فرغنا لها ، فجزعت فحُوِّلَت إلى العالية ، فكان يختلف إليها هناك ؛ فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزق الله منها الولد وحرمناه منه .

وقد انفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه على مارية بعد وفاة النبي ﷺ حتى توفي . وتكفّل بذلك بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى توفيت في خلافته سنة ١٦ هـ . فرؤي عمر بن الخطاب يحشر الناس لشهود جنازتها . وصلّى عليها عمر رضي الله عنه ودفنت بالبقيع[2] بالمدينة .

المتجردة «زوج النعمان بن المنذر»

نصيحة تؤدي إلى الهلاك :

لما قَتل النعمانُ عديَّ بن زيد العبادي ـ وهو من بني امرىء القيس بن سعد بن زيد ـ سار ابنُه زيد بن عدي إلى كسرى فكان من تراجمته وكان النعمان عند كسرى ، فحمله عليه ، فهرب النعمان حتى لحق ببني رواحة من عبس ، واستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي ؛ ثم إن النعمان تحول

---

١ ـ العالية: في الحجاز وهي أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً. معجم البلدان٤ ٧١).
٢ ـ البقيع: موضع بالمدينة (معجم البلدان١ ٤٧٤).

حيناً في أحياء العرب ، ثم أشارت عليه امرأتُه المتجردةُ ان يأتي كسرى ويعتذر إليه ، ففعل ، فحبسه بساباط حتى هلك ، ويقال أوطأه الفيلة .

المتجردة تصرخ لموت خالد:

أتى الحارث بن ظالم [في يوم النفراوات] خالداً بن جعفر في قبته وهو نائم فقتله ، فنادى عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر عند ذلك : واجوارَ الملك ! فأقبل إليه الناس ، وسمع الهتافَ الاسود بن المنذر وعنده المتجردة ، فشقّت جيبها وصرخت . وفي ذلك يقول عبد الله بن جعدة :

شقّت عليكَ العامريةُ جيبَها   أسفاً وما تبكي عليك ضلال
يا حارِ لو نبّهتَه لوجَدْتَـه   لا طائشاً رعشاً ولا مِهزالا
واغرورقتْ عيناي لمّا أُخبرت   بالجعفريّ وأسبلت إسبـالا
فلنقتلنّ بخـالـدٍ سـرواتِكُمْ   ولنجعَلنْ للظالمينَ نكالا[1]
فإذا رأيتم عارضـاً متهللاً   منّا فإنـا لا نحاول مـالا

خبرها مع النابغة الذبياني :

قال عمر بن شبّة : إن الذي من أجله هرب النابغةُ من النعمان أنه كان والمنخّل بن عبيد بن عامر اليشكري جالسَيْن عنده ، وكان النعمان دميماً ابرش[2] قبيح المنظر ، وكان المنخّل بن عبيد من أجمل العرب ، وكان يُرمى بالمتجرّدة زوجة النعمان ، ويتحدّث العرب ان ابني النعمان منها كانا من المنخّل . فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صفِ المتجرّدةَ في شعرك ، فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنَها وروادفَها وفَرْجَها . فلحقت المنخّل من ذلك غَيْرةٌ ، فقال للنعمان : ما يستطيع ان يقولَ هذا الشعر إلاّ من جرَّبه . فوقَر ذلك في نفس النعمان ، وبلغ النابغة فخافه فهرب فصار في غسّان .

وقيل : إن النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصّاً به ، وكان من ندمائه وأهل

---

١ ـ السروات: الأبطال. نكالاً: عذاباً .
٢ ـ الأبرش: مَن كان على جلده نقط بيض أو يخالف لونها لون جلده .

أنسه ، فرأى زوجتَه المتجرّدة يوماً وغَشيها تشبيهاً بالفجاءة[1] ، فسقط نصيفُها[2] واستترت بيدها وذراعها ، فكانت ذراعُها تستر وجهها لعبالتها[3] وغلظها ؛ فقال قصيدته التي أولها :

أمِنْ آل ميةَ رائحٌ أو مغتدي ... عجلانا ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ
زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً ... وبذاك تنعابُ الغرابِ الاسودِ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلًا به ... إن كان تفريقُ الأحبّةِ في غدِ

إلى أن يقول :

سقط النصيفُ ولم تُرِدْ اسقاطَه ... فتناولتْه واتّقتنا باليدِ
بمُخضَّب رخصٍ كأنَّ بنانَه ... عَنَمٌ على أغصانه لم يُعقَدِ[4]
وبفاحمٍ رجلٍ اثيثٍ نبتُه ... كالكرْمِ مال على الدّعام المسندِ[5]
فإذا لمستَ لمستَ أجثَمَ جاثماً ... متميزاً بمكانه ملءَ اليدِ[6]
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ ... رابي المجسَّة بالعبير مقرمدِ[7]
وإذا نزعتَ نزعتَ عن مستحصفٍ ... نزعَ الجَزور بالرشاء المحصدِ[8]

مجيبة الحمقاء

كان بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها مجيبة . ففقد عيناوةُ [من مجانين الكوفة] فتىً كان أرضعته مجيبة ؛ فقال له لما وجده : كيف لا تكون أرعن ومجيبة أرضعتْك ؟ فوالله لقد زقّتْ لي فرخاً فما زلتُ أرى الرعونة في طيرانه .

---

١ ـ الفجاءة: ما فاجأك .
٢ ـ النصيف: الخمار .
٣ ـ العبالة: ضخامة الذراعين .
٤ ـ عنَم البنان: خضَّبه .
٥ ـ شعر رجل: بيّن الجعودة والاسترسال. وفاحم: شديد السواد. وأثّ الشعر: التفّ وكثر فهو أثيث .
٦ ـ اجثم: يكنى به عن الفرج وهو صفة له .
٧ ـ طعنت: أولجت، والمعنى ظاهر .
٨ ـ مستحصف: مستحكم ويريد به الفرْج. الرشاء: الحبل عموماً أو حبل الدلو .

مدام «جارية المازني» تهدي المدام

كتب بعض الكتّاب إلى مُدام ـ جارية المازني ـ وبعث إليها بقنينة من مُدام :

قُــلْ لِمَنْ يملكُ الفؤا   دَ وإن كـان قد مُلِكْ
قــد شــرِبنــاك مُــدَّةً   وبـعثـنـا إلـيـك بِـكْ

مراجل تقامر الرشيد

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : لاعب هارون الرشيد جاريةً من جواريه على إمرة مُطاعة ، فقَمَرتْه . قال لها : تمنَّيْ ! قالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضى فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرتْه ، فقال لها : تمنَّيْ ! فقالت : تقوم فتقطع فرداً . فقام فقضي فيها وطره ، ثم لاعبها فقمرته ، فقال لها : تمنّيْ ! فقالت : المعاودة ، فغشيها ، ثم لاعبته فقمرته . فقالت : قم لميعادك ! فقال : لا أقدر على ذلك ! قالت : فاكتب لي به عليك كتاباً آخذ به متى شئت ! قال : ذلك لك . فدعت بدواة وقرطاس ، ثم كتبت : « هذا كتاب فلانة على مولاها أمير المؤمنين : إن لي عليك قرضاً آخذك به متى شئت وأنّى شئت من ليل أو نهار . . . وكان على رأسها وصيفة ، فقالت : تزيّدي في الكتاب ، فإنك لا تأمنين الحدثان ؛ ومن قام بهذا الذكر حقّ قيامه فهو وليُّ ما فيه ! فضحك الرشيد حتى استلقى على فراشه ، واستظرفها ، وأمر بأن تنزل مقصورة وان يُجرى عليها رزقٌ سنيّ ، وشغف بها ، ويقال : إنها مراجل أم المأمون .

مزنة بنت جابر وأخوها ابجر

كان عميرة بن طارق بن حصينة تزوّج مُزنة بنت جابر ، اخت أبجر بن جابر العجلي ؛ فخرج حتى ابتنى بها في بني عجل ، فأتى أبجر اختَه مزنة امرأة عميرة يزورها فقال لها : إني لأرجو ان آتيكِ ببنت النطف امرأة عميرة التي في قومها ! فقال له عُميرة : أترضى ان تحاربني وتسبيني ؟ فندم أبجر وقال لعُميرة : ما كنتُ لأغزُوَ قومك ! ثم غزا أبجر والحوفزان متساندين ؛ هذا فيمن تبعه من

بني شيبان ، وهذا فيمن تبعه من بني اللهازم ، وساروا بعُميرة معهم قد وكلَ به أبجرُ أخاه حرفصة بن جابر ؛ فقال له عُميرة : لو رجعت إلى أهلي فاحتملتُهم ! فقال حرفصة : فعل فكر عُميرة على ناقته ، ثم نكل عن الجيش ، فسار يومين وليلة حتى أتى بني يربوع ، وأنذرهم الجيش ؟ فاجتمعوا حتى التقوا بأسفل ذي طلوح ، فأول ما كان فارس طلع عليهم عُميرة ، فنادى : يا أبجر هلمّ ! فقال : من أنت ؟ قال : أنا عُميرة ! فكذبه ، فسفر عن وجهه ، فعرفه ، فأقبل إليه ، والتقت الخيلُ بالخيل ، فأُسر الجيشُ إلاّ أقلَّهم .

مظلومة والمتوكل وعليّ بن الجهم

قال عليّ بن الجهم : دخلتُ يوماً على المتوكل ، فقال : يا عليّ ! قلت : لبّيك أميرَ المؤمنين . قال : دخلتُ الساعة إلى قبيحة ، وقد كتبت على خدِّها بالمسك اسمي ، فوالله ما رأيت سواداً في بياض أحسنَ منه في ذلك الخدّ ؛ فقل فيه شعراً . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أمظلومةٌ معي ؟ قال : نعم . ومظلومة خلف الستارة ، فدعتْ بدواة وبدرتْ بالقول ، فقالت :

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ «جعفراً» بنفسي مَخَطُّ المسكِ من حيثُ أثَّرا
لئن أودعتْ سطراً من المسك خدّها لقد أودعتْ قلبي من الحبِّ أسطرا
فيا من لمملوكٍ تملّكَ مالكاً مُطيعاً له فيما أسرَّ واظهرا
ويا من مُناها في السرائر جعفرُ سقى الله من صَوْبِ الغمامةِ جعفرا[1]

قال : وأُفحمتُ فلم أنطق ، وتغلبت على خواطري فما قدرتُ على حرف أقوله ، فضحك أمير المؤمنين .

معاذة العدوية لم ترفع بصرها إلى السماء أربعين سنة

من ربّات الفصاحة والبلاغة والتفقه في الدين والنسك والزهد بالبصرة . كانت إذا جاء النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه ، فما تنام حتى إذا جاء الليل قالت : هذه ليلتي التي أموتُ فيها . فلا تنام حتى تصبح . وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعَها البردُ من النوم . وكانت تحيي الليل بالصلاة ،

١ ـ صوب الغمامة : مطرها .

فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول : يا نفسُ ! النومُ أمامَك ، لو قدمت أطالت رقدتك في القبر على حسرة ، ثم لا تزال تدور إلى الصباح تخاف الموت على غفلة ونوم . وكانت تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة ولم ترفع بصرها إلى السماء أربعين سنة . وكانت تقول : عجبتُ لعينٍ تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور . وعن امرأة ارضعتها معاذة قالت : قالت لي معاذة : يا بنيّة كوني من لقاء الله تعالى على حذر ورجاء ، فإني رأيت الراجي محفوفاً بحسن الزلفى[1] لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف له مؤملاً له زمان يقوم الناس لرب العالمين ثم بَكتْ ولما مات زوجُها لم تتوسّد فراشاً حتى ماتت . وكانت تقول : والله ما أحب البقاء إلا لأتقرّب إلى ربي بالوسائل لعله يجمع بيني وبين الصهباء وولده في الجنة . وكانت تقول : صحبتُ الدنيا سبعين سنة فما رأيت فيها قرّة عين[2] قط . توفيت سنة ١٠١ هـ . وقيل سنة ٨٣ هـ .

ويذكر الأصمعي ان ابن عون اشترى بُرْنُساً ، فمرَّ على معاذةَ العدويّة ، فقالت : مثلُك يلبسُ هذا ؟ فذكرتُ ذلك لابن سيرين[3] ، فقال : أفلا أخبرتَها ان تميماً الدّاريّ[4] اشترى حُلّةً بألفٍ يُصلّي فيها ! .

مكية وأبوها الفرزدق

قال أبو عبيدة : نكح الفرزدق أمَةً له زنجيةً ؛ فولدت له بنتاً ، فسمّاها مكيّة ، وكان يُكنى بها ، ويقول : أنا أبو مكية ! فكتبت النوّار يوماً إلى الفرزدق تشكو مكية ، فكتب إليها :

---

١ ـ الزلفى : القُربة .

٢ ـ قرة عين : سكينة واطمئنان .

٣ ـ ابن سيرين : هو محمد بن سيرين البصري ، أبو بكر ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة . نشأ بزاز في أذنه صمم . تفقّه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . توفي في البصرة سنة ١١٠ هـ . (وفيات الأعيان[1] ٤٥٣) .

٤ ـ هو تميم بن أوس بن خارجة الداري ، أبو رقية : صحابي ، نسبته إلى الدار بن هانىء . أسلم سنة ٩ هـ . وهو أول من أسرج السراج بالمسجد ، وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين . مات في فلسطين سنة ٤٠ هـ . (تهذيب ابن عساكر[3] : ٣٤٤) .

كنتمْ زعمتُم أنهـا ظَلمتْكـم كذبتُم وبيتِ اللهِ بل تظلمونهـا
فإن لا تعدُّوا أمَّها من نسائكم فـإنّ أباهـا والدٌ لن يَشينَهـا(١)
وإنّ لهـا أعمام صِـدقٍ وإخـوةٍ وشيخاً إذا شئتم تأيَّم دونَها(٢)

قالت النوار : فإذاً لا نشاء .

الملاة بنت زرارة وشاة عكرمة ..

عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : أخبرني موسى السلاماني ، مولى الحضرمي ، وكان أيسرَ تاجرٍ بالبصرة ، قال : بينا أنا جالسٌ إذ دخل عليَّ غلام لي فقال : هذا رجلٌ من أهلِ امِّك يستأذن عليك ـ وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف ـ فقلت : إئذَنْ له . فدخل شابٌ حلوُ الوجه ، يُعرف في هيئته أنه قرشي ، في طمرين(٣)، فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، خال رسول الله ﷺ . قلت : في الرحب والقرب . ثم قلت : يا غلام ، برَّه وأكرمْه وألطفْه ، وأدخلْه الحمام ، واكسُه قميصاً رقيقاً ، ومبطناً قوهياً ، ورداء عمرياً . وحذونا له نعلين حضرميين . فلما نظر الشاب في عطفيه وأعجبته نفسُه قال : يا هذا ، ابغني أشرفَ أيِّم(٤) بالبصرة أو أشرفَ بكرٍ بها ! قلت : يا ابن أخي ، معك مال ؟ قال : أنا مالٌ كما أنا ! قلت : يا ابن اخي ، كُفَّ عن هذا . قال : انظر ما أقول لك ! قلت : فإن اشرف أيِّم بالبصرة هند ابنة أبي صفرة . أخت عشرة، وعمة عشرة ، وحالُها في قومها حالها . وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة بن أوفى الجرشي قاضي البصرة . قال : اخطبها عليّ . قلت : يا هذا ، إن أباها قاضي البصرة ! قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد فتقدم ، فجلس إلى القاضي ، فقال له : من أنت يا ابن اخي ؟ قال له : عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله ﷺ . قال : مرحباً بك ، ما حاجتك ؟

---

١ ـ يشينها: يعيبها .
٢ ـ تأيّم: مكث زماناً لا يتزوج .
٣ ـ الطمر: الثوب البالي .
٤ ـ الأيّم: المرأة التي لا زوج لها .

قال : جئتُ خاطباً . قال : ومَن ذكرت ؟ قال : الملاة ابنتك . قال : يا ابن اخي ، ما بها عنك رغبة . ولكنها امرأة لا يُفتات عليها في أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إليّ ، فقلت : ما صنعت ؟ قال : قال كذا وكذا . قلت : ارجع بنا ولا تخطبْها . قال : إذهب بنا إليها . فدخلنا دار زرارة ، فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذنا على أمها ، فلقيْتنا بمثل كلام الشيخ ، ثم قالت : وها هي في تلك الحجرة . قلت له : لا تأتيها . قال : أليست بكراً ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها . فاستأذنا ، فأذنتْ لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهي رقيق معصفر ، تحته سراويلُ يُرى منه بياضُ جسدها ، ومرط قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسي بين يديها . فأشرَحَتْ[1] المصحف ثم نحَّتْه ، فسلمنا ، فردّت ، ثم رحّبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري خال رسول الله ﷺ ؛ ومدَّ بها صوته ، قالت : يا هذا ، إنما يمدّ هذا الصوت للساسانيين[2] ! قال موسى : فدخل بعضي في بعض ! ثم قالت : ما حاجتك ؟ قال : جئتُ خاطباً . قالت : ومَن ذكرت ؟ قال : ذكرتُكِ! قالت : مرحباً بك يا أخا أهل الحجاز ، ما الذي بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخيبر اعطاناهما رسول الله ﷺ - ومدّ بها صوته - وعينٌ بمصر ، وعين باليمامة ، ومالٌ باليمن . قالت : يا هذا ، كل هذا عنا غائب ، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك ؟ فإني أظنك تريد ان تجعلني كشاة عكرمة ، أتدري من عكرمة ؟ قال : لا . قالت : عكرمة بن ربعي . فإنه كان نشأ بالسواد ، ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذّى باللبن . فقال لزوجته : اشتري لنا شاة نحتلبها وتصنعين لنا من لبنها شراباً وكامخاً[3] . ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت ، فقالت : يا جارية خذي بأُذُنِ الشاة وانطلقي بها إلى التيّاس . فانزي[4] عليها ! ففعلت ، فقال التيّاس : آخذ منك على النزوة درهماً ! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتْها . فقالت : إنما رأينا

---

١ ـ اشرحت المصحف: ضمّته بعضه إلى بعض .
٢ ـ الساسانيون: الفرس .
٣ ـ الكامخ: ادام يؤتدم به
٤ ـ نزا الذكر على الأنثى: سفدها. ويقال ذلك في ذي الحافر والظلف وفي السباع .

من يرحم[1] ويعطي ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ! . . . ولكن يا أخا أهل المدينة ، أردت أن تجعلني كشاة عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان اغناك عن هذا ! قال : ما كنتُ اظن أنّ امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام .

ميمونة بنت الحارث « أم المؤمنين »

كانت متزوجة في الجاهلية بمسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، ثم فارقها فخلف عليها أبو رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس فتوفي عنها . فتزوّجها رسول الله ﷺ ، زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب لانه كان يلي أمرها . فكانت آخر امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ وذلك في سنة ٧ هـ . على مهر خمسمائة درهم .

وقال ابن شهاب : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ . وقال : وفيها نزلت ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي** ﴾[2] .

وروت عن النبي ﷺ ستة وسبعين حديثاً ، أخرج لها منها في الصحيحين ثلاثة عشر حديثاً ، والمتفق عليه منها سبعة ، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بخمسة . توفيت بسرف سنة ٥١ هـ . ولها من العمر إحدى وثمانون سنة .

مي وخبرها مع صاحبها ذي الرمة[3]

هي بنت طلبة بن قيس المنقرية ، وهي صاحبة الشاعر ذي الرمة ، قيل : بقي يحبّها عشرين سنة .

قال أبو المهلهل الخزاعي : ارتحلتُ إلى الدهناء ، فسألت عن ميّ صاحبة ذي الرمّة ، فدفعت إلى خيمة فيها عجوز هيفاء ، فسلمت عليها وقلت : أين منزل ميّ ؟ فقالت : ها أنا ميّ . فقلت : عجباً من ذي الرمّة وكثرة قوله فيك ! قالت : لا تعجب ، فإني سأقوم بعذره . ثم قالت : فلانة . فخرجت من

---

١ ـ أدخله في رحمها: واقعها وضاجعها .
٢ ـ سورة الأحزاب آية ٥٠ .
٣ ـ هو الشاعر غيلان بن عقبة، أبو الحارث. كان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد. اكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال. عشق مي المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان سنة ١١٧ هـ . (الأعلام° ١٢٤).

الخيمة جاريةٌ ناهدٌ عليها برقع ؛ فقالت لها : أسفري . فلما أسفرتْ تحيرتُ لمَا رأيتُ من حسنها وجمالها . فقالت : علقني ذو الرمّة وأنا في سن هذه ، وكلُّ جديدٍ إلى بِلى . قلت : عذرتُه والله ! واستنشدتُها من شعره ، فأنشدتني .

وقال أبو صالح الفزاري : ذكرنا ذا الرُّمة ، فقال عصمة بن عبد الملك ـ شيخ منا قد بلغ عشرين ومائة سنة ـ : إيّايَ فاسألوا عنه ؛ كان من أظرف الناس ، آدم ، خفيف العارضين ، حسن الضحك ، حلو المنطق ، وإذا أنشد جشَّ صوته ، وإذا راجعك لم تسأمْ حديثه وكلامه .

فجمعني وإياه مُرْتَبَع ، فأتاني يوماً ، فقال لي : هيا يا عصمة ؛ إن ميّة منقرية ، وبنو منقر أخبث حيّ ، وأقفى للأثر ، فهل عندك ناقة نزدار عليها ميّة ؟ قلت : والله عندي الجؤذر . قال : عليّ بها .

فركبنا جميعاً وخرجنا حتى أشرفنا على بيوت الحيّ ، وإذا ببيت ميّة ناحية ، والقوم خُلوف ، والنساء في الرحال ، فعرفن ذا الرّمة فتقوّض النساء إلى ميّة ؛ وجئنا ثم أنخْنا ، ثم دنونا ، فسلمنا وقعدنا نتحدث ؛ فإذا هي جارية أملود[1] ، واردة الشعر ، بيضاء تغمرها صفرة ، وعليها ثوب أصفر ، وطاق أخضر ؛ فقلن : أنشدنا يا ذا الرّمة ؛ فقال : أنشدهنّ يا عصمة . فأنشدتهنّ :

نظرتُ إلى أظعان ميٍ كأنها ذُرا النخل أو أثل تميل ذوائبُهُ[2]
فأعربتِ العينان والصدر كاتم بمغرورقٍ نمّت عليه سواكبُهْ
بُكا وامقٍ خاف الفراق ولم تَجُلْ جوائلها أسراره ومغايبه[3]

فقالت ظريفةٌ منهن : لكن الآن فلنُجل . قال : فنظرت إليها مية متكرّهة ، ثم مضيتُ في القصيدة ، حتى انتهيت إلى قوله :

إذا سرحتْ من حُبّ ميّ سوارحٌ على القلب آبتْه جميعاً عوازبُه

فقالت لها الظريفة : قَتَلتِه قاتلك الله ! قالت مية : ما أصحه وهنيئاً له !

---

١ ـ أملود: ناعمة لينة .
٢ ـ الأثل: شجر من فصيلة الطرفائيات، يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية .
٣ ـ الوامق: الحبيب .

فتنفَّس ذو الرِّمة تنفساً ظننتُ معه أنّ فؤاده قد انصدع ؛ ومضيتُ فيها حتى انتهيت إلى قوله :

وقد حلفتْ بالله ميّة ما الذي أقول لها إلاَّ الذي أنا كـاذِبُهْ
إذاً فرماني الله من حيث لا أرى ولا زالَ في أرضي عدوٌّ أُحاربُه

فالتفتت إليه ميَّةُ فقالت : خَفْ عواقب الله ؛ ومضيتُ في القصيدة حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتْك القولَ ميَّةُ أو بَدَا لك الوجهُ فيها أو نضا الثوبَ سالبُه(١)
فيا لك من خدٍّ أسِيلٍ ومنطقٍ رخيمٍ ومن خلقٍ تعلّلَ جـادِبُهْ

فقالت الظريفة : أما هذه فقد راجعتْك ، وقد بدا لك الوجهُ منها . فمن لك بأن ينضو الدرعَ سالبُه ؟ فالتفتت ميَّةُ إليها فقالت : قاتَلك الله ، ما أنكر ما تجيبني به ! فتحدّثن ساعة ، ثم قالت الظريفة للنساء : إنّ لِهذين لَشأناً ، فقمن بنا عنهما . فقامت ، وقُمن معها وقمتُ معهنّ ؛ فجلست في بيتٍ أراهما منه ، فما رأيته برح من مقعده ولا قعدته ؛ فسمعتها قالت له : كذبت والله ! ولا أدري ما قال لها .

فلبثت قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن ومعه قلائد ، فقال : هذا دهن طيب أُتحفنا به ، وهذه قلائد لنجؤذر ، ولا والله ما أقلدهنّ بعيراً ابداً ! وشدّ بهنّ ذوائب سيفه ، وانصرفنا ؛ فكنا نختلف إليها حتى انقضى الربيع ودعا الناسَ المصيف ؛ فأتاني فقال : هَيَا عصمة ، رحلتْ ولم يبقَ إلاّ الآثار والرسوم من الديار ! وأنشدني :

ألا يا اسْلَمي يا دارَ ميٍّ على البِلى ولا زال مُنهلاً بجرعائـك القَطْرُ

نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان

خبر زواجها من عثمان:

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان : هل لك في

١ ـ نضا الثوب: نزعه وخلعه.

ابنة عم لي ، بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد ، أصيلة الرأي ، تتزوجها ؟ قال : نعم . فذكرت له نائلة بنت الفرافصة الكلبية ، فتزوّجها وهي نصرانية ، فتحنّفت[1] وحُملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه قال لها : لعلك تكرهين ما ترَين من شيبي ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، إني من نسوة أحبُّ ازواجهن إليهن الكهل ! قال : إني قد جُزت الكهول ، وأنا شيخ ! قالت : أذهبتَ شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهبتْ فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك أرضَ السماوة وأريد ان انثني إلى عرض البيت : وقامت إليه ؛ فقال لها : انزعي ثيابك . فنزعَتْها ؛ فقال : حِلي مرطك[2] . قالت : أنت وذاك .

قال أبو الحسن : فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل ؛ فلما دُخل إليه وقَتْه بيدها ، فجذمت[3] أناملها ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه : ما ترجو من امرأة جذماء ! .

وقيل : إنها قالت لما قُتل عثمان : إني رأيت الحــزن يبَلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزنُ عثمان من قلبي ! فدعت بفهر[4] فهتمت[5] فاها ، وقالت : والله لا قعدَ أحدٌ مني مقعدَ عثمان أبداً .

كتاب نائلة إلى معاوية بعد مقتل زوجها:

قال أبو الحسن : كتبت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير ، وبعثت إليه بقميص عثمان مخضوباً بالدماء ، وكان في كتابها :

« من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان ؛ أما بعد ، فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ،

---

١ ـ تحنّفت: صارت حنيفية أي دخلت الإسلام .
٢ ـ المرط: كل ثوب غير مخيط .
٣ ـ جذمت أناملها: قطعتها .
٤ ـ الفهر: حجر رقيق .
٥ ـ هتمت فاها: ألقت مقدّم أسنانها .

وأنقذكم من الكفر ونصركم على العدّو ، وأسبغ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنة ، وأنشدكم الله ، وأذكّركم حقّه وحقَّ خليفته ان تنصروه بعزم الله عليكم ؛ فإنه قال : ﴿ وإنْ طائفتانِ من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بغَتْ إحداهُما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ إلى أمر الله﴾[1] . وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لم يكن لعثمان عليكم إلا حقُّ الولاة ، [ثم أُتِيَ إليه ما أُتِيَ] لحقَّ على كل مسلم يرجو إمامته أن ينصره فكيف وقد علمتم قدمَه في الإسلام ، وحُسن بلائه ، وأنه أجاب [داعيَ] الله وصدَّق كتابه واتَّبع رسوله ، والله علم به إذ انتخبه فأعطاه شرفَ الدنيا وشرف الآخرة . وإني أقصّ عليكم خبره ؛ إني شاهدةٌ أمره كلّه . إن أهلَ المدينة حصروه في داره ، ويحرسونه ليلهم ونهارهم قياماً على أبوابه بالسلاح ، يمنعونه كل شيء قدروا عليه ، حتى منعوه الماء ؛ فمكث هو ومَن معه خمسين ليلة ، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى علي ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمار بن ياسر ، وطلحة والزبير ، فأمروهم بقتله ؛ وكان معهم من القبائل : خزاعة ، وسعد بن بكر ، وهذيل ، وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب ؛ فهؤلاء كانوا اشدَّ الناس عليه . ثم إنه حُصِـرَ فرُشِق بالنَّبل والحجارة ، فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه ، فأتاه الناس يصرخون إليه ليأذنَ لهم في القتال ، فنهاهم وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم ، فردّوها عليهم ، فما زادهم ذلك في القتل إلا جرأة ، وفي الأمر إلا إغراقاً ؛ فحرَّقوا باب الدار ؛ ثم جاء [ثلاثة] نفر من أصحابه فقالوا : إن [في المسجد] ناساً يريدون ان يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد يأتوك . فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحةُ القوم مُظلّةٌ عليه من كل ناحية ، فقال : ما أرى اليوم أحداً يعدل ! فدخل الدار ، وكان معه نفر ليس على عامتهم سلاح فلبس درعه وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبستُ اليوم درعي . فوثـب عليه القوم فكلّمهم ابن الزبير ، واخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها إلى عثمان : عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تقربوه بسوءٍ حتى تكلموه وتخرجوا . فوضع السلاح ، ولم يكن إلاّ وضعه ودخل عليه القوم يقدُمُهم محمد بن أبي بكر ، فأخذوا بلحيته ودعوه باللقب ؛ فقال : أنا عبد الله وخليفته عثمان . فضربوه على رأسه ثلاث

١ ـ سورة الحجرات آية ٩.

ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعتْ في العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثخنوه وبه حياة ، وهم يريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به ، فأتتني ابنة شيبة بن ربيعة فألقت بنفسها معي [عليه] ، فوطئنا وطأً شديداً ، وعُرِّينا من حلينا ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم ؛ فقتلوا أمير المؤمنين في بيته مقهوراً على فراشه ، وقد أرسلتُ إليكم بثوبه عليه دمُه ، وإنّه والله إن كان أثِمَ مَن قتله لَمَا سلمَ مَن خذله ، فانظروا أين أنتم من الله، وأنا أشتكي كل ما مسّنا إلى الله عز وجل، وأستصرخ بصالحي عباده ،فرَحِمَ الله عثمان ولعنَ قتلته وصرعهم في الدنيا مصارعَ الخزي والمذلة، وشفى منهم الصدور ».

نشو في رثاء الوراق

قال محمود الورّاق يرثي جاريته نشو :

ومُنتصح يُردِّد ذكْر نشْوٍ　　على عَمْدٍ ليَبعثَ لي اكتئابا
أقول ـ وعدَّ ـ ما كانت تساوي　　سيَحسب ذاك مَن خلَق الحسابا
عطيَّتُه إذا أعطى سرورٌ　　وإن أخذ الذي أعطى أثابا
فأيُّ النِّعمتين أعم نفعاً　　وأحسنُ في عواقبها إيابا
أنعمته التي أهدت سروراً　　أمْ الأخرى التي أهدتْ ثوابا
بل الأخرى وإن نزلتْ بحزنٍ　　احقُّ بشكر مَن صبرَ احتسابا

نهيشة تعيّر قضاعة

تقول نهيشة بنت الجراح البهراني في الهذيل بن هبيرة تعيّر قضاعة:

إذا ما معشرٌ شربوا مُداماً　　فلا شربتْ قضاعةُ غير بَوْلِ
فإمّا أن تقودوا الخَيل شُعثاً　　وإمّا أن تدينوا للهُذَيْلِ[1]
وتتّخذوه كالنُّعمان ربّاً　　وتُعطوهُ خراجَ بني الدُّمَيْلِ

الدُّميل : ابن لخم .

---

١ ـ شعثاً: متفرّقين .

نوار تشهد لزوجها حاتم

قالت نوار امرأة حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي [يُضرب المثل بجوده] : اصابتنا سنةٌ اقشعرّتْ لها الأرضُ واغبرّ افقُ السماء ، وراحتِ الابلُ حُدباً حَدابير ، وضنّتِ المراضعُ على أولادها فما تبضّ بقطرة ، وحلقت[1] السنةُ المال وأيقنّا بالهلاك . فوالله إنّا لفي ليلة صِنّبر[2] بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاغى[3] صبيتنا جوعاً ـ عبدُ الله وعديّ وسفّانة ـ فقام حاتم إلى الصَّبيَّين وقمتُ أنا إلى الصبيّة ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ، وأقبل يعلّلني بالحديث . فعرفتُ ما يريد فتناومتُ ، فلمّا تهوّرَت النجوم إذا شيء قد رفع كِسْر البيت ثم عاد ، فقال : من هذا ؟ قالت : جارتُك فلانة ، اتيتُك من عند صبية يتعاوَون عُواءَ الذئاب ، فما وجدتُ معوّلاً إلّا عليك يا أبا عديّ ، فقال : أعجليهم فقد اشبعكِ الله وإياهم : فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رئالُها ؛ فقام إلى فرسه فوجأ[4] لبّته بمُدْية فخرّ ، ثم كشطه عن جلده ، ودفع المدية إلى المرأة فقال لها : شأنَك ؛ فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول : هبُّوا أيها القوم ، عليكم بالنار . فاجتمعوا ، والتفع في ثوبه ناحيةً ينظر إلينا ، فلا والله إن ذاق منه مُزْعة وإنه لأحوَجُ إليه منّا ؛ فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلّا عظمٌ وحافر . فأنشأ حاتم يقول :

مهلاً نوارُ أقلّي اللومَ والعـذلا ... ولا تقولي لشيءٍ فاتَ ما فَعلا
ولا تقـولي لمالٍ كنتُ مُهلكـه ... مهلاً وإن كنتُ أعطي الإنس والخبلا[5]
يرى الفجيلُ سبيلَ المالِ واحدةً ... إنَّ الجوادَ يرى في مالهِ سُبُلا

---

١ ـ حلقت السنة المال: أزالته. وحلقت السنة القوم: أصابتهم بشر .
٢ ـ ليلة صنّبر: ذات ريح باردة .
٣ ـ تضاغى: تضوّر من الجوع .
٤ ـ وجأ: ضرب .
٥ ـ الإنس والخبل: يريد العقلاء والمجانين .

النوار بنت عبد الله يطلقها الفرزدق ثم يندم

كانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضيته ، وكان وليُّها غائباً ، وكان الفرزدق وليَّها إلا أنه كان أبعد من الغائب ؛ فجعلت أمرها إلى الفرزدق ، وأشهدت له بالتفويض إليه ؛ فلما توثّق منها بالشهود ، أشهدهم أنه قد زوّجها من نفسه ! فأبت منه ونافرته إلى عبد الله بن الزبير ؛ فنزل الفرزدق على حمزة ابن عبد الله [ابن الزبير] ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهي بنت منظور بن زبّان ؛ فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة ليلاً ؛ حتى غلبت المرأة وقضى ابن الزبير على الفرزدق ؛ فقال :

أمّا البنونُ فلم تقبلْ شفاعتهم ... وشفَّعتْ بنت منظور بن زَبَّانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مُؤتزراً ... مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُريانا

وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير :

وما خاصَمَ الأقوامَ من ذي خصومةٍ ... كَورهاءَ مدنُوٍّ إليها خليلُها[1]
فدونكَهَا يا ابن الزبير فإنها ... مُلعَّنةٌ يُوهي الحجارة قيلُها[2]

فقال ابن الزبير : إن هذا شاعر ، وسيهجوني ؛ فإن شئتِ ضربتُ عنقَه وإن كرهت ذلك ؛ فاختاري نكاحه وقرِّي . فقرَّت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زماناً ، ثم طلّقها وندم في طلاقها .

وقال راوية الفرزدق : قال لي الفرزدق يوماً : إمض بنا إلى حلقة الحسن ، فإني أريد أن أطلّق النوار ! فقلت له : إني أخاف ان تتبعَها نفسُك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابُه . قال : انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال الفرزدق : كيف اصبحتَ أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف اصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمُنَّ أني طلقتُ النوار ثلاثاً ! قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ! فانطلقنا ، فقال لي الفرزدق : يا هذا ، إنّ في نفسي من النوار شيئاً ! فقلت : حذرتك ! فقال :

---

١ ـ الورهاء : الحمقاء . ويقال : ورهت المرأة أي كثر شحمها .
٢ ـ قيلها : بغضها .

ندمتُ ندامةَ الكُسَعيِّ لمّا غدتْ مني مُطلّقةً نوارُ[1]
وكانت جنّتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضِّرارُ
ولو أني مَلكت بها يميني لكـان عليَّ للقَدَر الخِيـارُ

هاشمية جارية حمقاء

دخل أبو طالب صاحب الحنطة على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد ، ليشتري طعاماً من طعامهم ؛ فقال لها : قد رأيتُ متاعك وقلبتُه ، قالت له : هلا قلتَ طعامكِ يا أبا طالب ! قال : قد ادخلتُ يدي فيه فوجدته قد حَميَ وصار مثل الجيفة ، قالت : يا أبا طالب ، ألست قد قلّبتَ الشعير فأعطِنا به ما شئت وان كان فاسداً .

هند جارية تذكر عمر بن أبي ربيعة بهنده

كان عمر بن أبي ربيعة القرشي غَزِلاً مشبِّباً بالنساء الحواجّ ، رقيق الغزل ، وكان الأصمعي يقول في شعره : الفستق المقشّر الذي لا يُشبع منه ! وكان جرير يستبرده ويقول : شعر حجازي ، لو اتخذ في تموز لوُجد البرد فيه فلما أُنشدَ له :

فلما تلاقينـا عرفتُ الـذي بها كمثلِ الذي بي حذوَكَ النَّعلَ بالنَّعلِ

قال : ما زال يهذي حتى قال الشعر !.

وقالت العلماء : ما عُصيَ الله بشعرٍ ما عُصيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة ! ووُلد عمر بن أبي ربيعة يوم مات عمر بن الخطاب ، فسُمّيَ باسمه ؛ فقيل : أيّ خيرٍ رُفع ، وأيّ شرٍ وُضعَ ! ثم إنه تاب في آخر أيامه وتنسّك ، ونذر لله أن يُعتق لله رقبةً لكل بيتٍ يقوله ؛ وإنه حجّ ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ نظر إلى فتى من نُمير يلاحظ جاريةً في الطواف ، فلما رأى منه ذلك مراراً ، أتاه ، فقال له : يا فتى ، أما رأيت ما تصنع ؟ فقال له الفتى : يا أبا الخطاب لا تعجلْ عليَّ ؛ فإنّ هذه ابنة عمي ، وقد سُمّيتْ لي ، ولست أقدر على صداقها ، ولا أظفر منها

---

١ ـ الكسعي : رجل طلّق امرأته ثم ندم على طلاقها فتبعتها نفسه، وبه يضرب المثل . .

بأكثر مما ترى ؛ وأنا فلان ابن فلان ، وهذه فلانة ابنة فلان . فعرفهما عمر ، فقال له : اقعدْ يا ابن اخي عند هذه السارية حتى يأتيك رسولي . ثم ركب دابته حتى اتى منزل عمِّ الفتى ، فقرع الباب فخرج إليه الرجل ، فقال : ما جاء بك يا أبا الخطاب في مثل هذه الساعة ؟ قال : حاجة عرضت قِبَلَك في هذه الساعة . قال : هي مقضية . قال عمر : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : فإني قد زوّجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان ؛ قال : فإني قد اجزتُ ذلك . فنزل عمر عن دابته ، ثم أرسل غلاماً إلى داره فأتاه بألف درهم فساقها عن الفتى ، ثم أرسل إلى الفتى فأتاه ، فقال لأبي الجارية : أقسمتُ عليك إلا ما ابتنى بها هذه الليلة ! قال له : نعم ! فلما أُدخلتْ على الفتى انصرف عمر إلى داره مسروراً بما صنع ، فرمى بنفسه على فراشه وجعل يتململ ، ووليدة له عند رأسه ، فقالت : يا سيدي ، أرقت هذه الليلة أرقاً لا ادري ما دهمك ؟ فأنشأ يقول :

تقول وليدتي لمّا رأتني ... طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حينا
أراكَ اليومَ قد أحدثت شوقاً ... وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنتَ زعمتَ انكَ ذو عزاءٍ ... إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا[1]
بعيشِك هل رأيتَ لها رسولاً ... فشاقَكَ أم لقيتَ لها خدينا[2]
فقلتُ: شكا إليَّ أخٌ محبٌّ ... كبعض زمانِنا إذ تعلمينا
فقصّ عليّ ما يَلقى بهندٍ ... يذكّرُ بعض ما كنّا نَسينا
وذو القلبِ المصابِ وان تعزّى ... مشوقٌ حين يَلقى العاشقينا

ثم ذكر يمينه ، فاستغفر الله ، وأعتق رقبةً لكل بيت .

هند ابنة الخس

قيل لهند ابنة الخس : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قِنى ، قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنى . قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنى .

---

١ ـ القرين: الشريك والزوج .
٢ ـ الخدين: الصديق والصاحب .

هنيدة ذات الخمار

كانت هنيدة بنت صعصعة عمّة الفرزدق تقول : مَن جاءت من نساء العرب بأربعةٍ كأربعتي يحِلُّ لها أن تضعَ خِمارَها عندهم ، فصيرتني لها : أبي صعصعة ، وأخي غالب ، وخالي الأقرع[1] بن حابس ، وزوجي الزبرقان[2] بن بدر ! فسُمِّيت ذاتَ الخِمار .

هند بنت عتبة بن ربيعة وزواجها من الفاكه

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوّج هند ابنة عتبة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ؛ فقال[3] يوماً في ذلك البيت وهند معه ؛ ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض مَن كان يغشى البيت . فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتبهتُ حتى أنبهْتني ، وما رأيت أحداً قط . قال : إلحقي بأبيك ! وخاض الناس في أمرها ، فقال لها أبوها : يا بنيّة العار وإن كان كذباً ، أبثّيني شأنَك ، فإن كان الرجل صادقاً دسَسْتُ عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب ! فخرج عتبة فقال : إنك رميت إبنتي بشيء عظيم ، فإما أن تبيِّن ما قلت ، وإلا فحاكمْني إلى بعض كهان اليمن . قال : ذلك لك . فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم . وخرج عتبة في رجال ونسوةٍ من بني عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيَّر وجه هند ، وكسَف بالُها ، فقال لها أبوها :

---

١ ـ الأقرع بن حابس: صحابي، من سادات العرب في الجاهلية. قدم على رسول الله ﷺ في وفدٍ من بني دارم (من تميم) فأسلموا. وشهد حُنيناً وفتح مكة والطائف. وسكن المدينة. ويرى بعض المؤرخين أن اسمه « فراس » وان الأقرع لقب له، لقرع كان برأسه. وكان حكماً في الجاهلية. (الأعلام[2] ٥).

٢ ـ الزبرقان بن بدر: صحابيّ، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من اسماء القمر) لحسن وجهه. ولاّه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكفّ بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية بنحو ٤٥ هـ .(الاصابة[1] : ٥٤٣).

٣ ـ قال: نام، والقيلولة هي النوم بعد غداء الظهر .

أي بنيّة ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت ، والله ما ذلك لمكروهٍ قِبَلي ، ولكنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ، ولعله أن يسمني بسِمَةٍ تبقى على ألسنة العرب . فقال لها أبوها : صدقتِ . ولكني سأخبره لك فصفّر بفرسه ، فلما أدلى عمدَ إلى حبّة بُرّ[1] فأدخلها في إحليله[2] ، ثم أوكى عليها وسار . فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر . وقد خبأنا لك خبيئة ، فما هي ؟ قال : بُرّة في كمرة . قال : أريد أبْينَ من هذا . قال : حبّةُ بُرّ في إحليل مهر . قال : صدقت . فانظر في أمر هؤلاء النسوة . فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ! حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : قومي غير رقْحاء ولا زانية ، وستلدين ملكاً يُسمّى معاوية .

فلما خرجت أخذ الفَاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : [إليك عني !] والله لأحرصنّ أن يكون ذلك الولد من غيرك ! فتزوّجها أبو سفيان ، فولدت له معاوية .

وذكروا ان هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يا أبت ، إنك زوّجتني من هذا الرجل ولم تؤامرْني في نفسي ، فعَرض لي معه ما عرض ؛ فلا تزوّجني من أحد حتى تعرضَ عليّ أمره ، وتُبيّنَ لي خصاله ، فخطبها سهيل بن عمرو ، وأبو سفيان بن حرب . فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاكِ سهيلٌ وابنُ حربٍ وفيهما ... رضاً لك يا هندَ الهنود ومنع
وما منهما إلّا يُعاشُ بفضله ... وما منهما إلّا يضُرُّ وينفع
وما منهما إلّا كريم مُرزَّأ ... وما منهما إلّا أغرُّ سَمَيْدَع
فدونكِ فاختاري فأنت بصيرة ... ولا تُخدعي إن المُخادعَ يخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسِّر لي أمرَهما وبيِّنْ لي

---

١ ـ البُرّ: القمح .
٢ ـ الإحليل: مخرج البول من الانسان وهو مستعار من إحليل الثدي أي مجرى اللبن من الثدي .

خصالهما ، حتى اختار لنفسي أشدهما موافقة لي . فبدأ بذكر سهيل بْن عمرو ، فقال : أما احدُهما ففي ثروة واسعة من العيش ، إن تابعتِه تابعك ، وإن مِلتِ عنه حطّ إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله . وأما الآخر فموسّع عليه ، منظور إليه ، في الحسب الحسيب ، والرأي الأريب ، مِدْرَهُ أرومته[1] ، وعزّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظُّهْرة[2] ، لا ينام على ضَعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأوّل سيّد مضياعٌ للحرّة ، فما عسَتْ أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلُها فأشرت[3] ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالُها ، وقبحُ عند ذلك دلالُها ، فإن جاءت بولدٍ أحمقت ، وإن أنجبتْ فعن خطأ ما أنجبت ؛ فاطوِ ذِكرَ هذا عني ، ولا تسمِّه عليّ بعدُ . وأما الآخر فبعلُ الفتاة الخريدة[4] ، الحرّة العفيفة ، وإني للتي لا أريب له عشيرة فتُعيره ، ولا تصيِّره بذُعرٍ فتضيره ، وإني لأخلاقِ مثل هذا لموافقةٌ ، فزوِّجْنيه .

فزوّجها من أبي سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد ، فقال في ذلك سهيل بنُ عمرو :

نُبِّئتُ هنـداً تَبَّـرَ اللهُ سعْيَهَـا	تأبّت وقالت وصفُ أهوجَ مائقِ[5]
وما هَوَجي يا هندُ إلا سجيّة	أجُرُّ لها ذيلي بُحسنِ الخلائقِ
ولو شئت خادَعْت الفتى عن قلوصه	ولاطَمـتُ بالبطحاءِ في كل شارقِ[6]
ولكنني اكـرَمْتُ نفسي تكـرُّمـاً	ودافعتُ عنها الذّمَّ عند الخلائق
وإني إذا ما حُرَّةٌ سـاء خُلْقُها	صبرتُ عليها صبرَ آخر عاشقِ
فإن هي قالت خلِّ عني تركتُها	وأقلِلْ بتركٍ من حبيبٍ مفارقِ

١ ـ الأرومة : الأصل .
٢ ـ الظهرة : العون .
أشرت : بطرت ومرحت .
٤ ـ الخريدة : البكر لم تمسّ قط ، أو الفتاة الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت .
٥ ـ المائق : الأحمق أو الهالك .
٦ ـ القلوص : الناقة .

فإن سامحوني قلتُ أمري إليكمُ ... وإن أبعدوني كنتُ في رأس حالقِ
فلم تنكحي يا هندُ مثلي وإنني ... لِمَنْ لم يَمقني فاعلَمي غيرُ وامقِ[1]

فبلغ أبا سفيان ، فقال : والله لو أعلم شيئاً يرضي أبا زيد سوى طلاق هند لفعلتُه ! وألحّ سهيلٌ في تنقيص أبي سفيان ، فقال أبو سفيان :

رأيتُ سُهَيْلاً قد تفاوت شأوُهُ ... وفـرّط في العلياءِ كـلَّ عِنانِ
وأصبح يَسْمُـو للمعـالي وإنـه ... لـذُو جفنـةٍ مغشيّـةٍ وقيـانِ[2]
وشربُ كرامٍ من لؤيّ بن غالب ... عِراضِ المساعي عرْضة الحَدثانِ
ولكنّه يوماً إذا الحرب شمّرتْ ... وأبـرزَ فيها وجـهُ كـلِّ حِصانِ
تطأطأ فيهـا ما استطاع بنفسه ... وقنّـعَ فيهـا رأسـهُ ودعـاني
فـأكفيه مـا لا يُستطاعُ دفـاعُـهُ ... وألقيتُ فيهـا كلكلي وجِراني[3]

قال : وتزوّج سهيل بن عمرو امرأة ، فولدتْ له ولداً ؛ فبينا هو سائر معه إذ نظرَ إلى رجلٍ يركب ناقةً ويقود شاة ، فقال لأبيه : يا أبت ، هذه ابنةُ هذه ! يريد الشاة ابنة الناقة ! فقال أبوه : يرحم الله هنداً ! يعني ما كان من فِراستِها فيه .

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير ، فقال : إني أظن ان هذا الغلام سيسود قومَه . فسمعته أمُّه هند ، فقالت : ثَكِلْتُه إذاً ان لم يسُدْ إلّا قومه .

وسئلت هند عن معاوية ، فقالت : والله لو جُمعت قريش من أقطارها ثم رُمي به في وسطها لخرج من أيّ أعراضها شاء .

ولمّا قدم معاوية من الشام ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند ، فَقالت له : يا بُنيّ ، إنه قلّما ولدت حُرّة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعملْ بما وافقه أحببتَ ذلك أمَ كرهتَه . ثم دخل على ابيه أبي

---

١ ـ غير وامق : غير عاشق .
٢ ـ القيان : الجواري . واحدتها قينة .
٣ ـ الجران من البعير : مقدّم عنقه . ويقال : « ألقى عليه جرانه » أي أثقاله و « ألقى فلان على هذا الأمر جرانه » أي وطّن نفسه عليه .

سفيان ؛ فقال له : يا بنيّ ، إنَّ هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفَعهم سبقُهم وقصَّر بنا تأخّرُنا ،فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلّدوك جسيماً من أمرهم ؛ فلا تخالفنّ أمرهم ، فإنك تجري إلى أمدٍ لم تبلغه ، ولو قد بلغتَه لتنفّست فيه . قال معاوية : فعجبتُ من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ .

هند بنت المهلب «زوجة الحجاج بن يوسف»

قال السجستاني : ما رأيتُ امرأةً أعقل من هند بنت المهلب . وكانت تقول : النساء ما زُيّن بشيءٍ كأدبٍ بارع تحته لبٌّ طاهر . وقالت : إذا رأيتم النعم مستدرّة ، فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال .

وقالت هند : ما رأيت لصالح النساء وشرارهنّ خيراً لهنّ من إلحافهنّ بأسكانهن . وقالت : الطاعةُ مقرونةٌ بالمحبة ، فالمطيع محبوب وان نأتْ داره ، والمعصية مقرونة بالبغض ، فالعاصي ممقوت وان مسّتك رحمةٌ ونالك معروف . ودخل زياد بن عبد القرشي عليها ، فرأى في يدها مغزلاً فقال لها : أتغزلين وانت امرأة أمير؟ فقالت : سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ : أطولكنّ طاقةً اعظمكن أجراً ، وهو يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس .

ودخلت هند على عمر بن عبد العزيز فقالت له : يا أمير المؤمنين ، علامَ حَبَسْتَ اخي؟ قال : تخوفتُ ان يشقّ عصا المسلمين . فقالت له : فالعقوبةُ بعد الذنب أو قبل الذنب؟ .

وأرسل مسلمة بن عبد الملك إلى هند بنت المهلب يخطبها على نفسه ، فقالت لرسوله : والله لو أحيا مَن قَتَل من أهل بيتي ومواليّ ما طابت نفسي بتزويجه ، بل كيف يأمنني على نفسه ، وأنا اذكر ما كان منه ثأري عنده . لقد كان صاحبُك يوصف بغير هذا في رأيه . وكانت تقول : شيئان لا تؤمن عليهما المرأة : الرجال والطيب .

وحدّثت أم عبد الله فقالت : كنتُ ادخل على هند بنت المهلب وهي تسبّح باللؤلؤ ، فإذا فرغت من تسبيحها ألقته إلينا . فقالت : اقتسمْنَه بينكنّ .

هند بنت النعمان تعنّف زوجها

قال المدائني : كان عند روح بن زنباع ، هند بنت النعمان بن بشير ، وكان شديدَ الغَيْرة . فأشرفت يوماً تنظر إلى وفد جذام [إذ] كانوا عنده ، فزجرها ؛ فقالت : والله إني لأبغض الحلال من جذام ، فكيف تخافني على الحرام فيهم .

وقالت له يوماً : عجباً منك ! كيف يسودك قومُك ؛ وفيك ثلاث خِلال ؛ أنت من جذام . وأنت جبان . وأنت غيور ؟ فقال لها : أما جذام فإني في أرومتها ، وحسبُ الرجل أن يكون في أرومة قومه ؛ وأما الجبن فإني ما لي إلا نفسٌ واحدة ، فأنا أحوطها ؛ فلو كانت لي نفس أخرى جدتُ بها ؛ وأما الغَيْرةُ فأمرٌ لا أريد أن اشارك فيه ، وحقيقٌ بالغيْرة من كانت عنده حمقاء مثلك ، مخافة ان تأتيه بولدٍ من غيره فتقذفه في حِجره ! فقالت :

وهلْ هندُ إلاّ مُهرةٌ عربيةٌ ... سليلةُ أفراسٍ تجلَّلها بغلُ
فإن أنجبت مُهراً عريقاً فبالحَرى ... وإن يكُ إقرافٌ فما انجب الفحلُ[1]

هند الهنود تقطّع بين فرسين

قال الهيثم بن عديّ : غزا الغسانيُّ الحارث بن عمرو آكل المُرار الكندي ، فلم يُصبه في منزله ، فأخذ ما وَجد له واستاق امرأتَه ؛ فلما أصابها أُعجِبتْ به ، فقالت له : انجُ ، فوالله لكأني انظر إليه يتبعك فاغراً فاه كأنه بعيرٌ آكل مُرار ! وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، واخذ ما كان معه واخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟ قالت : نعم . والـلهِ ما اشتملت النساء على مثله قط ، فأمر بها فأُوقفتْ بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطّعتْ . ثم قال :

كلُّ انثى وإن بدا لك منها ... آيةُ الوُدّ حبُّها خَيْثعورُ[2]
انّ من غرَّه النساءُ بوُدّ ... بعد هندٍ لجاهلٌ مغرورُ

---

١ ـ الإقراف: الذكر بالسوء .

٢ ـ خيثعور: كاذب واهم .

وصف جارية يرثيها مولاها

كان لمعلّى الطائي[1] جاريةٌ يقال لها وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرني محمد بن وضّاح ، قال : أدركتُ معلّى الطائي بمصر وأُعطي بجاريته وصف أربعة آلاف دينار ، فباعها ؛ فلما دخل عليها قالت له : بعتني يا معلّى ! قال : نعم . قالت : والله لو ملكتُ منك مثل ما تملك مني ما بعتُك بالدنيا وما فيها ! فردّ الدنانير واستقال صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ؛ فقال يرثيها :

يا موتُ كيف سلبتني وصفا	قــدَّمْتَهــا وتــركتني خلفــا
هلّا ذهبْتَ بنا معاً فلقد	ظفِرَتْ يداكَ فسُمْتني خسْفاً
وأخذت شِقَّ النفس من بدني	فقبرْتَه وتركتَ لي النِّصفا
فعليك بالباقي بلا أجـلٍ	فالموتُ بعد وفاتِها أعفى
يا موتُ ما أبقيتَ لي أحداً	لمّا رفعتَ إلى البِلى وصفا
هلاّ رَحِمَتْ شبابَ غـانيةٍ	ريّا العظام وشعرَها الوحفا[2]
ورحِمتَ عيني ظبيةٍ جعلتْ	بين الرياض تناظر الخِشفا[3]
تُغفي إذا انتصبت فرائصه	وتـظل تـرعــاهُ إذا أغفى
فإذا مشى اختلفت قوائمُه	وقت الرضاع فينطوي ضعفا
متحيّراً في المشي مُرتعشاً	يخطو فيضرب ظِلفُه الظِّلفا
فكـأنها وصفٌ إذا جعلت	نحوي تحيرُ محاجراً وُطفا
يا موتُ انت كذا لكلِّ أخي	إلفٍ يصـون ببـرِه الإلفـا
خلَّيتني فــرداً وبِنْتَ بهــا	ما كنت قبلك حاملاً وكفا[5]
فتركْتها بالرغم في جَدثٍ	للريـح تنسف تُربَـه نسفا
دون المقــطَّم لا أُلبِّسهــا	من زينةٍ قُرطاً ولا شنْفا[6]

١ ـ هو المعلّى بن تيم بن ثعلبة الطائي، أحد الذين اشتهروا بالوفاء في الجاهلية .
٢ ـ وحف الشعر: كثُف .
٣ ـ الخشف: ولد الظبي أوّل ما يولد .
٤ ـ محاجر وطف: مسترخية لكثرة دمعها .
٥ ـ وكف المطر: انصبَّ وانهمر .
٦ ـ الشنف: ما علِّق في الأذن .

أسكنْتها في قعر مُظلمةٍ بيتاً يُصافح تُربُه السَّقفا
بيتاً إذا ما زاره أحدٌ عصفَتْ به أيدي البِلى عصْفا
لا نلتقي أبداً معاينةً حتى نقومَ لربِّنا صَفّا
لبستْ ثياب الحتفِ جاريةٌ قد كنتُ ألبسُ دونَها الحتفا
فكأنها والنفسُ زاهقةٌ غصنٌ من الريحان قد جفّا
يا قبرُ أبقِ على محاسنها فلقد حويْتَ البر والظَّرفا

وقيل إن « وصف » كانت تكتب على عصابتها هذين البيتين من الشعر :

فما زال يشكو الحبَّ حتى حسِبتُه تنفَّس في احشائه وتكلّما
فأبكي لديه رحمةً لبُكائه إذا ما بكى دمعاً بكَيْتُ له دَما

الفصل الثاني

باب
الجواري الغيد
في العقد الفريد

جاريتان لعبد الملك بن مروان وابنُ أبي عتيق

دخل ابن أبي عتيق على عبد الملك فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين عليه ، تميسان كغصني بان ، بَيدِ كلِّ جارية مروحة تروّح بها عليه ، مكتوب بالذهب في المروحة الواحدة :

إنني أجلبُ الرِّيا ... حَ وبي يلعبُ الخجِلْ
وحجابٌ إذا الحبيبُ ... ثنى الرأسَ للقُبلْ
وغياثٌ إذا النديـ ... ـمُ تغنى أو ارتجلْ

وفي المروحة الأخرى :

أنا في الكفّ لطيفهْ ... مَسْكَني قصرُ الخليفهْ
أنا لا أصلُحُ إلاّ ... لظريفٍ أو ظريفهْ
أو وَصيفٍ حسنِ القدِّ ... شبيهٍ بالوصيفه[1]

قال ابن أبي عتيق : فلما نظرت إلى الجاريتين هوّنتا الدنيا عليّ ، وأنستاني سوء حالي ؛ قلت : إن كانتا من الإنس فما نساؤنا إلاّ من البهائم ! فكلما كررتُ بصري فيهما تذكرتُ الجنة ، فإذا تذكرت امرأتي ـ وكنتُ لها محباً ـ تذكرت النار ! قال : فبدأ عبدُ الملك يتوجع إليّ بما حكى له ابن جعفر عني ، ويخبرني بمالي عنده من جميل الرأي ، فأكذبتُ له كلَّ ما حكاه له عبد الله بن جعفر عني ، ووصفتُ له نفسي بغاية الملاءِ والجدة ، فامتلأ عبد الملك سروراً بما ذكرت له ، وغماً بتكذيب ابن جعفر ، فلما عاد إليه ابن جعفر ، عاتبه عبد الملك على ما حكاه عني وأخبره بما حلّيتُ به نفسي ؛ فقال : كذبَ والله يا أمير المؤمنين ، وإنه أحوج أهلِ الحجاز إلى قليل فضلك ، فضلاً عن كثيره .

---

١ ـ الوصيف: الغلام الذي بلغ أوان الخدمة وأحسن القيام بها .

ثم خرج عبد الله فلقيني ، فقال : ما حملك أن كذَّبتني عند أمير المؤمنين ؟ قلت : أفكنتَ تراني تجلسني بين شمس وقمر ، ثم أتفاقر عنده ! لا والله ما رأيت ذلك لنفسي وإن رأيتَه لي ! فلما أعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك ابن مروان ، قال : فالجاريتان له ! قال : فلما صارتا إليّ زرت عبد الله بن جعفر ، فوجدته قد امتلأ فرحاً وهو يشرب ، وبين يديه عس[1] فيه عسل ممزوج بمسك وكافور ، فقال : مهيم ! قلت : قد والله قبضت الجاريتين . قال: فاشربْ . فتناولت العس فجرعتُ منه جرعة ، فقال لي : زدْ . فأبيتُ عليه ، فقال لجارية له عنده تغنيه : إن هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين ؛ فخذي في نعتهما ؛ فإنهما كما فلّكت صدورُهما . فَحركت الجارية العود ثم غنّت :

عهدي بها في الحيّ قد جردتْ صفراءَ مثلَ المهرةِ الضامرِ
قد حَجَم الثديُ على نحرها في مشرقٍ ذي بهجة ناضرِ
لو أسندتْ ميتاً إلى صدرها قام ولم يُنقل إلى قابرِ
حتى يقولَ الناسُ مما رأوْا يا عجباً للميّت الناشرِ

قال : فلما سمعت الأبيات طربتَ ، ثم تناولت العس فشربت عللاً[2] بعد نَهل[3] ورفعت عقيرتي أغني :

سقَوْني وقالوا لا تغنِّ ولو سَقَوا جبالَ حُنَيْنٍ ما سقَوْني لغنَّتِ

جارية تغني وشيخ يرمي نفسه في الفرات

صحِب شيخٌ من أهل المدينة شاباً في سفينة ومعهم جارية تغني ، فقال له : إن معنا جاريةً تغني ، ونحن نُجلُّك ؛ فإذا أذنتَ لنا فعلنا . قال : فأنا اعتزل وافعلوا ما شئتم . فتنحّى وغنّت الجارية :

---

١ ـ العُس: الإناء الكبير .
٢ ـ علّ: شرب تباعاً .
٣ ـ نهل: شرب أول الشرب، والنهل: العطش وهي للإبل .

حتى إذا الصبحُ بدا ضوؤه وغابت الجوزاءُ والمرزمُ[1]
أقبلتُ والوطْءُ خفيٌّ كما ينسابُ من مَكمَنِهِ الأرقمُ[2]

فرمى الناسك بنفسه في الفرات وجعل يخبط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! فأخرجوه وقالوا : ما صنعتَ ؟ فقال : والله إني أعلم من تأويله ما لا تعلمون ؟ .

جارية تغني وفتى يطرب حتى الموت

حدّث أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله المأمون في طريق الحج من العراق إلى مكة ، قال : حدثني أبي ، قال : كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً ، قرأتِ القرآن وروتِ الأشعار وتعلمتِ العربية ؛ فوقعت عند يزيد بن عبد الملك ، فأخذت بمجامع قلبه ، فقال لها ذات يوم : ويحك ! أما لك قرابةٌ أو أحد يحسُن أن أصطنعه أو أُسدي إليه معروفاً ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، أما قرابة فلا ، ولكنّ بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاتي ، كنتُ أحب أن ينالهم من خير ما صرتُ إليه ! فكتب إلى عامله بالمدينة في إشخاصهم ، وأن يُعطي كل رجل منهم عشرة آلاف درهم ، وأن يعجل بسراحهم إليه ، ففعل عامل المدينة ذلك ؛ فلما وصلوا إلى باب يزيد استُؤذن لهم ، فأذن لهم وأكرمهم وسألهم عن حوائجهم ؛ فأما الإثنان فذكرا حوائجهما فقضاها لهما ، وأما الثالث فسأله عن حاجته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما لي حاجة ! قال : ويحك ! ولِمَ ؟ ألست أقدرُ على حوائجك ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن حاجتي لا أحسبك تقضيها ! قال : ويحك ! فَسَلْني ، فإنك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتُها . قال : ولي الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وكرامة ، قال : إن رأيت أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمْتَنا لها أن تغنّيني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال ، فأفعل ، قال : فتغيّر وجه يزيد . وقام من مجلسه ، فدخل على الجارية فأعلمها ؛ قالت : وما عليكَ يا أمير المؤمنين ؟ أفعلُ ذلك . فلما كان من الغد أمر بالفتى فأُحضِرَ ،

---

١ ـ المرزم : نجوم المطر .
٢ ـ الأرقم : ما كان من الحيّات فيه سوادٌ وبياض .

وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فأُلقيت ؛ فقعد يزيد على أحدها ، وقعدت الجارية على الآخر ، وقعد الفتى على الثالث ؛ ثم دعا بطعام فتغدّوا جميعاً ، ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوُضِعتْ ثم أمر بثلاثة أرطال فمُلِئت ؛ ثم قال للفتى : قل ما بدا لك وسلْ حاجتك . قال : تأمرها تغني !

لا أستطيع سلُواً عن مودّتها أو يصنع الحبُّ بي فوق الذي صنعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيُسعدُني حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزعا

فأمرها فغنّت ، فشرب يزيد وشرب الفتى ، ثم شربت الجارية ؛ ثم أمر بالأرطال فمُلئت ، ثم قال للفتى : سلْ حاجتك . قال : تأمرها تغني :

تخيَّرْتُ من نعمانَ عُودَ أراكةٍ لهندٍ ، ولكن مَن يبلّغُه هندا ؟
ألا عرِّجا بي بارك اللهُ فيكما وإن لم تكن هندٌ لأرضكما قَصْدا

قال : فغنتْ بهما ، وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية ؛ ثم أمر بالأرطال فمُلِئت ؛ ثم قال للفتى : سلْ حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين مُرْها تغني :

منّا الوصالُ ومنكمُ الهَجْرُ حتى يفرّق بيننا الدهرُ
واللهِ ما أسلوكمُ أبداً ما لاحَ نجمٌ أو بدا فجرُ

قال : فلم تأتِ على آخر الأبيات حتى خرَّ الفتى مغشياً عليه ؛ فقال يزيد للجارية : انظري ما حاله ! فقامت إليه فحرَّكته ، فإذا هو ميت ! فقال لها : ابكيه ! قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حيٌّ ! قال لها : ابكيه ، فوالله لو عاش ما انصرف إلّا بكِ! فبكتْه ، وأمر بالفتى فأُحسنَ جهازُه ودفْنُه .

وقال عبد الله بن جعفر : اشتريت جارية باثني عشر ألف درهم مطبوعة ، فكان بديحُ وطويس[1] يأتيانها فيطرحان عليها أغانيهما ، فعلِقتْ منهما حتى غلبت عليهما ؛ فوُصفتْ ليزيد بن معاوية ، فكتب إليّ : إمّا أهديتَها إليّ ، وإمّا بعتَها بحكمك . فكتبتُ إليه : إنها لا تخرج عن ملكي ببيعٍ ولا هبة ! فبذل لي فيها ما كنت أحسب أنّ نفسَه لا تسخو به ، فأبيتُ عليه . فبينما هي عندي على

١ ـ تقدمت ترجمته .

تلك الحال ، إذ ذكرت لي عجوز من عجائزنا أنّ فتى من أهل المدينة سمع غناءها فعلِقها وشغف بها ، وأنه يجيء في كل ليلة مستتراً يقف بالباب حتى يسمعَ غناءَها ثم ينصرف ؛ فراعيتُ مجيئَه ، فإذا الفتى قد أقبل مقنّع الرأس ، فأشرفتُ عليه وقد قعد مستخفياً ، فلم أدعُ بها تلك الليلة ، وجعلتُ أتأمل موضعه ، فبات مكانه الذي هو فيه ؛ فلمّا انشقّ الفجرُ اطلعتُ عليه ، فإذا هو في موضعه ، فدعوتُ قيّمة الجواري فقلت لها : انطلقي الساعةَ فزيّني هذه الجارية وأعجلي بها إليّ . فلما جاءت بها نزلتُ وفتحتُ الباب وحرّكتُه ، فانتبه مذعوراً ؛ فقلت له : لا بأس عليك ! خذْ بيد هذه الجارية فهي لك ، وإن هممتَ ببيعها فردَّها إليّ ! فَدُهِشَ وأخذه الخبلُ ولُبِط به ؛ فدنوت من أذنه ! فقلت : ويحك ! قد اظفرك الله ببغيتك ، فقم فانطلق بها إلى منزلك ! فإذا الفتى قد فارق الدنيا .

جارية تعشق مغنيا

حدّث إسحاق الموصلي قال : كان للمأمون جماعةٌ من المغنين ، وفيهم مغنّ يُسمّى سوسناً ، عليه وسْم جمال . قال : فبينما هو عنده يغني إذ تطلعت جاريةٌ من جواريه فنظرت إليه فعلِقتْه ، فكانت إذا حضر سوسن تسوّي عودَها وتغني :

ما مررْنا بالسوسن الغضِّ إلّا ... كان دمعي لمقلتيَّ نديما
حبّذا أنت والمسمّى به أنـ ... ـت وان كنت منه أذكى نسيما

فإذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره ؛ فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون ، فدعا بها ودعا بالسيف والنِّطع[1] ؛ ثم قال : اصدقيني أمركِ . قالت : يا أمير المؤمنين ، ينفعني عندك الصدق ؟ قال لها : إن شاء الله ! قالت : يا أمير المؤمنين ، اطلعت من وراء الستارة فرأيته فعلقته ، فأمسك المأمون عن عقوبتها ، وأرسل إلى المغني فوهبها له ، وقال : لا يقْرُبنا ! .

---

١ ـ النطع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس.

... ومغن يعشق جارية ...

وحدّث أبو الحسن قال : كان الواثق إذا شرب وسكر رقد في موضعه الذي سكر فيه ، ومن سكر مِن ندمائه ترك ولم يخرج ؛ فشرب يوماً فسكر ورقد ، وانقلب أصحابه ، إلا مغنّياً أظهر التراقد[٢] ، وبقيت معه مغنية للواثق ؛ فلما خلا المجلس وقّع المغني في سحاءةٍ[٣] ودفعها إليها :

إني رأيتُك في المنام كأنني مُترشِّفٌ من ريقِ فيكِ الباردِ
وكأنّ كفّك في يدي وكأنما بتنا جميعاً في فراشٍ واحدِ
ثم انتبهتُ ومنكباكِ كلاهما في راحتيّ وتحت خدِّك ساعدي

فأجابته :

خيراً رأيتَ وكل ما أبصرتَهُ ستنالُه مني برغمِ الحاسِدِ
وتبيتُ بين خلاخلي ودمالجي وتجول بين مَراسلي ومجاسدي[٣]
فنكون أنعمَ عاشقينِ تعاطيا مُلحَ الحديث بلا مخافة راصد

فلمّا مدّت يدها لترمي إليه بالسجاءة ، رفع الواثق رأسه فأخذ السجاءة من يدها ، وقال لهما : ما هذه ؟ فحلفا له أنه لم يجرِ بينهما قبل هذا كلامٌ ولا كتاب ولا رسول غير اللحظ ، إلا أن العِشقَ قد خامرهما . فأعتقها وزوّجها منه ، فلما أشهد له وتمّ النكاح ، أقامها الواثق إلى بيتٍ من بعض البيوت ، فوقع بها ثم خرج فقال له : أردتَ ان تكشِّخَني[٤] فيها وهي خادمتي ، فقد كشّختك فيها وهي زوجتك ! .

جارية تقلق المعتصم

ذكر المعتصم جارية كانت غلبت عليه وهو بمصر ، ولم يكن خرج بها معه ؛ فدعا مغنياً له فقال له : ويحك ! إني ذكرت جارية ، فأقلقني الشوق إليها ؛ فهاتِ صوتاً يشبه ما ذكرتُ لك . فأطرق مليّاً ثم غنّى :

---

١ ـ تراقد: تظاهر بالنوم .
٢ ـ السحاءة في الأصل: غلاف الكتاب وهنا تعني الورقة .
٣ ـ تكشخني: تجعلني كشخان وهو الذي لا غيرة له على أهله ويُزنى بعرضه .

وددتُ من الشوق المبرِّح أنني أُعارُ جَناحَيْ طائرٍ فأطيرُ
وإنّ امرأً في بلدةٍ نصفُ قلبه ونصفٌ بأخرى غيرِها لصبورُ

فقال : والله ما عدوتَ ما في نفسي ! وأمر له بجائزة ، ورحل من ساعته ، فلمّا بلغ الفرما قال :

غريبٌ في قُرى مصر يقاسي الهمَّ والسَّدما[1]
لليلُكَ كان بالميْدا نِ أقصرَ منه بالفرما

جارية وأشعب[2]

كان أشعب يختلف إلى قَيْنة بالمدينة ، فجلس عندها يوماً يطارحها الغناء ؛ فلما أراد الخروج قال لها : نوِّليني خاتمك اذكرك به . قالت : إنه ذهب ، وأخاف ان تذهب ، ولكن خذ هذا العود ، لعلك تعود ! وناولتْه عوداً من الأرض !

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة يكلَف بها وينقطع إذا نظرها ، فطلبت منه ان يُسلفها دراهم ، فانقطع عنها وتجنّب دارها ، فعملتْ له دواءً ولقيتْه به ؛ فقال لها : ما هذا ؟ قالت : دواءٌ عملته لك تشربه لهذا الفزع الذي بك ! قال : إشربيه انتِ للطمع ، فإن انقطع طمعُك انقطع فزعي . وانشأ يقول :

أنا واللهِ اهواكِ ولكن ليس لي نَفَقَهْ
فإمّا كنتِ تهوَيْني فقد حلّتْ ليَ الصَّدَقَه

قينة وأبو الحارث

قعد أبو الحارث إلى قينة بالمدينة صدر نهاره ، فجعلت تحدّثه ولا تذكر الطعام ؛ فلما طال ذلك به قال : ما لي لا أسمع للطعام ذِكراً ؟ قالت : سبحان الله ! أما تستحي ؟ أما في وجهي ما يشغلك عن هذا ؟ فقال لها : جُعلتُ

١ ـ السدم : الهمّ والحزن .
٢ ـ تقدمت ترجمته .

فداك ، لو أنَّ جميلاً وبثينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان ، لبصَقَ كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا ! .

قيان أبي نواس

قال الشيباني : كانت بالعراق قينة ، وكان أبو نواس يختلف إليها ، فتُظهر له أنها لا تحب غيره ؛ وكان كلّما جاءها وجد عندها فتى يجلس عندها ويتحدث إليها ؛ فقال فيها :

ومُـظهِـرة لخلقِ الله وُدّاً   وتلقى بـالتحيـةِ والسـلامِ
أتيتُ فؤادَهـا أشكـو إليـه   فلم اخلُص إليه من الزِّحامِ
فيا من ليس يكفيها صديق   ولا خمسون ألفاً كلَّ عامِ
أراكِ بقيةً من قوم موسى   فهم لا يصبرون على طعامِ

وقال الشيباني : حضر أبو نواس مجلساً فيه قيان ؛ فقلن له : ليتنا بناتُك ، قال : نعم ، ونحن على المجوسية[1] .

وقال العتبي : حضرتْ قينةٌ مجلساً ، فتغنّت فأجادت ، فقام إليها شيخٌ من القوم فجلس بين يديها ، وقال : كل مملوكٍ لي حرٌّ ، وكل امرأةٍ لي طالقٌ ، لو كانت الدنيا لي كلها صُرراً في كمّي لقطعتُها لك ؛ فأما إذا لم يكن فجعل الله كلَّ حسنة لي لك ، وكلَّ سيئة عليك عليّ . قالت : جزاك الله خيراً ، فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا . فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها : كل مملوك لي حرٌّ ، وكل امرأة لي طالقٌ ، ان كان وهب لك شيئاً ولا حمل عنك ثقلاً ؛ لأنه ماله حسنةٌ يهبها لك ، ولا عليك سيئةٌ يحملها عنك ؛ فلأيِّ شيءٍ تحمدينه ؟ .

جارية وجعفري

حدّث أحمد بن عمر المكي قال : كان بالمدينة رجل جعفري ، من ولد جعفر بن أبي طالب ، وكان يحب الغناء ، وكان بالمدينة قينة يقال لها بصبص ، وكان الجعفري يتعشّقها ، فقال يوماً لإخوانه : قوموا معي إلى هذه الجارية حتى

---

١ ـ المجوسيّة : دين المجوس، وهم أمّة يعبدون الشمس أو النار .

نكاشفها ، فقد والله أيتمتْ ولدي ، وأرملتْ نسائي ، وأخربت ضيعتي . فقاموا معه ، حتى إذا جاءوا إلى بابها دقّه ، فخرجت إليه ، فإذا هي أملح الناس دلاً وشكلاً ، فقال لها : يا جارية ، أتغنّين :

وكنتُ أحبكم فسلوت عنكم عليكم في دياركمُ السلام

فاستحيت وخجلت وبكت وقالت : يا جارية ، هاتي عودي ؛ والله ما أُحسن هذا ولكن أُحسن غيرَه . فغنّت :

تحمّل أهلُها منها فبانوا على آثار من ذهب العفاءُ

قال : فاستحيا والله صاحبنا حتى تصبّب عرقاً ، ثم قال لها : يا سيدتي ، أفتُحسنين ان تغني :

وأخضع للعُتْبى إذا كنت ظالماً وإن ظلموا كنتُ الذي أتفضل

قالت : والله ما أعرف هذا ولكن غيره . فغنّت :

فإن تُقبلوا بالود أُقبل بمثله وأُنزِلكُم منا بـأكرم منـزل

قال : فدفع الباب ودخل ، وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه ، وقال : لعن الله الأهل والولد والضيعة !

قينة وابن الجهم[1]

كتب ابن الجهم إلى قينة كان يتعشّقها :

خفى الله فيمن قد تَبَلْتَ فؤادَهُ وتيّمته دهراً كـأنّ به سِحْـرا[2]
دَعي الهجرَ لا أسمعْ به منكِ إنما سألتْكِ أمراً ليس يُعري لكم ظهرا[3]

١ ـ هو عليّ بن الجهم، أبو الحسن: شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد. كان معاصراً لأبي تمام، وخصّ بالمتوكل العباسي. ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة ثم انتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .(الأغاني ١٠ ط. دار الكتب ٢٠٣ ـ ٢٣٤).
٢ ـ تبلت: أسقمت .
٣ ـ أي امراً لا يكلفكم شيئاً ولا يعيبكم .

فكتبت إليه : صدقت ، جعلت فداك ؛ ليس يُعري لنا ظهراً ، ولكنه يملأ لنا بطنا[1] !.

جارية لأمية بن عبد الله

قال المفضّل بن محمد الضبي : حدّثنا بعض اصحابنا ان جارية لأمية بن عبد الله بن خالد ذات ظرف وجمال ، مرّت برجل من بني سعد ، وكان شجاعاً فارساً ، فلما رآها قال : طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ! ثم انه أتبعها رسولاً يسألها : ألها زوج ؟ ويذكره لها ؛ فقالت للرسول : ما حرفتُه ؟ فأبلغه الرسول قولها ، فقال : ارجع إليها فقل لها :

وسائلةٍ ما حرفتي ؟ قلت: حرفتي ... مقارعةُ الابطال في كلّ شارق
إذا عرضت لي الخيلُ يوماً رأيتني ... أمام رعيل الخيلِ أحمي حقائقي
وأصبرُ نفسي حين لا حُرّ صابرٌ ... على ألمِ البيض الرقاقِ البوارقِ[2]

فأنشدها الرسول ما قال ، فقالت له : ارجع إليه وقل له : أنت أسدٌ فاطلب لنفسك لبؤة ، فلست من نسائك ! وأنشدت هذه الأبيات :

ألا إنما أبغي جواداً بماله ... كريماً مُحيّاه قليل الصدائقِ
فتى همُّه مُذْ كان خودٌ كريمةٌ ... يعانقُها بالليلِ فوق النمارق[3]
ويشرُبها صِرفاً كُمَيتاً مُدامة ... نداماهُ فيها كلُّ خِرقٍ موافقِ[4]

جارية حديثة وجارية قديمة

قال الشافعي : تزوّج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة ، فكانت جارية الحديثة تمرّ على باب القديمة فتقول :

---

١ ـ يملأ لنا بطناً: يملأه جنيناً .
٢ ـ البيض الرقاق: السيوف الماضية .
٣ ـ الخود: الشابة الحسناء. النمارق: جمع نمرق ونمرقة وهي الوسادة .
٤ ـ الخمر كميت: مائلة إلى السواد .

وما يستوي الرِّجلان رجلٌ صحيحة ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلّت

ثم تعود فتقول :

وما يستوي الثوبان ثوبٌ به البلى وثـوبٌ بأيـدي البـائعين جـديـدُ

فمرّت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى مـا القلبُ إلا للحبيبِ الأوّلِ
كم منزلٍ في الأرض يألفهُ الفتى وحـنينُـه ابـداً لأول مـنـزلِ

جارية تثير الغيرة

خرج رجل من أهل الكوفة إلى اذربيجان ، فاقتاد جارية وفرساً ، وكان مُملكاً بابنة عمه ، فكتب إليها ليُغيرها :

ألا أبلغـوا أمَّ البنيـنَ بـأننـا غَنينا وأغنتنا الغـطارفةُ المُـردُ[1]
بعيدُ مناطِ المنكبين إذا جـرى وبيضـاءُ كالتمثـالِ زيّنها العِقـدُ
فهـذا لأيـام العـدُوّ، وهـذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجندُ

فلما ورد كتابهُ قرأته وقالت : يا غلام ، هات الدواة . فكتبت إليه تجيبه :

ألا أقرِهِ منا السلامَ وقُل لـه غنينا ـ ففيقوا ـ بالغطارفـة المُرد
بحمـدِ أمير المؤمنين أقـرّهم شباباً ـ وأغزاكم ـ خوالف في الجُندِ
إذا شئتُ غنّاني غلامٌ مـرجَّلٌ ونازَعتهُ من مـاء معتَصر الـورد
وإن شاء منهم ناشئٌ مدَّ كفّه إلى كبدٍ ملساءَ أو كفلٍ نَهدِ[2]
فما كنتمُ تقضون من حاج أهلِكم شهوداً ، قضيناها على النأي والبُعدِ

---

١ ـ الغطارفة: جمع عطريف وهو الشاب الظريف. المرد: جمع أمرد . وهو الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته .

٢ ـ الكفل: العجيزة .

فعجِّل علينا بالسَراح فإنّه منانا ولا ندعو لك الله بالردِّ
فلا قَفَلَ الجندُ الذي أنت فيهمُ وزادَك ربُّ الناس بُعداً إلى بُعدِ

فلما ورد كتابها ، لم يزد على ان ركب فرسه وأردف الجارية ، وألحق بها ، فكان أول شيء بدأ لها به بعد السلام أن قال : بالله هل كنت فاعلة ؟ قالت : الله أجلّ في قلبي وأعظم ، وأنت في عيني أذلّ وأحقر من أن أعصي الله فيك ! فكيف ذقت طعمَ الغَيْرة ؟ فوهب لها الجارية وانصرف .

جارية علي بن الحسين

تزوّج علي بن الحسين جارية له وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إليه يؤنّبه ، فكتب إليه عليّ : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتمّ به النقيصة وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم ؛ وهذا رسول الله ﷺ قد تزوّج أمته وامرأة عبدهِ ! فقال عبد الملك : انّ علي بن الحسين يشرُف من حيث يتضع الناس .

جوارٍ وصاحبة الكف والمِعصم

حدّث إبراهيم[1] بن المهدي المأمون قال : خرجتُ يا أمير المؤمنين من عندك يوماً ؛ فطفتُ في سكك بغداد متطرِّباً ، فانتهيت إلى موضع ،فشممت روائح أبازير قدورٍ قد فاح طيبُها ، فتاقت نفسي إليها وإلى طيب ريحها ، فوقفت على خياط فقلت : لمن هذه الدار ؟ قال : لرجلٍ من التجار من البزازين . قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان ابن فلان . فنظرت إلى الدار ، فإذا بشباك فيها معطّل ، فنظرت إلى كفٍ قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومِعصم ،

١ ـ هو إبراهيم بن محمدالمهدي، أبو إسحاق، ويقال له « ابن شطة » ، أخو هارون الرشيد. ولاّه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلماً، فسجنه ستة أشهر ثم عفا عنه. كان شاعراً وحاذقاً بصناعة الغناء. وامه جارية سوداء اسمها « شطة ». مات في سر من رأى سنة ٢١٢٤ هـ . وصلّى عليه المعتصم (الأغاني ١٠ ط . دار الكتب ٦٩ ـ ٩٤).

فشغلني يا أمير المؤمنين حُسنُ الكفِ والمِعصم عن رائحة القدور ، وبقيت باهتاً ساعة ؛ ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : أهو ممَّن يشرب ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، وليس ينادمه إلا تجارٌ عملةٌ مستورون . فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال الخياط : هؤلاء منادموه . فقلت : ما اسماهما وما كِناهما ؟ قال : فلان وفلان . فحركتُ دابتي وداخلتهما ، وقلت : جُعلتُ فداكما ، قد استبطأكما أبو فلان أعزّه الله . وسايرتُهما حتى بلغا الباب ، فأدخلاني وقدّماني ، فدخلنا ؛ فلما رآني صاحب المنزل لم يشك أني منهما بسبيل ، أو قادم قدمتُ عليهما من موضع ؛ فرحّب بي ، وأُجلستُ في أفضل المواضع ؛ فجيء بالمائدة وعليها خبز نظيف ، وأُتينا بتلك الألوان ، فكان طعمُها أطيبَ من ريحها ؛ فقلت في نفسي : هذه الألوان قد اكلتُها ، وبقي الكف والمِعصم ، كيف أصل إلى صاحبتهما ؟ ثم رُفع الطعام ، وجاؤونا بوضوء ، فتوضأنا وصرنا إلى بيت المنادمة ، فإذا أشكلُ بيت يا أمير المؤمنين ، وجعل صاحبُ المنزل يلطف بي ويميل عليّ بالحديث . وجعلوا لا يشكّون أن ذلك منه على معرفة متقدّمة ؛ حتى إذا شربنا أقداحاً ، خرجت علينا جارية كأنها بان ، تنثني كالخيزران فأقبلت فسلّمت غير خجيلة ، وثنيتُ لها وسادة فجلستْ ، وأُتي بالعود فوضع في حِجرِها فجسّته ، فاستبنتُ في جسِّها حذقها ، ثم اندفعت تغني :

تـوهّمَها طـرْفي فأصبح خدُّهـا   وفيه مكان الوهم من نظري أثرْ
وصـافحها كفّي فـآلم كفُّهـا   فمِن مسِّ كفي في أنامِلها عَقر

فجعلتْ يا أمير المؤمنين بلابلي تطرب لحسن شعرها ، ثم اندفعتْ تغني :

أشرتُ إليها: هل عرفت مودّتي ؟   فردّت بطرف العين : إني على العْهدِ
فحِدتُ عن الإظهار عمداً لسرِّها   وحادتْ عن الإظهار أيضاً على عمْدِ

فصحتُ : يا سلام ! وجاءني من الطرب ما لا أملكُ نفسي معه ؛ ثم اندفعتْ فغنّت :

أليس عجيباً أن بيتاً يضُمّني وإياكِ لا نخلو ولا نتكلَّمُ
سوى أعينٍ تشكو الهوى بجفونها وتقطيعِ انفاسٍ على النار تضرمُ
إشارة أفواهٍ وغمز حواجبٍ وتكسيرُ اجفانٍ وكف يسلّمُ

فحسدتُها يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء ، وإصابتها لمعنى الشعر ، وأنها لم تخرج من الفن الذي ابتدأتْ به ؛ فقلت : بقي عليك يا جارية ! فضربتْ بعودها الأرض وقالت : متى كنتم تُحضرونَ مجالسكم البغضاء ؟ فندمتُ على ما كان مني ، ورأيتُ القوم كأنهم تغيّروا لي ؛ فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟ ـ

قالوا : بلى .

فأُتيتُ بعود ، فأصلحتُ من شأنه ، ثم غنيتُ :

ما للمنازلِ لا يُجبنَ حزينا أَصُمِمْنَ أم قدُم المدى فبلينا
راحوا العشيّةَ روحةً منكورةً إنْ مِتْنَ مِتْنَا، أوحَيِيْن حيينا

فما أتممتُه حتى قامت الجارية فأكبّت على رجلي تقبّلها ، وقالت : معذرةً إليك ! فوالله ما سمعتُ أحداً يغني هذا الصوت غِناءك ! وقام مولاها وأهل المجلس ففعلوا كفعلها، ، وطرب القوم واللهِ واستحثوا الشراب ، فشربوا بالكاسات والطاسات ؛ ثم اندفعت اغني :

أَبى الله أن تمشي ولا تذكريني وقد سفحتْ عيناي من ذكركِ الدّما
فردّي مُصابَ القلب انتِ قتلتِه ولا تتركيه ذاهلَ العقلِ مغرَما
إلى الله اشكو نجلَها وسماحتي لها عَسَلٌ مني وتبذُلُ علقما
إلى الله اشكو أنها مادريّة وإني لها بالوُدِّ ما عشتُ مُكرِما

فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم ، ثم اندفعت أغنّي الثالث :

هذا محبُّكِ مطويٌّ على كمدِهْ حرّى مدامعُه تجري على جسده
له يدٌ تسأل الرحمنَ راحتَه مما جنى ويدٌ اخرى على كبده

فجعلت الجارية تصيح : هذا الغناء ! والله يا سيدي ، لا ما كنّا فيه ! وسكر القوم ، وكان صاحب المنزل حسنَ الشرب صحيح العقل ، فأمر غلمانه أن يخرجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوتُ معه ؛ فلما شربنا أقداحاً قال : يا هذا ، ذهب ما مضى من أيامي ضياعاً إذ كنتُ لا اعرفك ؛ فمن أنت يا مولاي ؟ ولم يزل يلحُّ حتى أخبرته الخبر ، فقام وقبّل رأسي وقال : وأنا أعجب يا سيدي ان يكون هذا الأدب إلا لمثلك ، وأنّى لي أجالس الخلفاء ولا أشعر ؟

ثم سألني عن قصتي فأخبرته ، حتى بلغت خبرَ الكف والمعصم ؛ فقال للجارية : قومي فقولي لفلانة تنزل . .

ثم لم يزل يُنزل جواريَه واحدة بعد أخرى ، وأنظر إلى كفها ومعصمها وأقول : ليست هي ! حتى قال : والله ما بقي غير زوجتي وأختي ، ووالله لأنزلنّهما إليك .

فعجبتُ من كرمه وسَعة صدره ، فقلت : جُعلتُ فداءك ، ابدأ بالأخت قبل الزوجة ، فعساها هي .

فبرزت ، فلمّا رأيت كفّها ومعصمها قلت : هي هذه ! فأمر غلمانه فمضوا إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانه ، فأقبلوا بهم ؛ وأمر ببدرتين[1] فيها عشرون ألف درهم ، فقال للمشايخ : هذه اختي فلانة ، أشهدكم أني قد زوجتُها من سيدي إبراهيم بن المهدي ،وأمهرتها عنه عشرين ألفاً ! فرضيتَ النكاح ، فدفع إليها البدرة ، وفرّق الأخرى على المشايخ ، وقال لهم : انصرفوا . ثم قال : يا سيدي أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك ! فاحتشمني ما رأيت من كرمه ، فقلت : بل أحضرُ عمارية وأحملها إلى منزلي . قال : ما شئت . فأحضرت عمارية وحملتُها إلى منزلي ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أتبَعَها من الجهاز ما ضاق عنه بعضُ بيوتنا ؛ فأولدتُها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين .

---

١ ـ البدرة: كمية من المال تساوي عشرة آلاف درهم .

جارية أخرى وأشعب[1]

كان أشعب يختلف إلى جارية في المدينة ، ويُظهر لها التعاشق ، إلى أن سألته سلفة نصف درهم ، فانقطع عنها ، وكان إذا لقيها في طريق سلك طريقاً أخرى ، فصنعت له نشوقاً[2] وأقبلت به إليه ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : نشوق عملتُه لك لهذا الفزع الذي بك ! فقال : اشربيه أنت للطمع الذي بكِ ، فلو انقطع طمعُك انقطع فزعي ! وأنشأ يقول :

اخلفي ما شئتِ وعدي　　وامنحيني كلَّ صدِّ
قد سلا بعدكِ قلبي　　فاعشقي من شئتِ بعدي
إنّني آليتُ لا أعْـ　　ـشِقُ مَن يعشق نقدي

جارية اسمها زانة

خرج أبو نواس متنزهاً مع شطار من أصحابه ، فنزلوا روضة ووضعوا شراباً ، فمرّ بهم طفيليّ ، فتطارح عليهم ؛ فقال له أبو نواس : ما اسمك ؟ قال : أبو الخير . فرحّب به وقعد معهم ؛ ثم مرّت بهم جارية فسلمت ، فردّ عليها ، وقال لها : ما اسمك ؟ قالت : زانة . قال أبو نواس لأصحابه : اسرقوا الياء من أبي الخير ، فأعطوها زانة ، فتكون زانية ، ويكون أبو الخير أبا الخر كما هو ففعلوا . . .

جارية تهدي المأمون تفاحة

أهدت جارية من جواري المأمون تفاحة له ، وكتبت إليه : إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنافسَ الرعية في الهدايا إليك ، وتواتر ألطافهم عليك ، فكرتُ في هدية تخفّ مؤونتها ، وتهون كلفتها ، ويعظم خطرها ، ويجلُّ موقعها ؛ فلم أجد ما تجتمع فيه هذا النعت ، ويكملُ فيه هذا الوصف ، إلا التفاح ؛ فأهديت إليك منها واحدة في العدد ، كثيرة في التصرّف ؛ وأحببتُ يا أمير المؤمنين أن أُعربَ لك عن فضلها ، وأكشف لك عن محاسنها ، واشرح

---

١ ـ تقدمت ترجمته .
٢ ـ النشوق : كل دواء ينشق .

لك لطيفَ معانيها ، وما قالت الأطباء فيها ، وتفنُّن الشعر في أوصافها ، حتى ترمقها بعين الجلالة ، وتلحظها بمقلة الصيانة ؛ فقد قال أبوك الرشيد رضي الله عنه : أحسنُ الفاكهة التفاح ، اجتمع فيه الصفرة الدُّريّة ، والحمرة الخَمْرية ، والشقرة الذهبيّة ، وبياض الفضة ، ولون التبر ؛ يلذ بها من الحواس : العينُ ببهجتها ، والأنف بريحها ، والفمُ بطعمها . وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة ، واجتمع إليه تلاميذه : إلتمسوا لي تفاحة أعتصم بريحها ، وأقضي وطري من النظر إليها . وقال إبراهيم بن هانىء : ما عُلِّلَ المريض المبتلى ، ولا سكنت حرارة الثكلى ، ولا رُدَّت شهوة الحبلى ، ولا جُمعت فكرة الحيران ، ولا سكنت حنْقة الغضبان ، ولا تحيَّتِ الفتيان في بيوت القيان ، بمثل التفاح . والتفاحة يا أمير المؤمنين ، إن حملتَها لم تؤذِك ، وإن رُمِيتَ بها لم تؤلمك ؛ وقد اجتمع فيها ألوان قوس قزح ، من الخضرة والحمرة والصفرة ؛ وقال فيها الشاعر :

حمرةُ التفاح مع خضرتِـه ... أقرب الأشياء من قوس قُزَح
فعلى التفاح فاشرب قهوةً ... واسقنيهـا بنشاطٍ وفـرح[1]
ثم غنّني لكي تــطربَـني ... طرفُك الفتّانُ قلبي قد جرح

فإذا وصلت إليك يا أمير المؤمنين ، فتناولها بيمينك ، واصرِفْ إليها بغيتك ، وتأمّل حسنها بطرْفك ، ولا تخدشها بظفرك ، ولا تبعدها عن عينك ، ولا تبذلها لخَدمِك ؛ فإذا طال لُبثُها عندك ، ومُقامُها بين يديك ، وخفتَ ان يرميها الدهر بسهمه ، ويقصدها[2] بصِرَفِه ، فتذهب بهجتُها ، وتحيلَ نضرتُها ، فكُلْها :

* هنيئـاً مريئـاً غيرَ داءٍ مُخـامِرِ *

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

---

١ ـ القهوة: الخمر .
٢ ـ يقصدها: يصيبها .

جارية تغني سكران

شرب المأمون ويحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر، فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى، فغمز الساقي، فأسكره، وكان بين أيديهم رِزم من وردٍ ورياحين، فأمر المأمون فشُق له لحدٌ في الورد والرياحين، وصيّروه فيه، وعمل بيتين في شعر ودعا جارية، فجلست عند رأسه وحركت العود وغنّت:

ناديتُه وهْو حيٌّ لا حراكَ به   مكفَّنٌ في ثيابٍ من رياحين
فقلت: قُم. قال: رجلي لا تطاوعني   فقلت: خذ، قال: كفي لا تواتيني

جارية تجرّد رجلاً من ثيابه في السوق

قال إسحاق بن إبراهيم: قال لي ابن وهب الشاعر: والله لأحدثنّك حديثاً ما سمعه مني أحدٌ قط، وهو بأمانةٍ أن يسمعه أحد منك ما دمت حياً. قلت: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبيْنَ أن يحملْنَها﴾!

قال: يا أبا محمد أنه حديث ما طنّ في أذنك أعجب منه! قلت: كم هذا التعقيد بالأمانة؟ آخذه على ما أحببت!

قال: بينا أنا بسوق الكيل بمكة بعد أيام الموسم، إذ أنا بإمرأة من نساء مكة، معها صبي يبكي، وهي تُسكته فيأبى أن يسكت، فسفرتْ، فأخرجت من فيها كِسرة درهم فدفعتها إلى الصبي، فسكت، فإذا وجه رقيق كأنه كوكب درّي، وإذا شكلٌ رطب ولسانٌ فصيحٌ، فلما رأتني أحدُّ النظر إليها، قالت: اتبعني! فقلت: إن شريطتي الحلال! قالت: ارجع في حِرِ أمك! ومن يريدك على حرام؟ فخجلت، وغلبتني نفسي على رأيي، فتبعتُها، فدخلت رقاق العطارين فصعدتْ درجة وقالت: اصعد! فصعدتُ، فقالت: أنا مشغولة وزوجي رجلٌ من بني مخزوم، وأنا امرأة من زهرة، ولكن عندي حِر [1] ضيِّق، عليه وجه أحسن من العافية، في مثل خلق ابن سريج [2]، وترنم معبد [3] وتيه ابن عائشة [4]،

١ ـ الحِر: الفرْج عند المرأة.

٢ ـ تقدمت ترجمته.

٣ ـ هو معبد بن وهب: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. وكان أديباً فصيحاً. عاش طويلاً إلى أن انقطع صوته. مات سنة ١٢٦ هـ. (الأعلام[7] ٢٦٤).

٤ ـ هو محمد بن عائشة، أبو جعفر: موسيقار. من المتقدمين في صناعة الغناء ووضع =

أجمع لك هذا كله في بدنٍ واحد بأشقر سليم. قلت: وما أشقر سليم؟ قالت: بدينار واحد يومك وليلتَك، فإذا قمتَ جعلت الدينار وظيفة وتزويجاً صحيحاً. قلت: فذلك لك إن اجتمع لي ما ذكرتِ قال: فصفقت بيدها إلى جاريتها، فاستجابت لها، قالت: قولي لفلانة: البسي عليك ثيابك وعجّلي، وبالله لا تمسّي غمراً ولا طيباً، فحسبُك بدلالك وعطرك. قال: فإذا جاريةٌ أقبلت ما أحسب أن الشمس وقعت عليها، كأنها دُمية، فسلمت وقعدت كالخجلة.

فقالت لها الأُولى: إن هذا الذي ذكرته لك، وهو في هذه الهيئة التي ترين. قالت: حيّاه الله وقرّب داره. قالت: وقد بذل لك من الصداق ديناراً. فقالت: أي أمّ، أخبرتِهِ بشريطتي؟ قالت: لا والله يا بنيّة، لقد نسيتُها. ثم نظرت إليَّ فغمزتني وقالت: أتدري ما شريطتها؟ قلت: لا قالت: أقول لك بحضورها ما إخالها تكرهه، هي والله افتك من عمرو بن معد يكرب، وأشجع من ربيعة بن مكدّم، ولستَ بواصل إليها حتى تسكر وتغلب على عقلها، فإذا بلغتْ تلك الحال ففيها مطمع. قلت: ما أهون هذا وأسهله! قالت الجارية: وتركتِ شيئاً آخر! قالت: نعم والله، اعلم أنك لن تصل إليها حتى تتجرد لها، وتراك مجرّداً مقبلاً ومدبراً. قلت: وهذا أيضاً أفعله! قالت: هلمّ دينارَك! فأخرجت ديناراً فنبذته إليها، فصفقت صفقة أخرى، فأجابتها امرأة؛ قالت: قولي لأبي الحسن وأبي الحسين: هلمّا الساعة! فقلت في نفسي: أبو الحسن وأبو الحسين، هو عليّ بن أبي طالب!

قال: فإذا شيخان خاضبان نبيلان قد أقبلا، فصعدا، فقصّت المرأة عليهما القصة، فخطب أحدهما وأجاب الآخر، وأقررتُ بالتزويج وأقرّت المرأة، فدعَوَا بالبركة، ثم نهضا، فاستحييت أن أحمّل المرأة شيئاً من المؤونة، فأخرجتُ ديناراً آخر فدفعتُه إليها وقلت: اجعلي هذا لطيبك. قالت: يا أخي، لستُ ممّن يمسّ طيباً لرجل، إنما اتطيّب لنفسي. إذا خلوت. قلت: فاجعلي هذا لغدائنا اليوم. قالت: أما هذا فنَعَم.

= الألحان في العصر الأموي، يرتجل ذلك ارتجالاً. توفي نحو سنة ١٠٠ هـ (الأعلام[٦] ١٧٩).

فنهضت الجارية، وأمرت بإصلاح ما يُحتاج إليه، ثم عادت، وتغدّينا، وجاءت بأداةٍ وقضيب، وقعدت تجاهي، ودعت بنبيذٍ فأعدّته، واندفعت تغني بصوتٍ لم أسمع مثله قط، فإني ألِفت القينات نحواً من ثلاثين سنة، ما سمعت مثل ترنّمها قط؛ فكدت أُجنُّ سروراً وطرباً، فجعلتُ أريغ[1] أن تدنو مني فتأبى، إلى أن غنَّت بشعرٍ لم أعرفه، وهو:

راحوا يصيدون الظِّباءَ، وإنني لأرى تصيّدها عليَّ حراما
أعزِزْ عليّ بأن أروّعَ شِبهها أو أن تذوق على يديّ حِماما

فقتل: جُعلت فداكِ! مَن يُغني هذا؟ قالت: اشترك فيه جماعة، هو لمعبد، وتغنّى به ابن سريج، وابن عائشة..

فلما نُعيَ إلينا النهار وجاءت المغرب، تغنّت بصوتٍ لم أفهمه، للشقاء الذي كُتِبَ عليّ، فقالت:

كأني بالمجرّد قد عَلَتْه بغالُ القوم أو خشبُ السواري

قلت: جُعلت فداكِ! ما أفهم هذا البيت ولا أحسبه مما يُتغنّى به. قالت: أنا أوّل من تغنّى به. قلت: فإنما وهو بيتٌ عابر لا صاحب له؟ قالت: معه آخر ليس هذا وقته، هو آخِر ما أتغنّى به!

قال: وجعلت لا أُنازعها في شيء إجلالاً لها، فلما أمسينا وصلّينا المغرب وجاءت العشاء الأخيرة، وضعت القضيب، فقمت فصليت العشاء وما أدري كم صليت، عجلة وشوقاً، فلما صليتُ قلت: تأذنين جعلتُ فداك في الدنوّ منك؟ قالت: تجرّد! وأشارت إلى ثيابها كأنها تريد أن تتجرّد، فكدت أن اشقّ ثيابي عجلةً للخروج منها، فتجرّدت وقمت بين يديها مكفّراً لها، قالت: امضِ إلى زاوية البيت وأقبلْ وأدبرْ، حتى أراك مقبلاً ومدبراً!

قال: وإذا حصير في الغرفة، عليه طريق إلى زاوية البيت؛ فخطرتُ عليه، وإذا تحته خرْق[2] إلى السوق، فإذا أنا في السوق قائماً مجرّداً مُنعِظاً[3]!

---

١ - أريغ: أحتال.
٢ - خرق: فتحة.
٣ - انعظ الرجل: انتصب قضيبه.

وإذا الشيخان الشاهدان قد أعدّا لي نعالهما، وكمنا لي في ناحية، فلما هبطت عليهما بادرا إليَّ فقطعا نعالهما على قفاي، واستعانا بأهل السوق فضُربت والله يا أبا محمد حتى نسيتُ اسمي، فبينا أنا أُضرب بنعالٍ مخصوفة وأيدٍ شديدة، إذا صوت يُغنّي به من فوق البيت: وهو:

ولو عَلِمَ المجرّدُ ماَ أردنا لحارَبْنا المجرّد بالصحارى

فقلت في نفسي: هذا والله وقت هذا البيت! فنجوت إلى رحلي وما فيّ عظم صحيح، فسألت عنها فقيل لي: إنها امرأة من آل لهب! فقلت: لعنها الله ولعن الذي هي منه!

جارية ومسلم في سرداب

قال دعبل بن علي الشاعر: بينا أنا ذات يوم بباب الكرخ، وأنا سائر، وقد احتوى الفكر على قلبي في أبيات شعر قد نطق بها اللسان من غير اعتقاد جنان، فقلت:

دموعُ عيني لها انبساطٌ ونومُ عيني به انقباضُ

فإذا أنا بجارية فائقة الجمال، حوراء الطرف، يقصر عن نعتها الوصف، لها وجه زاهر، ونور باهر، فهي كما قال الشاعر:

كأنما أُفرغت في قشر لؤلؤةٍ في كل جارحةٍ منها لها قمرُ

وهي تسمعني فقال:

هذا قليلٌ لمنْ دهتْه بلحظها الأعينُ المِراضُ

فأجبتها:

فهل لمولايَ عطفُ قلبٍ أو للذي في الحشا انقراضُ؟

فأجابتني فقالت:

إن كنتَ تبغي الودادَ منّا فالودُّ في ديننا قِراضُ

---

١ ـ تلاعة الجيد: طوله .

قال دعبل: فلم أعلَمني قبلها خاطبتُ جارية تقطع الأنفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الأرواح ببراعة منطقها، وتذهل الألباب، برخيم نغمتها، مع تلاعة جيد، ورشاقة قدّ، وكمال عقل، وبراعة شكل، واعندال خَلق، فحار والله البصر، وذهب اللبّ، وجل الخطب، وتلجلج اللسان، وتغللت الرِّجلان، وما ظنك بالحلفاء[1] إذا دنت من النار؟ ثم ثاب إليَّ عقلي، وراجعني حلمي، فذكرتُ قول بشار:

لا يَمْنعنّك من مُخدَّرةٍ قولٌ تغلّظه وإن جرحا
عُسْرُ النساء إلى مُياسرةٍ والصّعبُ يمكن بعدما جمحا

هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه اليأس منه، فكيف بمن وعد قبل المسألة، وبذل قبل الطلبة؟ فقلت مُسمِعاً لها:

أترى الزمان يسُرّنا بتلاقٍ ويضمّ مُشتاقاً إلى مُشتاقِ؟

فقالت مجيبة لي في أسرع من نفَس:

ما للزمان يُقال فيه وإنما أنت الزمان فسُرّنا بتلاق!

قال دعبل: فلحظتُها ومضيت وتبعتْني، وذلك في أيام إملاقي، فقلت: ما لي إلا منزل مسلم صريح الغواني، فسرتُ إلى بابه، فاستوقفتُها وناديته، فخرج، فقلت له: أكمل الخير، معي وجه صبيح، يعدل الدنيا بما فيها، وقد حصل على ضيقةٍ وعسر! فقال: قد شكوتَ ما دكت أباديك بشكواه! ائتِ بها. فلما دخلت قال: والله لا أملك غير هذا المنديل! فقلت: هو البُغية فناولنيه، فقال: خذه لا بارك الله لك فيه! فأخذته، فبُعته بدنار وكسر، فاشتريت لحماً وخبزاً ونبيذاً، وصرت إليه فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه قطع الروض الممطور، قال: ما صنعت؟ فأخبرته؛ قال: كيف يصح طعام وشراب، وجلوس مع وجه نظيف بلا نقل ولا ريحان ولا طيب؟ إذهب فالطُف لقمام ما كنتَ أوّلَه.

قال: فخرجت فاضطربت في ذلك حتى أتيت به، فألفيت باب الدرا

---

[1] ـ الحلفاء: الأَمة الصخّابة.

مفتوحاً، فدخلت، فإذا لا يُرى لهما ولا لشيء مما أتيت به أثر، فسُقِطَ في يدي، وقلت: أرى صاحب الربع أخذهما! فبقيت متلهفاً حائراً، أرجُم الظنون وأجيلُ الفكرَ سائر يومي؛ فلما أمسيت قلت في نفسي: أفلا أدور في البيت لعل الطلب يوقفني على أثر؟ ففعلت: فوقفت على باب سرداب له، وإذا هما قد هبطا فيه، وأنزلا معهما جميع ما يحتاجان إليه، فأكلا وشربا وتنعّما، فلما أحسستُهما دليتُ رأسي ثم ناديت: مسلم! ويلك! فلم يجبني، حتى ناديت ثلاثاً، فكان في إجابته لي أن غرَّد بصوتٍ يقول فيه:

بتُّ في دِرعِهـا وبـات رفيقي جُنُبَ القلب طـاهِرَ الأطـراف

ثم قال: دعبل، ويلك! من يقول هذا؟ قلت:

مَنْ له في حِر أمِّه ألفُ قرنٍ قـد أنافتْ على عُلُوٍّ مَنـافِ[1]

قال: فضحك، ثم سكتا، واستجلبت كلامهما فلم يجيباني، وأخذا في لذتهما، وبِتُّ بليلةٍ يقصر عمر الدهر عن ساعة منها طولاً وغمّاً! حتى إذا أصبحت ولم أكد، خرج إليَّ مسلم، فجعلتُ أؤنبه، فقال لي: يا صفيق الوجه! منزلي، ومنديلي، وطعامي، وشرابي؛ فما شأنك في الوسط؟ قلت له: حقُّ القيادة والفضول والله لا غير! فولّى وجهه إليها وقال: بحياتي إلا أعطيته حق قيادته وفضوله! قالت: أما حق قيادته فعرْك أذنِهِ، وأما حق فضوله فصفْع قفاه! فاستقبلني مسلم فعرك أذني وصفع قفاي، فقلت: ما هذا؟ فقال: جرى الحكم عليك بما جرى لك من العذل والاستحقاق.

جارية هديّة للرشيد

قال اسحاق بن إبراهيم الموصلي: دخلت على الرشيد، وعنده جارية، قد أُهديت له، ماجنة شاعرة أديبة، وبين يديه طبق فيه ورد، فقال لي: أما ترى حُسنَ هذا الورد ونضرة لونه؟ قلت: بل والله حسُنَ ذلك يا أمير المؤمنين قال: قُلْ فيه بيتاً يشبهه. فأطرقت ساعة ثم قلت:

---

١ ـ الحِر: الفرْج. أنافت: اشرفت وطالت وارتفعت.

كـأنّـه خـدّ مـومـوق يُقبّلُه فمُ الحبيب وقد أبدى به خَجَلا[1]

فاعترضتني الجارية فقالت:

كأنه لـونُ خدي حين تـدفعُني كفُّ الرشيد لأمرٍ يوجب الغُسلا

فقال الرشيد: قم يا إسحاق، فقد حرَّكتني[2] هذه الفاسقة.

جاريتان تتنافسان

حدّث إسحاق الموصلي قال: كان هارون الرشيد جالساً بين جاريتين من جواريه، فقال لهما: من يبيت عندي هذه الليلة منكما؟ فقالت إحداهما: أنا! فقالت الأخرى: لا، بل أنا! فقال للأولى: ما حجتك فيما ادعيتِ؟ قالت: قول الله ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقرَّبون ﴾ ثم قال للثانية: وما حجتك أنت؟ قالت: قول الله ﴿ وللآخرة خيرٌ لك من الأولى ﴾ فقال: لتقل كل واحدة منكما شعراً في الغزل، فمن كانت أرقَّ شعراً باتت عندي. فقالت الأولى:

أنا التي أمشي كما يمشي الوجي يكـاد أن يصـرعـني تـغنّـجي
من جنـة الفردوس كـان مخرجي

وقالت الأخرى:

أنـا التي لم يـرَ مثلي بشـرُ كـلامـي اللؤلـؤ حيـن يُـنـثـرُ
أسحُر من شئتُ ولست أُسحَر إن سمع الناسُ كلامي كفروا

فقال لهما: قد أحسنتما وأجدتما، وما لواحدةٍ منكا فضيلة على صاحبتها، ولكن أبيت بينكما!

الرشيد بين جاريتين

أخبر أبو الطيب الكاتب أن هارون الرشيد كان ليلة بين جاريتين: مدنيّة، وكوفية، فجعلت الكوفية تغمز يديه، والمدنية تغمز رجليه، فجعلت المدنية

١ ـ مومُوق: معشوق.
٢ ـ حركتني: أثارت غلمتي.

ترتفع إلى فخذيه، حتى ضربت يدها إلى متاعه، وحرّكته حتى أُنعظ، فقالت الكوفية: نحن شركاءك في البضاعة، وأراك قد انفردت دوننا برأس المال وحدك، فأنيلي منه! فقالت المدنية: حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له ولعقبه»! قال: فاستقبلتها الكوفية، ودفعتها، ثم أخذته بيديها جميعاً، وقالت: حدثنا الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود أنه قال: «الصيد لمن صاده لا لمن أثاره».!

جارية تعتلّ بشفتيها

قعد الرشيد يوماً عند زبيدة، وعندها جواريها، فنظر إلى جارية واقفة عند رأسها، فأشار إليها أن تقبّله، فاعتلّت[1] بشفتيها، فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه:

قبّلتُه من بعيدٍ فاعتلّ من شفتيهِ

ثم ناولها القرطاس، فوقعت فيه:

فما رحت مكاني حتى وثبتُ عليهِ

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة، فوهبتها له، فمضى بها وأقام معها اسبوعاً لا يُدرى مكانهما، فكتبت إليه زبيدة:

وعاشقٍ صبّ بمعشوقِه كأنما قلباهما قلبُ
روحاهما روحٌ ونفساهما نفس، كذا فليكن الحبُ

جارية: «كلام الليل يمحوه النهار»

حدّث أبو جعفر قال: بينا محمد بن زبيدة الأمين في قصر له، إذ مرّ بجارية له سَكْرَى، وعليها كساءُ خز تسحب أذياله، فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا على ما ترى، ولكن إذا كان في غدٍ إن شاء الله!

---

١ ـ اعتلّت: ادّعت المرض.

فلما كان من الغد مضى إليها فقال لها: الوعد! فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار؟ فضحك وخرج إلى مجلسه فقال: من بالباب من شعراء الكوفة؟ فقيل له: مصعب، والرقاشي، وأبو نواس، فأُمر بهم فأدخلوا عليه. فلما جلسوا بين يديه قال: ليقُل كل واحدٍ منكم شعراً يكون آخره:

* كلام الليل يمحوه النهار *

فأنشأ الرقاشي يقول:

متى تصحو وقلبُك مستطارُ ... وقد مُنع القرارُ فلا قرارُ[1]
وقد تركتك صَبّاً مستهاماً ... فتاةٌ لا تزورُ ولا تُزارُ[2]
إذا استنجزت منها الوعد قالت ... كلامُ الليل يمحوه النّهارُ

وقال مصعب:

أتعذلني وقلبُك مستطارُ ... كئيبٌ لا يقرُّ له قرارُ
بحبِّ مليحةٍ صادت فؤادي ... بألحاظ يُخالطها احورارُ[3]
ولما أن مددتُ يدي إليها ... لألْمَسَها بدا منها نِفارُ
فقلتُ لها عديني منكِ وعداً ... فقالت: في غدٍ منك المزارُ
فلما جئت مقتضياً أجابت: ... كلام الليل يمحوه النهارُ

وقال أبو نواس:

وخَوْدٍ أقبلتْ في القصر سكرى ... ولكن زيَّنَ السُّكرَ الوقارُ[4]
وهزَّ المشيُ أردافاً ثِقالاً ... وغُصناً فيه رمانٌ صغارُ
وقد سقط الرّدا عن منكبيها ... من التخميش وانحلَّ الإزارُ[5]

---

١ ـ مستطار: خائف.
٢ ـ صباً: عاشقاً.
٣ ـ الأحوراء: من الحور وهو اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها.
٤ ـ الخود: الشابة الحسناء.
٥ ـ التخميش: مداعبة المرأة باليد.

فقلت الوعدَ سيدتي، فقالت: كلامُ الليل يمحوه النهارُ

فقال له: أخزاك الله! أكنت معنا ومطلعاً علينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين عرفت ما في نفسك؟ فأعربتُ عما في ضميرك. فأمر له بأربعة آلاف درهم، ولصاحبيه بمثلها.

جارية تتحول إلى عبد أسود

قال الحسن بن هانيء: حججتُ مع الفضل بن الربيع، حتى إذا كنا ببلاد فزارة ـ وذلك إبّان الربيع ـ نزلنا منزلاً بإزاء ماء لبني تميم، ذا روضٍ أريض، ونبتٍ غريض، تخضع لبهجته الزرابي المبثوثة، والنمارق[1] المصفوفة، فقرّت بنضرتها العيون، وارتاحت إلى حسنها القلوب، وانفرجت لبهائها الصدور، فلم نلبث أن أقبلت السماء فانشقّ غمامها، وتدانى من الأرض رُكامُها، حتى إذا كانت كما قال اوس بن حجر حيث يقول:

دانٍ مسفٌّ فويقَ الأرض هَيدبهُ يَكاد يَدفعه مَن قام بالراحِ[2]

همت برذاذ، ثم بطش، ثم برش، ثم بوابِل[3]، ثم أقلعت وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق، والقيعان تتألق، رياض مونقة، ونوافح من ريحها عبقة فسرّحتُ طرفي راتعاً منها في أحسن منظر، ونشقت من رباها أطيب من المسك الأذفر[4].

قال: فلما انتهينا إلى أوائلها، إذا نحن بخباء على بابه جارية مشرقة، ترنو بطرْفٍ مريض الجفون، وسْنان النظر، أشعرت حماليقه فترةً وملئت سحراً، فاستقاها، فقالت: نعمْ ونَعمى عيْن، وإن نزلتم ففي الرحب والسعة! ثم مضت

---

١ ـ النمارق: جمع نمرق ونمرقة وهي الوسادة.
٢ ـ الراح: باطن الكف.
٣ ـ الوابل: المطر الشديد.
٤ ـ المسك الأذفر: الطيّب الرائحة (من اسماء الضد).

تتهادى كأنها خوط بان، أو قضيب خيزران، فراعني ما رأيت منها، ثم أتت بالماء فشربت منه، وصببتُ باقيه على يدي.

ثم قلت: وصاحبي أيضاً عطشان! فأخذت الإناء فذهبت، فقلت لصاحبي: من الذي يقول:

إذا بـارك اللهُ في ملْبس فلا بارك اللهُ في البُرْقعِ
يُريك عيونَ الدُّمى غِرَّةً ويكشفُ عن منظر أشنعِ

قال: وسمعتْ كلامي، فأتت وقد نزعت البرقع ولبست خماراً أسود، وهي تقول:

ألا حيّ ربْعي معشرٍ قد أراهما أقاما، فما أن يعرفا مُبتغاهما
هما استقيا ماءً على غير ظمأةٍ ليستمتعا باللَّحظ ممّن سقاهما

فشبّهت كلامها بعقد درّ وهَى فانتثر، بنغمة عذبة رقيقة رخيمة، لو خوطب بها صمُّ الصلاب لانبجست، مع وجه يُظلم من نوره ضياء العقول، وتتلف من روعته مُهج النفوس، وتخف في محاسنه رزانة الحليم، وتحار في بهائه طرْف البصير، فرقّت وجلّت، واستبطرت وأكملت، فلو جُنّ إنسانٌ من الحسن جُننت، فلم أتمالك أن خررتُ ساجداً فأطلتُ من غير تسبيح.

فقالت: ارفع رأسك غير مأجور، لا تذم بعدها بُرقعاً، فلربما انكشف عما يصرف الكرى، ويحلّ القُوى، ويُطيل الجوى، من غير بلوغ إرادة، ولا دَرَك طَلِبة، ولا قضاءِ وطر، ليس إلا للحَيْن المجلوب، والقدر المكتوب، والأمل المكذوب!

فبقيت والله معقولَ اللسان عن الجواب، حيران لا أهتدي لطريق، فالتفت إليَّ صاحبي، فقال: ما هذا الجهدُ بوجهٍ برقتْ لك منه بارقة لا تدري ما تحته؟ أما سمعت قول ذي الرّمة[1]:

---

١ ـ هو صاحب ميّ المنقرية وقد تقدم الحديث عنه في خبر صاحبته.

على وجه ميٍّ مسْحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب العارُ لو كان باديا

فقالت: أمّا ما ذهبتَ إليه فلا أبا لك، والله لأنا بقول الشاعر:

منعَّمةٌ حوراء يجري وشـاحُهـا على كشحٍ مُرتجٌ الروادفِ أهضمِ[1]
لهـا أثرٌ صـافٍ وعينٌ مـريضـةٌ وأحسن إبهـام وأحسن مِعصمِ
خزاعيّة الأطراف سعديّـة الحشا فـزاريّـة العينين طـائيـة الفمِ

... أشبه من قولك الآخر، ثم رفعتْ ثيابها حتى بلغتْ بها نحرها. وجاوزت منكبيها، فإذا قضيب فضّة قد أُشربَ ماءَ الذهب، يهتز مثل كثيب نقا[2] وصدر كالوذيلة، عليه كالرمانتين، وخصر لو رُمت عقده لانعقد، منطوي الاندماج، على كَفَل[3] رجراج، وسرّة مستديرة، يقصر فهمي عن بلوغ نعتها، من تحتها أرنب جاثم، جبهته أسد خادر، وفخذان مدملجان، وساقان خَدَلَّجان يخرسان الخلاخيل، وقدمان كأنهما لسانان ثم قالت: أعاراً ترى لا أبا لك؟

قلت: لا والله، ولكن سبب القدر المُتاح، ومقرّبي من الموت الذباح، يضيق على الضريح، ويتركني جسداً بغير روح!

فخرجت عجوز من الخباء فقالت له: امضِ لشأنك، فإن قتيلها مطلول لا يودى[4]، وأسير مكبول لا يُفدى!

فقالت لها: دعيه، فإنّ له مثل قول غيلان:

وإن لم يكن إلا تعلّل ساعةٍ قليـلاً فـإني نـافـعٌ لي قليلُهـا

فولّت العجوز وهي تقول:

وما نلتَ منها غيرَ أنك نائك بعينيـك عينيهـا وأ... خـائبُ

١ ـ الكشح: الخصر.
٢ ـ كثيب نقا: مجمّع رمل.
٣ ـ الكفل: العجيزة.
٤ ـ لا يودي: لا يقتصّ منه.

فنحن كذلك حتى ضرب الطبل للرحيل ،فانصرفت بكمد قاتل ، وكربٍ خابل ، وأنا أقول :

يا حسرتا مما يُجنّ فؤادي   أزف الرحيل بعَبْرتي وبعادي

فلما قضينا حجّنا وانصرفنا راجعين ، مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حسنُه ، وتمّت بهجته ؛ فقلت لصاحبي : امضِ بنا إلى صاحبتنا ! .

فلما أشرفنا على الخيام ، وصعدنا ربوة ونزلنا وهدة ، إذا هي تتهادى بين خمس ما تصلح أن تكون خادماً لأدناهنّ ، وهنّ يجنين من نَوْر ذلك الزهر . فلما رأيننا وقفنا وقلنا : السلام عليكنّ . فقالت من بينهنّ : وعليك السلام ، ألستَ صاحبي ؟ قلت : بلى ! قلن : وتعرفينه ؟ قالت : نعم ! وقصّتْ عليهنّ القصة ما خرمت حرفاً .

قلن لها : ويحك ! ما زوّدتِه شيئاً يتعلل به ! قالت : بلى زوّدته لحداً ضامراً ، وموتاً حاضراً !

فانبرت لها انضرهنّ خدّاً ، وأرشقهنّ قدّاً ، واسحرهنّ طرفاً ، وأبرعهن شكلاً ؛ فقالت : والله ما أحسنت بدءاً ، ولا أجملتِ عوْداً ، ولقد اسأتِ في الردّ ، ولم تكافئيه على الود ؛ فما عليك لو أسعفتِه بطلبته ، وأنصفتِه في مودّته ، وإنّ المكان لخالٍ ، وإن معك من لا ينمّ عليك ؟ .

فقالت : أما والله لا أفعل من ذلك شيئاً أو تشركيني في حلوه ومرّه ! قالت لها : تلك إذاً قسمةٌ ضيزى[1] . تعشقين أنت وأ . . . أنا !

قالت أخرى منهنّ : قد أطلتنّ الخطاب في غير أدب ، فسَلْنَ الرجل عن بته ، وقصده وبغيته ، فلعلّه لغير ما انتنّ فيه قصد .

فقلن : حيّاك الله وأنعم بك عيناً ! ممّن تكون ؟ وممن أنت ؟ وما تعاني ؟ وإلامَ قصدت ؟ .

---

١ ـ قسمة ضيزى: جائرة.

فقلت : أما الاسم فالحسن بن هانيء ، من اليمن ، ثم من سعد العشيرة ، وخير شعراء السلطان الأعظم ، ومَن يُدنّي مجلسه ، ويُتّقى لسانُه ، ويُرهب جانبه ؛ وأمّا قصدي فتبريد غلّة ، وإطفاء لوعة قد حرّكت الكبد وأذابتها . قالت : لقد اضفتَ إلى حسن المنظر كرمَ المخبر ، وأرجو ان يبلغك الله امنيتك ، وتنال بغيتك ! .

ثم اقبلت عليهنّ فقالت : ما واحدة منكنّ غير ملتمسة مرغّبة ؛ فتعالَيْن نشترك فيه ونتقارع عليه ، فمن واقعتها القرعة منا كانت هي البادئة ! فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بأمري . . .

فعلّق إزارٌ على باب الغار ، وأُدخلتْ فيه وابطأتْ عليّ ؛ وجعلت أتشوّق لدخول إحداهنّ عليّ ، إذ دخل عليّ أسود كأنه سارية ،وبيده شيء كالهراوة قد أنعظ بمثل رأس الحنيذ ! قلت : ما تريد ؟ قال : أ . . . ! ثم صحتُ بصاحبي وكان متأنيّاً مع الجواري ؛ فوالله ما تخلصت منه حتى خرجنا من الغار ، وإذا هنّ يتضاحكن ويتهادين إلى الخيمات ! .

فقلت لصاحبي : من أين أقبل الأسود ؟ قال : كان يرعى غنماً إلى جانب الغار ، فدعونه فوسوسن إليه شيئاً فدخل عليك . فقلت : أتراه كان يفعل بي شيئاً ؟ فقال : أتراك خلصتَ منه ؟ فانصرفت وأنا اخزى الناس .

جارية في الطواف

قال أبو الفضل : إني بالطواف أمام الحجر ، إذ سمعت حنيناً يخرج من بين الأستار ، وإذا بقائل يقول :

عفا الله عمّنْ يحفظُ الودّ جُهْدَهُ ... ولا كان عفوُ الله للناقضِ العهدِ
وضعتُ على الأستار خدي ذليلةً ... ليجمعني مع منْ وضعتُ له خدّي

قال : فرفعتُ الأستار ، فإذا جارية منفردة ، كأنها شمس تجلّت عنها غمامة ؛ فقلت : يا هذه ، لو سألتِ الله الجنة مع هذا التضرع والبكاء ما حرمك إياها ! قال : فسترتْ وجهها وقالت : سبحانَ من خلق فسوّى ، ولم يهتك

العلانيةَ والنجوى ؛ أما والله إني لفقيرة إلى رحمة ربي ، وقد سألته أكبر الأمرين عندي ، رجاء فضله ، واتكالاً على عفوه ! ثم ولّت عني ، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم .

جارية وابن جندب

حدّث ابن جندب قال : خرجت أنا وزبّان السواق إلى العقيق[1] ، فلقينا نسوةً نازلاتٍ من العقيق ، لهنّ جمال وشارة ، وفيهنّ جارية حُسَّانة العينين ، فلما رآها زبّان قال لي : يا ابن الكرم ، دَمُ أبيك والله في ثيابها فلا تطلب اثراً بعد عين ! وأنشد قول أبيه أبي مسلم بن جندب :

ألا يا عبادَ الله ، هذا أخوكم قتيلٌ، فهل منكم له اليومَ ثائرُ؟
خذوا بدمي إن متُّ كلَّ مليحةٍ مريضةِ جفن العين والطرْف ساحرُ

قال : فقالت لي الجارية : أنت ابن جندب ؟ قلت : نعم . قالت : فاغتنم نفسك واحتسب أباك ؛ فإن قتيلنا لا يُودَى وأسيرَنا لا يُفدى .

جارية تنسي ابن يحيى الخلافة

قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقريطش فطال مقامه بها ، تمتّع بجارية رائعة الجمال بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها ، وكان قبل ذلك متيّماً بجارية خلّفها بالعراق ، فسلا عنها ؛ فبينما هو مع الأقريطشية في سرور وحبور ، يحلف لها أنه لا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم عليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب :

كيف بعدي لا ذُقْتُمُ النومَ أنتم خبّروني مُذْ بِنْتُ عنكم وبِنْتُمْ[2]

---

١ ـ موضع في المدينة.
٢ ـ بنتم: فارقتم .

بمراضِ الجفون من خرّد العَيْـ ـن ووردِ الخـدود بعدي فتنتم
يـا أخـلّاي ان قلبي وان بـا نَ من الشوق عندكم حيث كنتم
فـإذا مـا أبى الإلّه اجتمـاعـاً فـالمنايا عليَّ وحـدي وعِشتم

أخذتْ هذا المعنى من قول حاتم :

إذا مـا أتى يـومٌ يفـرّق بيننـا بموتٍ ، فكن أنت الذي تتأخرُ

فلم يباشر لذة بعد كتابها ، حتى رضي عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته .

جارية يخطفها المعتز من حبيبها ثم يردها

حدّث ابن رجاء الكاتب قال : أخذ مني الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبني ؛ فشربا معاً في بعض الليالي ، فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ولم تبرح من المجلس هيبةً له ، فذكرتْ ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت العود فغنّت عليه صوتاً حزيناً من قلب قريح وهي تقول :

لا كـان يـومُ الفـراق يـومـاً لـم يُبـقِ للمُـقـلتيـن نـومـا
شـتَّـتَ مـنـي ومـنـكَ شـمـلاً فـسَـرَّ قـومـاً وسـاء قـومـا
يـا قومِ مَنْ لي بـوجـدِ قلبٍ يسُـومُني في العـذابِ سـومـا
مـا لامَـني النـاسُ فيـه إلاّ بـكـيـتُ كـيـمـا أزاد لـومـا

فلما فرغت من صوتها رفع المعتز رأسه إليها والدموع تجري على خديها كالفرند[1] انقطع سلكه فسألها عن الخبر وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة فردّها إليّ وأحسن إليها ، وألحقني في ندمائه وخاصته .

---

١ ـ الفرند: حب الرمان. وهنا الدرّ .

ـرثاء النساء والجواريـ

أعرابية ترثي أباها

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إنّ في الله تبارك وتعالى من فقدكِ عوضاً ، وفي رسول الله ﷺ من مصيبتك أسوة . ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مُقفراً من الزاد ، مُخشوشن المهاد ، غنياً عمّا في أيدي العباد ، فقيراً إلى ما في يديك يا جواد ، وأنت أيْ ربِّ خيرُ من نزل به المؤمّلون ، واستغنى بفضله المُقلّون ، وولج في سعة رحمته المذنبون ؛ اللهم فليكن قِرَى[1] عبدك منك رحمتَك ، ومهادُه جنتك . ثم انصرفت .

أعرابية ترثي ابنها

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباء لها ، وبين يديها بُنيٌّ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصبته وسجَّته ، وقالت : يا ابن اخي . قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النظرة ، ان لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقدته ، والحلول بعفو ربه ، والمحالة بينه وبين نفسه ! قال : وما يقطر من عينها دمعة ، صبراً واحتساباً . ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُه لبطنه ، ولا أمرُه لِعرسه . ثم انشدت :

رحيبُ الذراعِ بالتي لا تشينُـه   وإن كانت الفحشاءُ ضاق بها ذرْعا

أبيات شعر على قبر جارية

وُجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبي نواس ثلاثة أبيات ؛ فقيل إنها من قول أبي نواس ، وهي :

أقـولُ لـقبـرٍ زُرتُـه مـتلثّـمـاً   سقى اللهُ بردَ العفوِ صاحبة القبر

---

١ ـ القِرى: الضيافة .

لقد غيَّبوا تحت الثرى قَمرَ الدُّجى   وشمسَ الضّحى بين الصفائح والعَفْرِ[1]
عجبتُ لعينٍ بعْدها ملّتِ البكا   وقلبٍ عليها يرتجي راحةَ الصبر

أعرابية لا يهمها بعد فقد ابنها شيء !

قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك؟ قالت: إن فقدي إياه آمنني كل فقدٍ سواه، وإن مصيبتي به هوّنت عليّ المصائب بعده! ثم أنشأت تقول:

من شاءَ بعدك فليمُتْ   فعليك كنتُ أحاذِرُ
كنت السواد لناظري   فعَمي عليك الناظرُ[2]
ليت المنازلَ والديا   ر حفائرٌ ومقابرُ
إني وغيري لا محا   لةَ حيث صِرتُ لصائرُ

أعرابية تندب ابنها

قالت أعرابية تندب ابناً لها :

أبنيَّ غيَّبك المحلُّ المُلحدُ   إمّا بعدْت فأين من لا يبعدُ
أنت الذي في كلِّ مُمسى ليلةٍ   تَبلى وحُزنك في الحشا يتجدّدُ

وقالت فيه :

لئن كنت لي لهواً لعينٍ وقُرَّةً   لقد صِرْت سُقماً للقلوب الصحائح
وهوَّن حُزني انّ يومَك مُدركي   وأني غداً من أهل تلك الضرائح

وأعرابية اخرى ...

وقالت أعرابية أخرى ترثي ولدها :

يا قرحةَ القلبِ والاحشاء والكبدِ   يا ليتَ امُّكَ لم تَحْبَلْ ولم تلِدِ
لما رأيتُكَ قد أُدرِجتَ في كفنٍ   مطيّباً للمنايا آخر الأبد

---

١ ـ العفر: التراب .
٢ ـ الناظر: النظر .

أيقنتُ بَعدك أني غيرُ باقيةٍ   وكيف يبقى ذراعٌ زال عن عُضدِ

ورثت أعرابية ابناً لها يقال له عامر ، فقالت :

أَقَمْتُ أبكيه على قبره   مَن ليَ مِن بعدك يا عامرُ
تركْتني في الدار لي وحشةً   قد ذلّ مَن ليس له ناصرُ

وقالت فيه :

هو الصبرُ والتسليمُ لله والرضا   إذا نزلتْ بي خطة لا أشاؤها
إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفسٍ   كرامٍ رَجَتْ أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسُنا خير الغنيمة إنها   تئُوب ويبقى ماؤها وحياؤها
ولا برَّ إلا دون ما برَّ عامر   ولكنّ نفساً لا يدوم بقاؤها
هو ابنيَ أمسي أجرُه لي وعزَّني   على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحتسبْ أوجرْ وإن أبكِهِ اكن   كباكيةٍ لم يُحيِ ميتاً بكاؤها

امرأة تبكي حتى الموت

قال الشيباني : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام ؛ فهلكوا جميعاً في الطاعون ؛ وكانت بكراً لم تتزوّج ؛ فخطبها ابن عم لها فتزوّجها . فلم تلبث ان اشتملت على غلامٍ فولدته ، فنبت نباتاً كأنّما يُمدّ بناصيته وبلغ ، فزوّجتْه وأخذتْ في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله ، فلم تشقّ لها جيباً ، ولم تدمعْ لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبّت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المسرّةُ لا تدومُ   ولا يبقى على الدهر النعيمُ
ولا يبقى على الحَدثان غُفر   بشاهقةٍ له أُمٌّ رؤومُ

ثم أكبَّتْ عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها ، فدفنا جميعاً .

* * *

امرأة لم تبتسم حتى الموت

قال خليفة بن خيّاط : ما رأيت اشدَّ كمداً من امرأة من بني شيبان ، قُتل ابنُها وأبوها وزوجُها وأمها وعمتُها وخالتُها مع الضحاك[1] الحروري ؛ فما رأيتُها قط ضاحكة ولا مبتسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

مَن لقلبٍ شفّه الحزَنُ ولنفسٍ ما لها سكنُ
ظعنَ الأبرارُ فانقلبوا خيرُهم من معشرٍ ظعنوا
معشرٌ قضَّوْا نُحوبَهم كلُّ ما قد قدَّموا حسنُ
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جُبنوا
فتيةٌ باعوا نفوسَهُم لا ، وربِّ البيت ما غُبِنوا
فأصاب القومُ ما طلبوا مِنّة ما بعدها مَنَنُ

وأعرابية ترثي زوجها

قالت أعرابية ترثي زوجها :

كنّا كغصنين في جُرثومةٍ بَسقا حيناً على خيرِ ما يَنمي به الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعُهما وطاب قِنواهما واستُنظر الثمر
أخنى على واحدٍ ريبُ الزمان وما يُبقي الزمان على شيءٍ ولا يَذَر
كنّا كأنجمِ ليلٍ بينها قمرٌ يجلو الدُّجى فهوى من بيننا القمر

جارية على قبر زوجها

قال الأصمعي : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لي ، فإذا جارية على قبرٍ كأنها تمثال ، وعليها من الحَلْي والحلل ما لم أرَ مثله ، وهي تبكي بعينٍ غزيرة وصوتٍ شجي ؛ فالتفتُّ إلى صاحبي فقلت : هل رأيتَ

---

١ ـ هو الضحاك بن قيس الشيباني : زعيم حروري ، من الشجعان الدهاة . بايع له الشراة واجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف ، فسار إلى العراق ، واستولى على الكوفة وحاصر واسطاً واحتل الموصل ، وناهز عدد جيشه مائة ألف ، فقصده مروان (الخليفة الأموي) وقتله سنة ١٢٩ هـ . (الأعلام٣ ٢١٥) .

أعجبَ من هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبني أراه ! ثم قلت لها : يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زيّ الحزن . فأنشأت تقول :

فإن تسألاني فيمَ حُزني فإنني رهينةُ هذا القبر يا فَتيانِ
وإني لأستحييه والتربُ بيننا كما كنت أستحييه حين يَراني
أهابُك إجلالاً وإن كنت في الثرى مخافةَ يومٍ أن يسوءك شاني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا مَن كان ينعمُ بي بالاً ويُكثِر في الدنيا مُواساتي
قد زرتُ قبرك في حَلْي وفي حُللٍ كأنني لستُ من أهل المصيباتِ
أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفُه أن قد تسرُّ به من بعض هيئاتي
فَمنْ رآني رأى عبْرى مولّهةً عجيبةَ الزيّ تبكي بين أمواتِ

وقال الأصمعي أيضاً : رأيت بصحراء جاريةً قد ألصقت خدّها بقبرٍ وهي تبكي وتقول :

خدّي يقيك خشونةَ اللحدِ وقليلةٌ لك سيدي خدّي
يا ساكن القبر الذي بوفاته عَميتْ عليّ مسالكُ الرشدِ
اسمعْ أبثّك علّتي ولعلني أُطفي بذلك حرقةَ الوجد

جارية يرثيها حبيب الطائي[1]

قال حبيب الطائي يرثي جارية أصيب بها :

جفونَ البِلى اسرعتِ في الغُصُن الرطْب وخطْبَ الردى والموت أبرحتْ من خَطْبِ
لقد شرِقتْ في الشرق بالموت غادةٌ تبدّلتُ منها غُرْبةَ الدار في القرب
وألبسني ثوباً من الحُزن والأسى هلالٌ عليه نسْجُ ثوبٍ من التُّرب
وكنتُ أرجّي القرْبَ وهي بعيدة فقد نُقلتْ بعدي عن البعد والقرب

١ ـ هو حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان. استقدمه المعتصم الى بغداد، فأجازه وقدّمه على شعراء زمانه، فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل. فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة ٢٣١ هـ . (وفيات الأعيان ١ ١٢١).

أقول وقد قالوا استراحت لموتها من الكرب روح الموت شرٌّ من الكرْب
لها منزلٌ تحت الثرى وعهدْتها لها منزلٌ بين الجوانح والقلب

وقال :

أَلَمْ تَرَني خلَّيتُ نفسي وشانَها لم أحفل الدنيا ولا حدثانَها
لقد خوّفتني النائبات صروفَها ولو أمّنتني ما قبلتُ أمانها
وكيف على نار الليالي مُعرّسٌ إذا كان شيب العارضين دُخانها
أُصبتُ بِخَوْدٍ سوف أغبرَ بعدها حليف أسى ابكي زماناً زمانها[١]
عنانٌ من اللذات قد كان في يدي فلمّا قضى الإلف استردّت عنانها
منحتُ المَها هَجري فلا مُحسِناتِها أريدُ ولا يهوى فؤادي حسانُها
يقولون هل يبكي الفتى لخريدةٍ إذا ما أراد اعتاض عشْراً مكانها[٢]
وهل يستعيض المرءُ من خمس كفّه ولو صاغ من حُرِّ اللجيْن بنانها

امرأة في رثاء زوجها

قال أعرابي يرثي امرأته :

فوالله ما أدري إذا الليل جنَّني وذكرنيها أيُنا هو أوجعُ[٣]
أمنفصل عنه ثرى أم كريمة أم العاشق النابي به كلّ مضجع

جارية تأتي حبيبها في نومه

قال أبو جعفر البغدادي : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ؛ فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذاتَ ليلةٍ نائمٌ ، إذْ أتته الجارية في نومه فأنشدتْه هذه الأبيات :

جاءت تَزور وسادتي بعدما دُفنتْ في النوم ألثِم خداً زانَه الجِيدُ
فقلت : قُرّة عيني قد نُعيت لنا فكيف ذا وطريق القبر مسدودُ
قالت : هناك عظامي فيه مُلحَدةٌ تنهَش منها هوامّ الأرض والدودُ

١ ـ الخود: الشابة الحسناء .
٢ ـ الخريدة: البكر لم تمسّ قط. اعتاض: سأل العِوَض.
٣ ـ جنّني: سترني .

وهذه النفسُ قد جاءتك زائِرةً فاقبلْ زيارةَ مَن في القبر ملحودُ

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدّث الناس بذلك وينشدهم ، فما بقي بعدها إلا أياماً يسيرة حتى لحق بها .

جارية وقرشي

لقي رجل من قريش كان به وضح جاريةً من بدر وكان مغرماً بالشراب ، فقال لها : أشعرتِ أنه بُعث نبيٌّ لهذه الأمة يُحلّ الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لا نصدّق به حتى يُبرىء الأكمه[1] والأبرص !

زواج أبي البيداء

قال علي بن عبد العزيز : كان أبو البيداء عنِّيناً[2] ، وكان يتجلد ويقول لقومه : زوّجوني امرأتين ! فيقال له : إن في واحدة كفاية . فيقول : أمّا لي فلا ! فقالوا : نزوّجك واحدة ، فإن كفتك وإلاّ زوجناك أخرى . فزوّجوه أعرابية ، فلما دخل بها أقام معها اسبوعاً ، فلما كان في اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا البيداء ، ما كان أمرك في اليوم الأول ؟ قال : عظيم جداً ! قالوا : ففي الثاني ؟ قال : أجلّ وأعظم ! قالوا : ففي الثالث ؟ قال : لا تسألوا ، فأجابت المرأة من وراء الستر ، فقالت :

كان أبو البيداء ينزو في الوهَق حتى إذا أُدخل في بيتٍ أبَقْ[3]
فيه غزالٌ حسن الدلّ خرق مارسه حتى إذا ارفضّ العرق[4]
انكسر المفتاح وانسدّ الغلق

جارية اسمها سلمى والعاجز

قال الأصمعي : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بَدرة ، فقال : يا أصمعي ، إن حدّثتني بحديث في العجْز فأضحكتني وهبتك هذه البدرة . قلت : نعم يا أمير المؤمنين . بينا أنا في صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابي قاعد

---

١ ـ الأكمه : الأعمى .
٢ ـ العنّين : العاجز جنسياً .
٣ ـ أبق : هرب .
٤ ـ ارفضّ : تصبّب .

على أجمة ، قد احتملت الريح كساءه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ؛ فقلت له : يا أعرابي ، ما أجلسك ههنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتُها يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها . فقلت : وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ قال: العجــزْ يوقفني عن أخذه . فقلت له : فهل قلت في سلمى شيئاً ؟ قال : نعم . قلت له : أسمعني لله أبوك ! قال : لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه عليّ ! قال : فأخذته فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتي بسلمى — فيبطحُها ويُلقيني عليها
ويأتي بعد ذاك سحابُ مُزْن — تطهِّرنا ولا نسعى إليها[1]

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البدرة لا بُورِكَ لك فيها .

جارية ورجل خائب

ذكروا أن أعرابياً أتى عيناً من ماءٍ صافٍ في شهر رمضان ، فشرب حتى روي ، ثم أومأ بيده إلى السماء فقال :

إن كـنْـتَ قدّرت الصيا — م فأعفنا من شهر آبْ
أوْ لا فـإنّـا مُـفْطِـرو — نَ وصابرون على العذابْ

وخلا بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له ؛ فقالت له : قُمْ خائباً ! فقال الخائب : من فتح فم الجراب ولم يَكِلْ له دقيق . فخجلت ولم تردّ جواباً .

جارية وعود

قال مصعب بن عبد الله : دخل الشعبي على بشر بن مروان وهو والي العراق لأخيه عبد الملك بن مروان ، وعنده جارية في حجرها عود ؛ فلما دخل الشعبي أمرها فوضعت العود ، فقال له الشعبي : لا ينبغي للأمير ان يستحي من عبده . قال : صدقتم . ثم قال للجارية : هاتي ما عندك . فأخذت العود وغنّت :

---

١ ـ المزن: جمع مزنة وهي السحابة الماطرة .

وممـا شجاني أنهـا يومَ ودّعت تولّت وماءُ العين في الجفن حائرُ
فلمـا أعادت من بعيـدٍ بنـظرةٍ إليّ التفـاتـاً أسلَمتْـه المحـاجـرُ

فقال الشعبي : الصغير أكيسهما . يريد الزير ، ثم قال : يا هذه ، أرخي من يمِّك[1] ، وشدي من زيرك[2] . فقال له بشر : وما علمك ؟ قال : اظن العمل فيهما . قال : صدقت ، ومَن لم ينفعه ظنُه لم ينفعه يقينُه .

اعرابية ودجاجة بخمسمائة درهم

قال الشيباني : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي ! وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلّت عن كبدي ، فنذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت ان ادفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم .

---

١ ـ اليمّ : الغليظ من الأوتار .
٢ ـ الزير: الدقيق من الأوتار .

الفصل الثالث

أقوال ومتفرقات
في النساء

ماذا قالوا في غزل النساء؟

ذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونَها لولا ما تمّ منها وما نقص منه . وذكر أعرابي امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرَتْنيه ، قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ما أحلّ الله ممّا حرّم الإشارة بغير باس ، والتقرب من غير مساس .

وذكر أعرابي امرأة فقال : لقد نعمتْ عينٌ نظرتْ إليها ، وشفى قلب تفجّع عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بها طرْفها ،ويتجهّمني لسانها . قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إني ذاكرٌ لها وبيني وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرِها ريح المسك .

وذكر أعرابي نِسوة خرجْنَ متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق كأعناق اليعافير[١] ، وأوساط كأوساط الزنانير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهنّ وكم مطلق .

وذكر أعرابي امرأة فقال : إن لساني لذِكرها لذَلول ، وان حبّها لقلبي لقَتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبْل[٢] بالمحل[٣] ؛ فروعهن أحسن من فروع النخل .

---

١ ـ اليعافير: واحدتها اليعفور، وهو الغزال .

٢ ـ الوبل: المطر الشديد .

٣ ـ المحل: الجدْب .

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذَلْفاء ، ومعها صبي يبكي ؛ فكلما بكى قبّلته ؛ فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صبيّاً مُرضَعَا   تحملني الذّلفاء حولاً اكتعا
إذا بكيْتُ قبّلتني أربعا   فلا أزال الدهرَ ابكي أجمعا

وأنشد أعرابي :

جاريةٌ في سفوان دارُها   تمشي الهوينا مائلاً خمارُها
قد أعصرتْ أو قد دنا إعصارها   يطير من غُلمتِها إزارُها[1]

وقال العتبي : خرجتُ ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها ؛ فما زلت اصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أما لك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله ما يراني إلا الكواكب . قالت : فأين مُكوكِبها ؟

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأتم :

بَصْريّةٌ لم تُبصر العينُ مثلَها   غدتْ ببياضٍ في ثياب سوادِ
غدوتِ إلى الصحراء تبكين هالكاً   فأهلكتِ حيّاً ، كنتِ اشأمَ عادِ
فيا ربِّ خُذ لي رحمةً من فؤادها   وحُلْ بين عينيها وبين فؤادي

وقال في جارية ودّعها :

مَالت تودّعني والدمعُ يغلبها   كما يميلُ نسيمُ الريح بالغصن
ثم استمرّت وقالت وهْي باكيةٌ   يا ليت معرفتي إيّاك لم تكنِ

وقال أعرابي يصف امرأةً : بيضاء جعْدة ، لا يمسّ الثوب منها إلا مُشاشةَ[2] كتفيها ، وحلَمَتيْ ثدييْها ، ورضفَتَي[3] ركبتيها ، ورانِفَتَي[4] أليتيها .
وأنشد :

---

١ ـ الغلمة: شدة الشهوة، واغتلمت المرأة: انقادت لشهوتها .
٢ ـ المشاشة: رأس عظم الكتفين .
٣ ـ الرضفة: صابونة الركبة .
٤ ـ الرانفة: أسفل الإلية الذي يلي الأرض عند القعود .

أبتِ الروادفُ والثديُّ لقِمْصِها مسَّ البطونِ وان تمسَّ ظهورا
وإذا الرياحُ مع العشيّ تناوحت نَبَّهْن حاسدة وهِجنَ غيورا

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسٌ باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لي شفيع في اقتضائها ، وان نفسي لكتومٌ لدائها ، ولكنها تفيض عند امتلائها .

أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فقال :

ويا شَمْسَ أرضيها التي تم نورُها فباهت بها الأرضون شمسَ سمائها
شكوتُ وما الشكوى لِمثليَ عادة ولكنْ تفيضُ النفس عند امتلائها

وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة ؛ إن اطعمتْه شيئاً أحبها ، وإلا فلا ؛ كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولاً ، ويفرح إن رأى مَن رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، وَيَعِدها وتعِده فإذا اجتمعا لم يشكوَا حباً ، ولم ينشدا شِعراً ، ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد .

وقال أعرابي :

شكوتُ ! فقالت : كلّ هذا تبرُّماً بحبي ! أراح الله قلبَكَ من حبّي
فلمّا كتمتُ الحبَّ قالت : لشدَّ ما صَبَرت ! وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني ، فأبعدُ طالباً رضاها ، فتعتدُّ التباعُدَ من ذنبي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوؤها وتجزع من بُعدي ، وتنفِرُ من قربي
فيا قوم هل من حيلةٍ تعلمونها أشيروا بها واستوجبوا الشكرَ من ربي

ماذا قالوا في المناكح ؟

قال الأصمعي : قالت أعرابية لبناتِ عم لها : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بتيسين وكلبين وعَيرين ورحيين ، فينِبّ[1] التيسان ، وينهق

---

[1] ـ نبَّ القيس: صاح عند الهياج .

العيران ، وينبح الكلبان ، وتدور الرَحَيان ، فيعجّ الوادي ؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضري ، فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود ـ تعني : سرجا ، وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يُشارُّ امرأته ، فقالت لها اختُه : أما والله أنام شرخه إذ كان ينكتكِ كما ينكت العظم عن مخه ، لقد كنتِ له تَبوعاً ، ومنه سموعاً ؛ فلما لان منه ما كان شديداً ، وأخلَق منه ما كان جديداً ، تغيّرتِ له ! وايمُ الله لئن كان تغيّر منه البعضُ لقد تغيّر منك الكل .

وتزوّج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتُها له ، فتغيّر لها وقد طعنت في السن ، فقالت له : ألم تكن تُرضي إذا غضبتُ ، وتُعتب إذا عتبتُ ، وتشفق إذا أبيت ؟ فما بالك الآن ؟ قال : ذهب الذي كان يُصلح بيننا .

وقيل لإعرابي : كيف حبُّك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها في الفراش فمدّت يَدها إلى صدري ، فوددتُ والله أن آجُرَّةً خرّت من السقف فقدّتْ يدها وضلعين من اضلاع صدري ! ثم انشأ يقول :

لقد كنتُ محتاجاً إلى موت زوجتي ولكنْ قرينُ السود باقٍ معمَّرُ
فيا ليْتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذّبها فيه نكيرٌ ومنكرُ

قال الأصمعي : تزوّج أعرابي امرأة فآذَتْه وافتدى منها بحمارٍ وجُبّة ، فقدم عليه ابن عم له من البادية ؛ فسأله عنها ؛ فقال :

خطَبتُ إلى الشيطان للحيْن بِنْتَه فأَدخلها من شِقوتي في حِباليا
فـأنقذني منها حماري وجُبّتي جزى الله خيراً جُبّتي وحماريا

وقال : خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدّد على الأعرابي ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن خيرَ عُمُر الرجل آخرُه ؛ يذهب جهله ويثوب حلمه ، ويجتمع رأيُه ؛ وإن شرَّ عُمُر المرأة آخرُه ؛ يسوء خلقها ، ويحدّ لسانها ، وتعقم رحمها ! قال له : صدقت ، اسفع بيدها .

وقال : ذكرت أعرابية زوجها وكان شيخاً ! فقالت : ذهب ذفرُه[1] ، وبقي

---

١ ـ الذفر: رائحة الفم الطيبة .

بَخَره[1]، وفتَر ذكَرُه[2].

وقال : كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أيَّ ضربٍ تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتي ولدها في جمالها وطولي ، فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدُها في قصرها وقُبحه !.

قدم أعرابي من طيء فاحتلب لبناً ثم قعد مع زوجته ينتجعان، فقالت له: مَن أنعم عيشاً ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاماً ، إلا أنّا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا نحن أظهر منهم ليلاً .

وقال الأصمعي : خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيراً ، كبها الله لوجهها ولو أُمِر بي إلى السجن !

وقال الأصمعي : استشارت أعرابية في رجلٍ تتزوجه ، فقيل لها : لا تفعلي فإنه وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ ، يأكل خِلله أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلّل .

قال أبو حاتم : هو الخُلالة . ووكلة تكلة ، إذا كان يكِلُ أمره إلى الناس ويتكلُ عليهم .

وقال العتبي : خطب إلى أعرابي رجلٌ موسرُ إحدى ابنتيه . وكان للخاطب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ! قال أبوها : ولِمَ ؟ قالت : يومٌ عتاب ، ويومٌ اكتئاب ، يبلَى فيما بين ذلك الشباب ! قالت الصغرى : زوِّجنيه ! قال لها : على ما سمعتِ من أختك ؟ قالت : نعم ، يومٌ تزيُّن ، ويومٌ تسمُّن ، وقد تقرّ فيما بين ذلك الأعين .

قال الأصمعي : هلك أعرابي ، فأدمنت امرأتُه البكاءَ عليه ، فقال بعض بنيها :

أتفقدين من أبينا غيرَهْ   أتفقدين نعمه وخيْرَهْ
أراكِ ما تبكين إلا أ . . .

---

١ ـ البخر: ريح الفم المنتن .
٢ ـ ذكره: قضيبه .

فأمسكتْ عن البكاء .

وقد أنشد العتبي لأعرابي :

ماذا تظنّ بسلمى إنْ ألمَّ بها مرجّلُ الرأس ذو بُردَيْن مزَّاحُ
حلوٌ فكاهته خزٌّ غمامتُه في كفّه من رُقى إبليس مفتاحُ

ونقل أبو حاتم عن الأصمعي قوله : خطب أعرابي امرأة ، فقالت : سَلْ عني بني فلان وبني فلان . قال لها : وما علِمهم بذلك ؟ قالت : في كلهم نكِحتُ وكنت ء قال : أراك جَلَنْفعةً قد خزمتك الخزائم ، قالت : لا ، ولكنْ جوّالة بالرجل عنتريس .

وتزوّج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذاتَ مال ، فكان يصبر عليها لمالها ، ثم ملَّها وتركها ، وكتبتْ إليه تستردّه ، فكتب إليها يقول :

ليس بيني وبين قيسٍ عتاب غيرَ طعن الكُلا وضرْب الرِّقاب

فكتبت إليه : إنه والله ما يريد قيسٌ غير طعن الكُلا ! قال المفضل الضبي : خطب أعرابي امرأة ، فجعل يخطُبُها ويُنعظ[1] ، فضرب ذَكَره بيده وقال : مَهْ ! إليك يساق الحديث . فأرسلها مثلاً . وكانت لأعرابي امرأة لا تردُّ يدَ لامس ؛ فقيل له : ما لك لا تفارقها ؟ قال : إنها حسناء فلا تُفرك ، وأم بنين فلا تُترك .

وقال شيخ من الأعراب :

أنا شيخٌ ولي امرأةٌ عجوزُ تراودني على ما لا يجوزُ
تريد أ . . . في كل يوم وذلك عند أمثالي عزيزُ
وقالت : دقَّ أ . . . مُذ كبرنا فقلت لها : بل اتّسع القفيزُ[2]

وقال الأصمعي : قال أعرابي في امرأة تزوّجها ، وقد تزوّجت قبله خمسة ، وتزوّج هو قبلها أربعاً ، فلاحتْه يوماً ، فقال فيها :

---

١ ـ أنعظ الرجل: انتصب قضيبه واشتدت غلمته .
٢ ـ القفيز: كناية عن الفرْج.

لو لابس الشيطانُ ما ألابِسُ　　أو مارس الغولُ التي أُمارسُ
لأصبح الشيطان وهو عابس　　زوّجهـا أربعـةٌ عمـارس
فانفلتوا منها ومات الخامس　　وساقني الحيْن فهانا السادسُ[1]

ماذا قالوا في ذمّ النساء؟

ذكر أعرابي امرأة قبيحة، فقال: ترخي ذيلها على عرقوبَيْ نعامة، وتسدل خِمارَها على وجه كالجعالة.

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي؛ فلما خرجتْ سُئِلت عنها، فقالت: والله لقد رأيتها فما رأيت طائلاً؛ كأنَّ بطنها قربة[2]، وكأن ثديها دَبَّة[3]، وكأن استَها[4] رقعة، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عِعريتَه[5] يقاتل ديكاً.

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها: والله إنكِ لمشرِفةُ الأذنين، جاحظة العينين، ذات خلق متضائل، يعجبك الباطل، إن شبعتِ بطرتِ، وإن جعتِ صخبتِ، وإن رأيتِ حسناً دفنتِه، وإن رأيتِ سيئاً أذعتِه؛ تكرمين مَنْ حقرك، وتحقرين مَنْ أكرمك.

وهجا أعرابي امرأته فقال:

يا بِكْرَ حوّاء من الأولادِ　　وأمَّ آلافٍ من العبـادِ
عُمرُك ممدودٌ إلى التنادي　　فحدِّثينا بحديث عـادِ[6]
والعهدِ من فرعون ذي الأوتاد　　يا أقدم العالم في الميلادِ
إنيَ من شخصك في جهادِ

---

١ ـ الحَيْن: الموت والهلاك.
٢ ـ القربة: الوطب أي الوعاء يُجعل فيه اللبن أو الماء.
٣ ـ الدبّة: إناء للزيت وغيره.
٤ ـ الإست: العجيزة.
٥ ـ عفريت الديك: ريش عنقه.
٦ ـ عاد: من القبائل البائدة.

وقال أعرابي في امرأة تزوّجها، وقد خطَبها شابة طربة ودسّوا إليه عجوزاً :

عجوزٌ تُرجّي ان تكون فتيّةً وقد نحل الجنبان واحدودب الظهرُ
تدسُّ إلى العطار سلعة أهلها وهل يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ
تزوّجها قبل المِحاق بليلةٍ فكان مُحاقاً كله ذلك الشهرُ[1]
وما غرّني إلا خِضابٌ بكفِّها وكحلٌ بعينيها وأثوابُها الصُّفرُ

وقال فيها :

ولا تستطيع التكحلَ من ضيق عينِها فإن عالجتْه صار فوق المحاجرِ
وفي حاجبيها حَزّةٌ كغرارة فإن حُلِقا كانا ثلاثَ غرائرِ[2]
وثديان أمّا واحدٌ فهو مِزودٌ وآخر فيه قربةٌ للمسافرِ[3]

وقال فيها :

لها جسم برغوث وساقا بعوضةٍ ووجه كوجه القرد بل هو أقبحُ
وتبرُق عيناها إذا ما رأيتَها وتعبِسُ في وجه الضجيج وتكلح[4]
لها مضحكٌ كالحشّ تحسب أنها إذا ضحكَتْ في أوجه القوم تسلحُ[5]
وتفتح ـ لا كانت ـ فماً لو رأيتَه توهَّمتَه باباً من النار يُفتح
إذا عاين الشيطانُ صورةَ وجهها تعوّذ منها حين يُمسي ويُصبحُ

وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحلُ في مِرْودِها تكحَل عيْنيْها ببعض جلدها

وقال فيها :

---

١ ـ المحاق: آخر الشهر القمْرِي، وقيل ثلاث ليال من آخره.
٢ ـ الحزّة: الفرض في العود ونحوه.
٣ ـ المزود: كيس للزاد. القربة: وعاء يُجعل فيه الماء.
٤ ـ تكلح: تعبّس وتكشّر.
٥ ـ الحشّ: البستان. وقد استعمل قديماً مكان «بيت الخلاء» اليوم.

أشبهكِ المسكُ وأشبهتهِ قائمةً في لونه قاعدهْ
لا شكَّ إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحدهْ

خُطب نكاح النساء

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عُتبة بن أبي سفيان ابنته ، فأقعده على فخذه ، وكان حدثاً ، فقال : أقرب قريب ، خطب احبَّ حبيب ، لا أستطيع له ردًا ، ولا أجد من إسعافه بُدًا ؛ وقد زوّجتكها وانتِ أعز عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك، فاكرمها يعذبْ على لساني ذكرُك، ولا تُهنْها فيصغُر عندي قدرك؛ وقد قرّبتُك مع قربك. فلا تُبعدْ قلبي من قلبك .

وقال العتبي :زوّج شبيب بن شيبة ابنَه بنتَ سوار القاضي ، فقلنا : اليوم يعبُّ عُبابه ! فلما اجتمعوا تكلّم فقال : الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أمّا بعد ، فإن المعرفة منّا ومنكم بنا وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلاناً ذَكر فلانة .

وقال : كان الحسن[1] البصري يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه : أمّا بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرِّقة ، وجعل ذلك في سُنّة من دينه ومنهاج واضح من أمره ؛ وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردّوا خيراً يرحمكم الله .

وقال : حضرتُ ابن الفُقَيْر خطب على نفسه امرأة من باهلة ، فقال :

وما حسنٌ ان يمدحَ المرءُ نفسه ولكنّ أخلاقاً تُذمُّ وتُمدَحُ

وإن فلانة ذكرت لي .

وقال العتبي : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تقصيره ؛ فخطب محمد بن الوليد إلى عمر بن عبد العزيز اخته ، فتكلم محمد

---

١ ـ هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النسّاك. ولد بالمدينة. وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ (الأعلام² ٢٢٦).

بكلام طويل ؛ فأجابه عمر : الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فإن الرغبة منك دعتْك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسنَ بك ظناً من أَوْدَعك كريمته ، واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوّجتكها على كتاب الله ؛ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وخطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أنا بلال وهذا أخي ، كنّا ضالَّيْن فهدانا الله ، عبديْن فأعتَقَنا الله ، فقيريْن فأغنانا الله ؛ فإن تزوِّجونا فالحمد لله ، وإن تردّونا فالمستعان الله .

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلتَ العطية ، وكفيتَ المسألة .

وقال الأصمعي : زوّج خالد بن صفوان عبدَه من أَمَتِه ، فقال له العبد : لو دعوتَ الناس وخطبتَ ! قال : ادعُهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان فقال : إن اللهَ أعظمُ وأجلُّ من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين ! وأنا أُشهدكم أني زوّجتُ هذه الزانية ، من هذا ابنِ الزانية .

من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأم من البسوس . وأحمقُ من دُغة . وأمنع من أم مَرِفة . وأقْوَد من ظُلمة . وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة جسّاس بن مُرّة بن ذُهل بن شيبان ، ولها كانت الناقة التي قُتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التي يقال لها حرب البسوس .

ودُغة : امرأة من عجل بن لُجيم ، تزوّجت في بني العنبر من عمرو بن تميم .

وأم مَرِفة : امرأة مالك بن حُذيفة بن بَدر الفزاري ، وكان يعلّق في بيتها خمسون سيفاً ، كل سيف منها لذي مَحْرم لها .

وظُلمة : امرأة من هُذيل زنَت أربعين عاماً ، فلما عجزت عن الزنا والقوْد اتخذت تيساً وعنزاً ، فكانت تُنزي[1] التيس على العنز ، فقيل لها : لم تفعلين ذلك ؟ قالت : حتى أسمع أنفاس الجُماع[2] . وممّا ضربوا به المثل عند النساء : قُرطُ مارية ، وعطرُ مَنشِم .

وأما قُرط مارية فإنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار . وابنها الحارث الأعرج الذي ذكره النابغة بقوله :

والحارثُ الأعرجُ خير الأنام

وإيّاها يعني حسان بن ثابت بقوله :

أولاد جَفنةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ   قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ

وأما عطر مَنشِم ، فإنها كانت امرأة تَبيع الحنوط في الجاهلية ؛ فقيل للقوم إذا تحاربوا : دقّوا عطر مَنشِم . يراد بذلك طيب الموتى .

النساء والبكاء على القبور

مرّ الأحنف بإمرأة تبكي مَيتاً ورجلٌ ينهاها ، فقال له : دَعْها فإنها تندب عهداً قريباً وسفراً بعيداً .

ومرّ النبي ﷺ بنسوةٍ من الأنصار يبكين ميتاً فزجرهنَّ عمر ، فقال له النبي ﷺ : دعهنّ يا عمر ، فإن النفس مصابة ، والعينَ دامعة والعهدَ قريب .

ولما بكت نساءُ أهل المدينة على قتلى أُحُد ، قال النبي ﷺ : « لكن حمزةُ لا باكيةَ له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة .

وقال معاوية وذُكِر عنده النساء : ما مرَّض المرضى ولا نَدَبَ الموتى مثلُهن .

---

١ ـ نزا التيس على العنز: سفدها .
٢ ـ الجماع: النكاح .

ولمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطاً[1] على قبره وأقامت حولاً ثم انصرفت إلى بيتها ؛ فسمعت قائلاً يقول : أدركوا ما طلبوا ! فأجابه مجيب : بل ملّوا فانصرفوا . وسمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهي تقول : يا أبت مثلَ يومك لم أرَه ! قال : الذي ـ والله ـ لم يرَ مثلَ يومه أبوك ! .

نساء وجواب

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعُدَّنكم عدّاً ولأحصُدَنّكم حصداً ! قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق .

وأُتيَ الحجاجَ بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن انظر إلى من لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .

وقال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي : زوِّجني امرأةً من كلب . فزوّجَه ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سَعة ! قال : يا أمير المؤمنين ، نساء كلب خُلقنَ لرجال كلب .

وقال العتبي : حدثني أبي لما افتتح النجير ، وهي مدينة باليمن : سمع رجلٌ من كندة رجلاً وهو يقول : وجدنا في نساء كِندة سَعة ! فقال له : إن نساءَ كندة مكاحل فَقدت مَراودها[2] .

وقال رجل للشعبي : ما كان اسمُ امرأةِ إبليس ؟ قال : إن ذلك نكاحٌ ما شهدناه .

ودخل رجل على الشعبي ، فوجده قاعداً مع امرأة ؛ فقال : أيكما الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه ! وأشار إلى المرأة .

ودخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها :

---

١ ـ الفسطاط: بيت من شَعَر .

٢ ـ المراود: جمع مرود، وهو الميل يُكتحل به. والتكنية واضحة في الكلام.

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ وتُصبح غَرْثَى من لحوم الغوافل[1]

قالت له : لكنك لستَ كذلك ! وكان حسان من الذين جاؤوا بالإفك[2] .

في صفات النساء وأخلاقهن

ـ قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم الناس بالنساء عَبَدَة بن الطبيب حيث يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإنني عليمٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المال أو قلّ ماله فليس له في ودِّهنّ نصيبُ
يُردن ثراء المال حيث عَلِمنه وشرخُ الشباب عندهُنّ عجيبُ

وهذه الأبيات لعلقمة بن عَبَدة المعروف بالفحل وأول القصيدة :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طَروبُ

ـ وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتّخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ، ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد للخدمة فليتخذها رومية . .

ـ وعن أبي الحسن المدائني قال : قال يزيد بن عمر بن هُبيرة : اشتروا لي جارية شقّاء مقّاء رسحاء ، بعيدة ما بين المنكبين ، ممسوحةَ الفخذين . قوله : شقاء : يريد كأنها شقة جبل ؛ مقاء : طويلة ؛ رسحاء : صغيرة العجيزة ، أرادها للولد ؛ لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة .

ـ وقال الأصمعي وذكر النساء : بَناتُ العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضَرَب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية .

ـ وقال معاوية لصعصعة بن صوحان : أي النساء أشهى إليك ؟ قال : المواتية لك فيما تهوى . قال : فأيهنّ أبغض ؟ قال : أبعدُهنّ مما ترضى . قال : هذا النقد العاجل ، فقال صعصعة : بالميزان العادل .

ـ وكتب الحجاج إلى أيوب بن القرية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج

---

١ ـ غرثى : جائعة .

٢ ـ يريد حديث الإفك وهو الحديث الذي لا أصل صحيحاً له وكان في عائشة أم المؤمنين .

امرأةٌ جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ذليلة في نفسها ، مواتية لبعلها. فكتب إليه: قد اصبتها لولا عظمُ ثدييها. فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها، فتدفىء الضجيع، وتُروي الرضيع.

ـ وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : يا خالد ، إن الناس قد أكثروا في النساء ، فأيهنّ أعجبُ إليك ؟ قال : اعجبُهن يا أمير المؤمنين التي ليست بالضَّرَع الصغيرة ، ولا الفانية الكبيرة ، وحسبك من جمالها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، أعلاها قضيب ، واسفلها كثيب ، كانت في نعمة ثم أصابتها فاقة ، فأترفها الغنى وأدّبها الفقر .

ـ وسُئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا تجربة وعِلمٍ بهنّ ؛ فقال : أفضل النساء أطوَلُهن إذا قامت ، وأعظمُهنّ إذا قعدَتْ ، وأصدقُهن إذا قالت ؛ التي إذا غضبتْ حلمت ، وإذا ضحكت تبسّمتْ ، وإذا صنعت شيئاً جوّدتْ ؛ التي تطيع زوجَها ، وتلزم بيتَها ؛ العزيزةُ في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود الولود[1] ، وكلُ أمرها محمود .

ـ وقال عبد الملك بن مروان لرجلٍ من غطَفان : صف لي أحسن النساء . فقال : خذْها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، ردماء الكعبين ، مملوءة الساقين ، جمّاء[2] الركبتين ، لفّاء الفخذين ، مقرمدة الرفغين[3] ، ناعمة الإليتين ، منيفة المأكمتين[4] ، فعْمة[5] العضدين ، فخمة الذراعين ، رخْصة[6] الكفين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدّين ، كحلاء العينين ، زجّاء[7] الحاجبين ، لَمياء[8] الشفتين ، بلجاء[9] الجبين ، شمّاء العِرْنين ،

---

١ ـ الولود: كثيرة الولد .
٢ ـ جمّاء: ملساء .
٣ ـ المرافغ: اصول اليدين والفخذين .
٤ ـ منيفة المأكمتين: عاليتهما .
٥ ـ فعمة: ممتلئة .
٦ ـ رخصة الكفين: ناعمتهما .
٧ ـ زجّت الحاجبين: حذفت زوائد الشعر فيهما .
٨ ـ لمياء: من اللمى وهو سمرة أو سواد في باطن الشفة يُستحسن .
٩ ـ بلجاء: مضيئة .

شنباء[1] الثغر ، حالكة الشعر ، غيداء العنق ، عيناء العينين ، مكسَّرة البطن ، ناتئة الركب . فقال : ويحك ! وأنّى توجد هذه ؟ قال : تجدها في خالص العرب ، أو في خالص الفرس .

- وقال رجل لخاطب : ابغني امرأةً لا تؤنس جاراً ، ولا توهن داراً ، ولا تثقب ناراً

يريد : لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تغري بينهم بالشر . وفي نحو هذا يقول الشاعر :

مِنَ الأوانِسِ مثل الشمس لم يَرها ... في ساحةِ الدارِ لا بعلٌ ولا جارُ

وقال الأعشى :

لم تمش مِيلاً ولم تركبْ على جمل ... ولا ترى الشمسَ إلا دونها الكِلَلُ

- وقال آخر : ابغني امرأةً بيضاء مديدة ، فرعاء جعدة ؛ تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مُشاشة[2] منكبيها ، وحلمتي ثدييها ورانفتي[3] أليتيها .

وقال الشاعر :

أبتِ الروادفُ والثُّديُّ لِقُمصها ... مسَّ البطونِ وأن تمسَّ ظهورا

وإذا الرياحُ مع العشيّ تناوحتْ ... نبّهْنَ حاسدةً وهِجْن غيورا

وقال آخر :

إذا انبطحتْ فوق الأثافي رَفَعْنَها ... بثديَيْن في نحرٍ عريضٍ وكَعْثبِ[4]

١ ـ شنباء: طيّبة .
٢ ـ المشاشة: أعلى عظم الكتف .
٣ ـ الرانفة: أسفل الإلية .
٤ ـ الكعثب: كناية عن الفرج .

صفة الجارية الحسناء

عن المدائني قال : الحُسنُ أحمرُ ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن[1] والتضمُّخ بالطيبِ ، كما تضرب بيضة الأدحيّ[2] واللؤلؤة المكنونة ؛ وقد شبه الله عزّ وجلّ في كتابه فقال : ﴿ كأنهنّ بيضٌ مكنون ﴾.

وقال الشاعر :

كأنّ بيضَ نعام في ملاحفها　　إذا اجتلاهنّ قَيْظٌ ليلُه ومِدُ[3]

ـ وقالوا : إنَّ الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم ، إذا خجل يحمرّ وإذا فرِق يصفر .

ـ وقال عديّ[4] بن زيد يصف لون الوجه :

حُمرةٌ خلطَت صُفرة في بياض　　مثل ما حاكَ حائكٌ ديباجا

ـ وقالوا : إنَّ الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس ، فهي بالضحى بيضاء ، وبالعشي صفراء .

وقال الشاعر :

بيضاءُ ضحوتُها وصفْـ　　ـراءُ العشِيّة كالعرارَهْ[5]

وقال ذو الرمّة :

بيضاء صفراء قد تنازعها　　لونان من فضةٍ ومن ذهب

ـ وقالوا :

---

١ ـ الكن: البيت أو وقاء كل شيء وستره.

٢ ـ الأدحي: بيض النعام في الرمل.

٣ ـ القيظ: شدة الحر.

٤ ـ عدي بن زيد: شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً. هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى. قتله النعمان بن المنذر (كان عدي زوج ابنته هند) في سجنه بالحيرة نحو ٣٥ ق. هـ. (الأعلام٤ ٢٢٠).

٥ ـ العرارة: بهار ناعم أصفر طيّب الرائحة.

بيضاءُ يحمرُّ خداها إذا خجِلَتْ   كما جرى ذهبٌ في صفحتي ورِقِ[1]

ـ وقالوا :

كم شادنٍ لطفَ الحياءُ بوجهه   فأصارَهُ ورداً على وجناته[2]

ـ وقالوا :

عقائلُ كالآرام أما وجوهُها   فَدُرٌّ ولكنّ الحدودَ عقيقُ[3]

ومن قولهم في الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التي تأخذ بصرك جملة على بُعد ، فإذا دنتْ لم تكن كذلك ، والمليحة التي كلما كَرَّرت فيها بصرك زادتك حُسناً .

وقال بعضهم : الجميلة السمينة ، من الجميل ، وهو الشحم ، والمليحة أيضاً من المُلحة ، وهو البياض ، والصبيحة مثل ذلك ، يشبهونها بالصبح في بياضه .

صفة المرأة السوداء

قال النبي ﷺ : « إياكم وخضراءَ الدِّمَن » . يريد الجارية الحسناء في المنبتِ السوء .

ـ وفي حكمة داوود : « المرأة السوءُ مثلُ شركِ الصياد ، لا ينجو منها إلاّ من رضي الله عنه » .

ـ وقال عمر بن الخطاب : النساء ثلاث : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلَها على العيش ولا تعين العيش على أهلها . وأخرى وعاءٌ للولد . وثالثة غُلٌّ قَمِل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده .

ـ وقيل لأعرابي عالم بالنساء : صف لنا شر النساء . قال : شرُّهنّ النحيفة

١ ـ الورق: الدراهم المضروبة .
٢ ـ الشادن: صغير الغزال .
٣ ـ العقائل: جمع عقيلة وهي الزوجة. الآرام: جمع ريم وهو الغزال .

الجسم ، القليلة اللحم ، الطويلة السقم ، المحياض الممراض الصفراء ، المشؤومة العسراء ، السليطة الذفراء[1] ، السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ، تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب ، أنفٌ في السماء ، واستٌ في الماء .

وفي رواية محمد بن عبد السلام الخشني قال: إياك وكل امرأة مذكّرة منكرة، حديدة العرقوب؛ بادية الظُّنبوب[2]، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد ؛ تدفن الحسنات ، وتفشي السيئات ؛ تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ؛ ليس في قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وان بكى ضحكت ؛ وإن طلقها كانت حرفتَه ، وإن أمسكها كانت مصيبتَه ؛ سعفاء[3] ورهاء[4] ، كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء ، تأكل لمّاً ، وتوسع ذمّاً ؛ صخوب غضوب ، بذيّة دنيّة ؛ ليس تطفأ نارُها ، ولا يهدأ إعصارُها ؛ ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، صبيّها مهزول ، وبيتها مزبول ، إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في المجامع ، بادية من حجابها ، نبّاحة على بابها ، تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد دُلّيَ لسانُها بالزور ، وسال دمعُها بالفجور .

ـ ومن صفة المرأة السوء يقال : امرأةٌ سِمْعَنَّةٌ نِظرِنَّةٌ ؛ وهي التي إذا تسمّعت أو تبصّرت فلم تر شيئاً تظنّته تظنّياً .

ـ وقال يزيد بن عمر بن هبيرة : لا تنكحنّ برشاء ، ولا عمشاء ، ولا وقصاء[5] ، ولا لثغاء ؛ فيجيئك ولدٌ ألثغ ؛ فوالله لَولدٌ أعمى احبُّ إليّ من ولد ألثغ . وقال : آخِر عُمرِ الرجل خيرٌ من أوّله ؛ يثوب حلمه ، وتثقل حصاتُه ، وتُحمد سريرتُه ، وتكمُل تجاربه ، وآخر عُمرِ المرأة شرّ من أوله ؛ يذهب جمالُها ، ويذرب لسانُها ، وتعقُم رحمُها ، ويسوء خُلُقُها .

١ ـ الذفراء: المنتنة رائحة الفم .
٢ ـ الظنبوب: حرف عظم الساق من قُدُم .
٣ ـ سفعاء: سوداء .
٤ ـ ورهاء: حمقاء .
٥ ـ وقصاء: قصيرة العنق .

ـ وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجّت نَصَفا ؛ فاعلم أن شر النصفين ما بقي في يده ! وأنشد :

وإن أتوْك وقالوا إنها نصَفٌ فإن اطيبَ نصفيْها الذي ذَهَبا

ـ وقال الحطيئة في امرأته :

أطوِّفُ ما أطوِّفُ ثم آوي إلى بيتٍ قعيدتُه لَكاع

وقال في أمه :

تنحَّيْ فاجلسي مني بعيداً أراح الله منكِ العالمينا
أغِربالاً إذا استُودعتِ سرّاً وكانوناً على المتحدّثينا
حياتُك ما علِمتُ حياةُ سوءٍ وموتُكِ قد يسرُّ الصالحينا

ـ وقال زيد بن عمير في أَمَتِه :

أعاتبُها حتى إذا قلتُ أقلعتْ أبى اللهُ إلاّ خِزْيَها فتعودُ
فإن طمِثتْ قادتْ وان طهُرتْ زنتْ فهي ابداً يُزنى بها وتقودُ[1]

ويقال : إن المرأة إذا كانت مُبغضة لزوجها ، فعلامة ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرْف عنه ، كأنها تنظر إلى انسان غيره ؛ وإذا كانت محبة له ، لا تقلع عن النظر إليه .

وقال آخر يصف امرأة لثغاء :

أولُ ما أسمعُ منها في السَّحَرْ تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكَرْ
والسَّوْءة السَّوداء في ذكرِ القمرْ

ولآخر في زوجته :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قرينُ السوءِ باقٍ مُعمَّرُ
فيا ليتها صارتْ إلى القبر عاجلاً وعذّبها فيه نكيرٌ ومنكرُ

---

١ ـ تقود: من القود وهي مهنة الزنى

وعن الأصمعي قال : قال أبو موسى : جاءت امرأةً إلى رجل تدلّه على امرأة يتزوجها ، فقال :

أقول لها لمّا أتتني تدلُّني على امرأةٍ موصوفةٍ بجمالِ
أصبتِ لها والله زوجاً كما اشتهت إن احتملَتْ منه ثلاثَ خصالِ
فمنهن عجْزٌ لا يُنادي وليدَه ورقّةُ اسلامٍ وقلّةُ مالِ

المنجبات من النساء

قالوا : أنجبُ النساء الفَروك[1] ، وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق[2] ، لزهدها في الرجل .

وقال الأصمعي : النجيبة التي تنزع بالولد إلى أكرم العرْقين .

وقال عمر بن الخطاب : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم ، فانكحوا في النزائع .

وقالت العرب : بنات العمِّ أصبر ، والغرائب أنجب .

والعرب تقول : اغتربوا ولا تُضووا : اي انكحوا في الغرائب ، فإن القرائب يُضوين البنين .

وقالوا : إذا أردت أن يصلب ولدُ المرأة فأغضبها ثم قَعْ عليها ؛ وكذلك الفزِعة .

أقوال في مكر النساء وغدرهن

في حكمة داوود عليه السلام : وجدت من الرجال واحداً في ألف ، ولم أجد واحدة في النساء جميعاً .

وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة ، ولا تغترّ بمالٍ وإن كثُر .

وقالوا : النساء حبائل الشيطان .

وقال الشاعر :

---

١ ـ الفروك: المرأة التي تبغض زوجها خاصة في الفراش .
٢ ـ الشبق: شدة الغلمة.

تمتّع بها ما ساعفَتْك ولا تكن جزوعاً إذا بانت، فسوف تبينُ[1]
وصُنها وان كانت تفي لك، إنها على مدةِ الأيام سوف تخونُ
وإن هي اعطتك الليانَ فإنها لآخرَ من طلّابها ستلينُ
وإن حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عهدها فليس لمخضوب البنان يمينُ[2]
وإن أسبلَت يومَ الفراق دموعَها فليس لَعَمْرُ اللهِ ذاك يقينُ

وقالت الحكماء: لم تُنْه امرأةٌ قط عن شيء إلا فعلتْه.

وقال طفيل الغنوي:

إنّ النساءَ متى يُنهين عن خُلُقٍ فإنه واقعٌ لا بُدَّ مفعولُ

ـ وعن ابن عياش، قال: كان النساء يجلسن لخطابهن؛ فكانت امرأة من بني سلول تخطب، وكان عبد الله بن همام السلولي يخطبها؛ فإذا دخل عليها تقول له: فداك أبي وأمي! وتقبل عليه تحدّثه، وكان شاب من بني سلول يخطبها، فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن همام قالت للشاب: قم إلى النار! واقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله؛ ثم إن الشاب تزوّجها، فلما بلغ ذلك عبد الله بن همام قال:

أوْدى بحبّ سُلَيْمى فاتكٌ لقِنٌ كحيَّةٍ برزَتْ من بين أحجارِ
إذا رأتني تُفدّيني وتجعلُه في النار، يا ليتني المجهولُ في النارِ

وله فيها:

ماذا تظنّ سُلَيمى إن ألَمّ بها مُرَجَّلُ الرأسِ ذُو بُرْدَين مزّاحُ
حلوٌ فكاهتُهُ، خزٌّ عِمامتُهُ في كفّه من رُقَى الشيطانِ مفتاحُ

أقوال في النكاح

قال معاوية: ما رأيت نهماً في النساء إلا عرفت ذلك في وجهه.

وقال الحجاج لابن شماخ العكلي، ما عندك للنساء؟ قال: أُطيل

---

١ ـ تبين: تفارق.

٢ ـ مخضوب البنان: كناية عن المرأة.

الظماء ، وأرِدُ فلا أشرب .

وقيل لرؤبة : ما عندك يا أبا الجحّاف ؟ قال : يمتد ولا يشتد ، ويرِد ولا يشرب .

وقيل لآخر : ما عندك لهن ؟ قال : ما يقطع حجّتها ، ويشفي غُلمَتها .

وقال كسرى : كنت أراني إذا كبرت أنهن لا يُحببْنني ، فإذا أنا لا أحبُّهُن !

وأنشد الرياشي لأعرابي :

تمنّيْت لـو عاد شـرخُ الشبـابِ ومن ذا على الدهر يعطي المُنى
وكنت مكينـاً لَـدَى الغـانيـاتِ فـلا شيءَ عنـدي لهـا مُمكِنـا
فـأمـا الحسـانُ فيـأبَيْـنـني وأمـا الـقِبَـاحُ فـآبـى أنـا

ودخل عيسى بن موسى على جارية ، فلم يقدر على شيء ، فقال :

النفسُ تطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ والنفسُ تهلكُ بين اليأس والطَمع

وخلا ثمامة[1] بن أشرس بجارية له ، فعجز ؛ فقال : ويحكِ ! ما أوسَعَ حِرِك ! فقالت :

أنت الفداءُ لِمَن قد كان يملؤه ويشتكي الضيقَ منه حين يلقاهُ

وقال آخر لجاريته :

ويُعجبُني منكِ عند الجِماع حياةُ الكلامِ وموتُ النَظَرْ

وقال آخر :

شفاءُ الحبّ تقبيلٌ ولمسٌ وسَحْبٌ بالبطون على البطونِ
ورهـزٌ تذرف العينـان منه وأخذٌ بالذوائب والقرونِ[2]

وقالت امرأة كوفية : دخلتُ على عائشة بنت طلحةِ ، فسألت عنها ، فقيل

---

١ ـ ثمامة بن أشرس: من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدّمين. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه. يُسمى اتباعه « الثمامية » نسبة إليه. توفي سنة ٢١٣ هـ . (الأعلام[٢] ١٠٠).

٢ ـ الرهز: الاهتزاز والتحرك .

هي مع زوجها في القيطون ؛ فسمعت زفيراً ونخيراً لم يُسمع قط مثله . ثم خرجت وجبينها يتفصّدُ عرقاً ؛ فقلت لها : ما ظننت ان حرّة تفعل مثل هذا ! فقالت : إن الخيل العِتاق تشرب بالصفير .

وقيل لأعرابي : ما عندك للنساء ؟ فأشار إلى متاعه وقال :

وتراه بعد ثلاث عشْرة قائماً نظرَ المؤذِّن شكَّ يومَ سحابِ

وروى زياد عن مالك عن محمد بن يحيى بن حسان ، أن جدّته عاتبت جدّه في قلة إتيانه إياها ؛ فقال لها : أما أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ قالت : وما قضاء عمر ؟ قال : قضى أن الرجل إذا أتى امرأته عند كلِّ طُهر فقد أدّى حقّها . قالت : أفترك الناس كلهم قضاء عمر وأقمت أنا وأنت عليه .

وقال أحدُهم :

لم توافِقْ طباعُ هذي طباعي فأنا وهْي دهرَنا في صراعِ
وتحرّيت أن أنالَ رضاها فأبت غير جَفْوةٍ وامتناعِ
فتفكَّرْتُ لِمْ بُليت بهذا ؟ فإذا أنَّ ذا لضَعف المتاعِ

ووقع بين رجل وامرأته شرٌّ ، فجعل يحيل عليها بالجماع ، فقالت : فعل الله بك ! كلما وقع بيننا شيءٌ جئتني بشفيع لا أقدر على ردِّه .

وأقبل رجلٌ إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : إن لي امرأة كلما غشِيتُها تقول : قتلْتني قتلْتني ، قال : اقتلها وعليّ إثمها .

وقالوا : من نكح لنفسه لم يضعُف أبداً ولم ينقطع ، ومن فعل ذلك لغيره فذاك الذي يُصفي وينقطع . أي (من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة ويطلب الذِكر عندها . . .) .

وقالوا : مَنْ قلَّ جماعه فهو أصحُّ بدناً وأطولُ عُمُراً ، ويعتبرون ذلك بذكر الحيوان ، وذلك أنه ليس في الحيوان أطول عمراً من البغل ، ولا أقصر عمراً من العصافير ؛ وهي أكثر سفاداً .

وسألَ كسرى أعرابياً : فما تقول في إتيان النساء ؟

قال : كثرة غشيانهن رديء ، وإياك والمرأة المُوْلية ، فإنها كالشن[1] البالي ، تُسقم بدنَك وتجذِب قوتك ؛ ماؤها سمٌّ قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك ولا تعطيك ؛ وعليك بإتيان الشباب ، فإن الشابة ماؤها عذبٌ زلال ، ومعانقتها غنج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، وريحها طيب ، ورحمها حرِج ، تزيدك قوّة إلى قوتك ، ونشاطاً إلى نشاطك . قال : فأيّ النساء القلبُ لها أبسط ، والعين برؤيتها آنس ؟ قال : إن اصبتها مديدة القامة عظيمة الهامة ، واسعة الجبين ، عريضة الصدر ، مليحة النحر ، ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء فرعاء ، جعدة غضة ، تخالها في الظلمة بدراً زاهراً تبسم عن اقحوان باهر ، وإن تكشف تكشف عن بيضة مكنونة ، وإن تعانق تعانق ما هو ألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ، وأبرد من القند[2] ، واعظم من الفردوس والخلد ، وأذكى ريحاً من الياسمين والورد . قال : فأي الأوقات إتياهنّ أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أشهى والرحم أدفى . قال : فأيّ الأوقات ألذّ وأطرب ؟ قال : نهاراً ، يزيدك النظر انتشاراً !

* * *

نادرتان نسائيتان

قال الزبير بن بكار : جادت امرأة إلى ابن الزبير تستعدي زوجها وتزعم أنه يصيب جاريتها ، فأمر به فأُحضر ، فسأله عمّا ادّعت ، فقال : هي سوداء وجاريتها سوداء ، وفي بصري ضعف ، ويضرب الليل برواقه ، فأنا آخذ من دنا مني .

وقال : خطب رجل خطبة نكاح وأعرابي حاضر ، فقال : الحمد لله ، أحمده واستعينه وأتوكل عليه ، وأشهد ان لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله . حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح . فقال الأعرابي : لا تُقم الصلاة ، فإني على غير وضوء .

---

١ ـ الشنّ: القربة البالية الصغيرة .
٢ ـ القند: عسل قصب السكر .

عصائب الجواري

قال أبو الحسن : دخلت على هارون الرشيد وعلى رأسه جوارٍ كالتماثيل ، فرأيت عصابة منظمة بالدّر والياقوت مكتوباً عليها بصفائح الذهب :

ظلمْتني في الحب يا ظالمُ   والله فيمــا بيننـا حــاكمُ

قال : ورأيت في عصابة أخرى :

ما لي رميْتُ فلم تُصبْك سهامي   ورميتني فـأصبتـني يـا رامـي ؟

قال : ورأيت على أخرى :

وضعُ الخدِّ للهوى عزُّ

قال : ورأيت في صدر أخرى هلالاً مكتوباً عليه :

أفلتُ من حُــور الجِنـانِ   وخُلِقتُ فتنــةَ من يـراني

وقال إسحاق بن إبراهيم : دخلتُ على الأمين محمد ابن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف في قراطق مفروجة ، بيد وصيفةٍ منهن مِروحةٌ مكتوب عليها :

بيَ طاب العيشُ في الصيف، وبي طاب السرورُ
ممسكي يَنفي أذى الحرِّ إذا اشتدّ الحَرورُ
النّدى والجودُ في وجه أمين الله نورُ
ملكٌ أسلمه الشِّبْهُ وأخـلاه النظيرُ

وفي عصابة :

ألا بـــالله قـولــوا يــا رجــالُ   أشَمسٌ في العصابة أم هـلالُ

وفي أخرى :

أتَهوَوْنَ الحياةَ بـلا جنونِ   فكفّوا عن ملاحظة العيونِ

وكتبت وردُ جارية الماهاني على عصابتها ، وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها :

تمّتْ وتمَّ الحسنُ في وجهها فكلُّ شيءٍ ما سواها مُحالْ
الناس في الشهر هلالٌ ولي في وجهها في كلِّ يومٍ هلالْ

وكتبت في عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانىء ، وهما :

يا رامياً ليس يدري ما الذي فعلا عليك عقلي ،فإن السهمَ قد قتلا
أجريتَه في مجاري الروح من بدني فالنفسُ في تعبٍ والقلب قد شُغلا

وقال علي بن الجهم : خرجت علينا عالج جارية خالصة ، كأنها خوط بان وهي تميس في رقة ، وعلى طرّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مُجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

يا هلالاً من القصور تجلّى صامَ طرْفي لمُقلتيك وصلّى
لستُ أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرّغت لاستطالة ليلي ولِرَعي النجوم كنتُ مُجلاً

قال : وخرجت إلينا منال وعليها درع خام ، على جانبه الأيمن مكتوب :

كتب الطرْفُ في فؤادي كتابا هو بالشوق والهوى مختوم

وعلى الأيسر مكتوب :

كان طرْفي على فؤادي بلاءً إنّ طرْفي على فؤادي مَشُومُ

قال : وكان على عصابة ظبي ، جارية سعيد الفارسي ، مكتوب بالذهب :

العينُ قارئةٌ لما كتبتْ في وجنتيّ أنامل الشجنِ

قال : وحدّثني الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جاريتها شكل :

لم ألق ذا شجن يبوحُ بحبّه إلا حسِبتُك ذلك المحبوبا
حَذراً عليك ، وإنني بك واثقٌ ألّا ينالَ سوايَ منك نصيبا

وكتبت وصيف ، جارية الطائي ، على عصابتها :

فما زال يشكو الحبَّ حتى حسِبْتُه تنفّس في أحشائه وتكلّما

نأبكي لديه رحمةً لبكائه   إذا ما بكى دمعاً بكيْتُ له دمًا

وكان على عصابة مزاج ، وهي من مواجن أهل بغداد وفتّاكها :

قالوا عليك دروعُ الصبر قلت لهم   هيهات إنّ سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرْفُ عنها حين يُبصرها   حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

وكتبت عنان جارية الناطفي على عصابتها :

الكفرُ والسحر في عيني إذا نظرتْ   فاغرُب بعينيك يا مغرور عن عيني
فإنّ لي سيف لحظٍ لستُ أغمده   من صنعةِ الله لا من صنعة القين[1]

وكتبت حدائق في كفّها بالحناء :

ليس حسنُ الخِضابِ زيَّن كفّي   حُسن كفّي زَيْنٌ لكلّ خِضابِ

قال : وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلّدت سيفاً محلّى ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمّل حُسنَ جاريةٍ   يحارُ بوصفها البصَرْ
مذكّرةٍ مؤنّثةً   فهي أنثى وهي ذكرْ

وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكفِه سيفٌ بعينيه   يقتُل من شاءَ بحدّيه
حتى تردّى مُرهفاً صارماً   فكيف أبقى بين سيفيْهِ
فلو تراه لابساً درعَه   يخطرُ فيها بين صفّيْه
علمتُ أن السيف من طرفه   أقتلُ من سيفٍ بكفّيّه

وكتبت واجد على منطقة جاريتها منصف الكوفية :

تكّتي من غمزة العين   إذا ما مِستُ تنحلّ
وفؤادي رقّ حتى   كاد من صدري ينسلّ
بعضُ ما بي يصدعُ القلْـ   ـبَ فما ظنُّك بالكلّ

---

١ ـ القين : الحدّاد .

قال أبو عبيدة : ورأيت جاريةً على جبينها مكتوباً :

كتبتْ في جبينها بعبير على قَمرْ
في سطورٍ ثلاثةٍ لعن اللهُ من غدرْ
وتناولت كفّها ثم قلت اسمعي الخبرْ
كل شيءٍ سوى الخيا نةِ في الحبِّ يُغتفرْ

قال الأصمعي : رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة واحدة منهن مكتوباً :

نحن حورٌ نواعمٌ من أراضٍ مقدّسَهْ
أحسن الله رزقنا ليس فيناً مُنحسَه
فاتّقِ الله يا فتى لا تدَعْني موسوسَهْ

« تم الكتاب بعونه تعالى »

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

